وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي



تاريخ طب الأطفال عند العرب

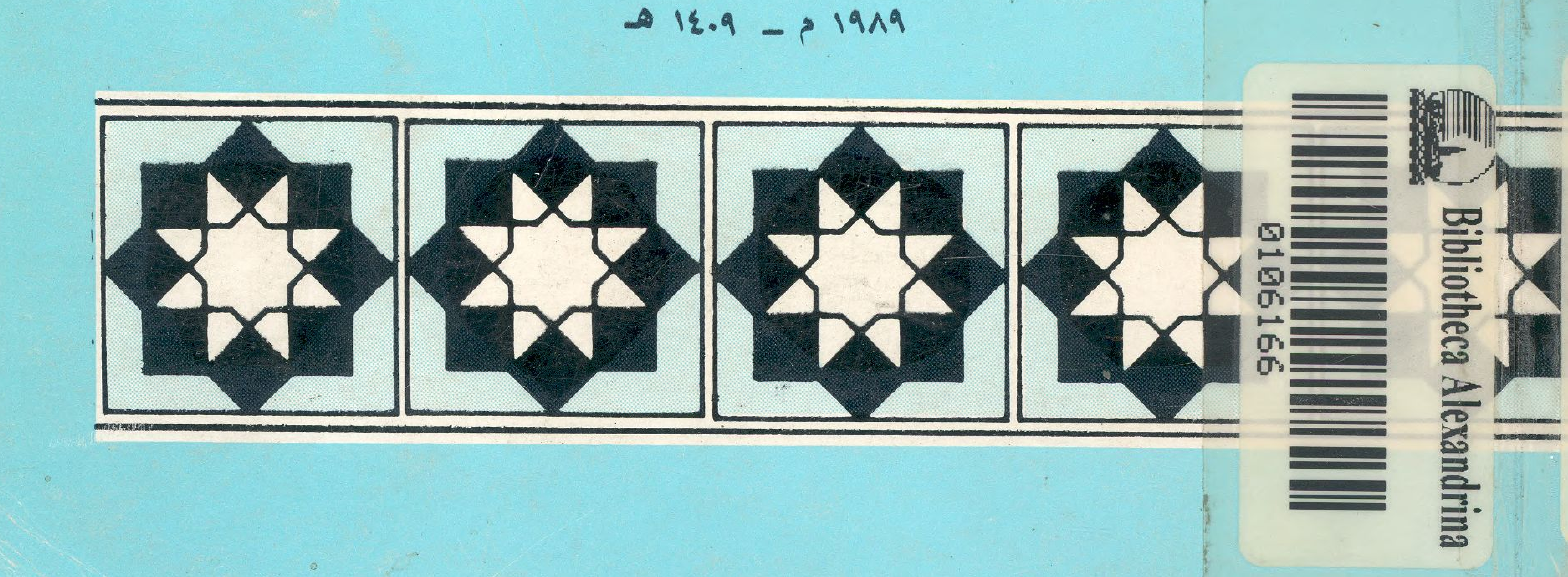
تأليف

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

الطبعة الثالثة

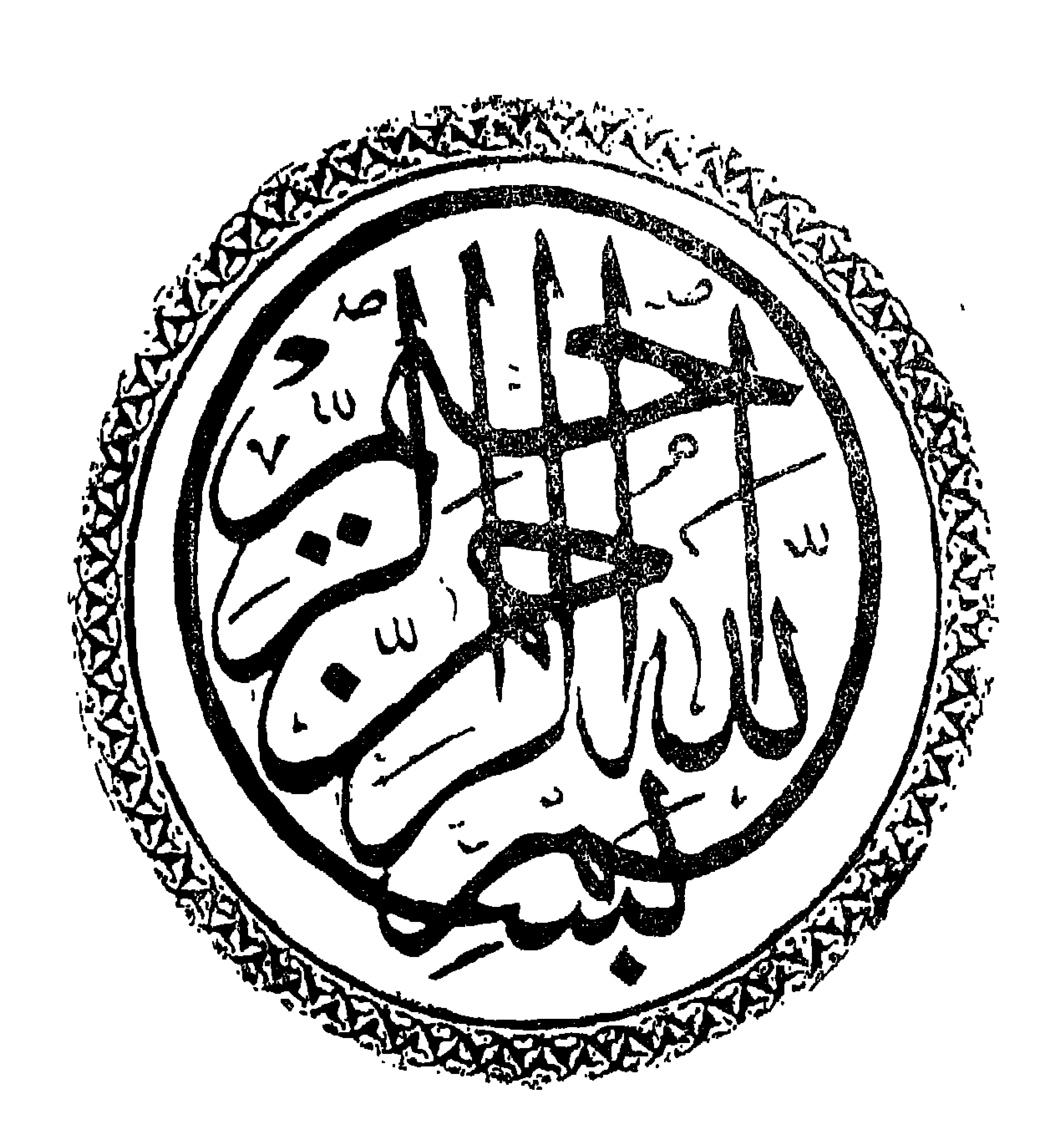
مزيدة ومنقحة

١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ



تاريخ طب الأطفال

عند العرب


بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز احياء التراث العلمي العربي



الدكتور
محمود الحاج قاسم محمد

الطبعة الثالثة / مزيدة ومنقحة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الاولى : ١٩٧٨ (وزارة الثقافة والفنون)
بغداد
الطبعة الثانية : ١٩٨٣ (دار تهامة للنشر)
جدة — السعودية
الطبعة الثالثة : ١٩٨٩ (مركز احياء التراث العلمي العربي—جامعة بغداد)

الأهداء

إلى زوجتي العزيزة أم حسّان التي عانت – وأعانت –: الكثير في إعداد هذا الكتاب .

وإلى أولادي الأحبة الذين حرمتهم كثيراً من وقتي الضيق حتى أتممته .
أهديه لهم جميعاً .. إعزازاً .. وإكراماً ..

أبو حسّان
الموصل ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

لا أكون قد اتيت بجديد حينما اقول بأنني لم اكتب شيئاً الا وتمنيت بعد ايام ان اغيره لو تيسر لي ذلك . لقد قال ذلك غيري ، وسوف يقولها الكثيرون من بعدي ، لأن كل عمل بشري يحتمل الأستدراك تصويباً وتقويماً . وخير من اجاد التعبير عن ذلك كان الراغب الأصفهاني حينما قال ((اني رأيت انه لايكتب انسان كتاباً في يومه ثم ينظر فيه في غده الا قال لو غير هذا لكان احسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ... وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر)) .

واليوم اقدم الطبعة الثالثة من هذا الكتاب بعد مرور ست سنوات على (الطبعة الثانية — ١٩٨٣ — تهامة للنشر — جدة) . وبعد مرور احدى عشرة سنة على (الطبعة الأولى — ٩٧٨ وزارة الثقافة والفنون — بغداد) ، بعد ان اعدت صياغة بعض الفقرات ، واضفت الكثير مما استجد عندي بعد الأطلاع على مصادر وابحاث اخرى .

وكلي أمل ان اكون قد اقتربت بكتابي من الكمال — المستحيل بلوغه — خطوة اخرى ليبقى جديراً بلقب اول مؤلف يؤرخ لطب الأطفال عند العرب . وقبل ان اختم هذه المقدمة القصيرة لابد من تقديم اجزل الشكر لجامعة بغداد ومركز إحياء التراث العلمي العربي التابع لها لتفضلهم بالموافقة على طبع هذه الطبعة ، واخص بالشكر الأستاذ الدكتور خالص الأشعب رئيس المركز سابقاً ، والدكتور مصطفى الهيتي مدير المركز حالياً والاستاذة نبيلة عبد المنعم والدكتورة رمزية الأطرقجي في المركز لجهودهم الخيرة في طبع الكتاب. واخيراً اسجل شكري لابنتي سمية على جهودها في طبع مسودات هذه الطبعة .

والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

طبيب اطفال — الموصل — الحي الزراعي

١٤٠٩ — ١٩٨٩

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب أواخر سنة ١٩٧٨م ، وقبيل حلول السنة العالمية للطفولة . وقد أصدرته وزارة الثقافة والفنون ضمن سلسلة دراسات برقم (١٥٠) ،ولم يكد يصل إلى المكتبات حتى تلقفته الأيدي فنفذت جميع نسخه خلال أشهر معدودة .

واليوم أقدم الطبعة الثانية من الكتاب بعد أن أضفت له مااستجد عندي من بحوث وما توصلت إليه من دراسات في تاريخ طب الأطفال عند العرب والمسلمين . كما أجريت على الكتاب الكثير من التنقيحات والتغييرات مستفيداً بذلك من الاقتراحات القيمة لبعض القراء والناقدين من مؤرخي تاريخ الطب . كما استغنيت عن بعض الفقرات والنصوص التي تكررت في أكثر من موضع .

وفي كل ذلك كان أملي أن أصادف الحقيقة ، وأستكمل نواقص الكتاب ، فإذ وجدتني عزيزي القارىء قد اقتربت من الهدف المنشود فتلك سعادتي ، والاّ فإني سأبقى منتظراً النقد مهما كان شديداً ، ولك ولكل الناقدين عظيم شكري وتقديري .

اصبح الكتاب يحتوي إضافة لمقدّمتي الطبعة الأولى والثانية على ستة فصول وفهرس للمصادر:

الفصل الأول — «طب الأطفال عند الأمم السابقة» : التغيير الذي طرأ على هذا الفصل كان توسعاً بيناً في قسم طب الأطفال في مصر القديمة .

الفصل الثاني — «الطفل عند العرب قبل الإسلام وبعده» : التغيير الذي حصل هنا إضافة لعنوان الفصل كان ، إضافة قسم (الطفل عند العرب قبل الإسلام) والتوسع الملحوظ في قسم (الإسلام والطفل) .

الفصل الثالث — «الأم والطفل من الحمل حتى الفطام عند العرب والمسلمين» : لقد حدث تبدل أساسي في هذا الفصل حيث يتبين من عنوانه أنه شمل إضافة قسمين جديدين له ، الأول عن الأم من الحمل حتى الولادة عند العرب والمسلمين ، والثاني عن تطور نمو الجنين (علم الأجنة).

الفصل الرابع — «أمراض الاطفال عند الأطباء العرب والمسلمين» : قمت في هـذا الفصل بتوسع كبير في بعض الأمراض ، كأمراض العين والأمراض المعدية وجراحة الأطفال .

الفصل الخامس — «مؤلفات الأطباء العرب في طب الاطفال» : التغييرات التي طرأت في هذا الفصل كانت ، إضافة مؤلفات بعض الأطباء العرب والمسلمين ممن لم يأت ذكرهم في الطبعة الأولى من أمثال : ابن ماسويه ، الزهراوي ، الأصفهاني ، الغزالي ، ابن زهر ، ابن طفيل ، إخوان الصفا ، القزويني ، الدميري ، ابن القيم . وترسعاً لمؤلفات البعض الآخر من أمثال : البلدي ، ابن سينا ، مهذب الدين البغدادي ،أبن القف وغيرهم .

الفصل السادس — «القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين» : لم يخل هذا الفصل من الإضافات والتغيير في أغلب أجزائه .

فهرس المصادر — لقد استحدثت ذلك بناء على اقتراح بعض النقاد ، فجمعت هنا جميع المصادر التي اعتمدت عليها ووضعتها متسلسلة حسب حروف المعجم بالنسبة لشهرة المؤلف .

ولا يسعني — وأنا انهي مقدمة الطبعة الثانية — إلا تقديم شكري العميق للاستاذ دكتور سالم الحمداني لتفضله بتصحيح الطبعة الثانية من الكتاب ، لغوياً ، وللاستاذ عبدالوهاب الطائي الذي فاتني ان اشكره في الطبعة الأولى ، حيث كان له فضل تصحيح الطبعة الأولى من الناحية اللغوية أيضاً .

وأخيراً لابد من القول بأنه ما كان للطبعة الثانية أن تتم في السعودية بغير الجهود العظيمة للاستاذ الدكتور محمد علي البار الذي تكرم بالاشراف شخصياً على طبع الكتاب وتصحيح الأخطاء المطبعية ،احتساباً عند الله ، علماً بأنه لم تربطني به سوى صداقة حديثة عن طريق المراسلة فقط ، دون أن نتقابل ، الأمر الذي يجعلني مديناً له بالشكر والامتنان مدى الحياة.

المؤلف

مقدمة الطبعة الاولى

من الحقائق المسلم بها أن أولى الناس بدراسة تاريخ أي علم في أي بلد هم أبناء ذلك البلد من المشتغلين بذلك العلم ، وذلك لإلمامهم بالدقائق العلمية والفنية للموضوع الذي يتعرضون له بالدراسة بجانب الشعور بأنهم يكتبون تاريخ آبائهم وأجدادهم .

من هنا كان الأطباء العرب هم المسؤولين في المقام الأول عن دراسة تاريخ الطب العربي . ويقع على عاتقهم بيان التأثير العظيم لذلك التاريخ على الطب المعاصر ، ولن يتم لهم تحديد معالم ذلك التأثير البالغ في نظري قبل أن يدرسوا آلاف المخطوطات الطبية العربية من جديد بطريقة علمية حديثة وبشكل منظم يحفظ الجهود من الضياع سواء في التكرار أو الإعادة .

مساهمات الأطباء العرب في حقل طب الاطفال لم تبحث إلا من قبل القليلين من كتاب تاريخ الطب العربي ، ولا نكاد نجد في كتاباتهم ما يدل على حقيقة ما قدموه في هذا الحقل لذلك آليت على نفسي ومنذ امد بعيد أن أكتب في حقل اختصاصي قدر ما أستطيع وقدر ما يسمح به وقتي الضيق .

كانت بدايتي في الكتابة عن تاريخ الطب العربي سنة ١٩٧٠م ، كتبت في حينها بحثاً موجزاً عن طب الأطفال عند العرب ثم توالت كتاباتي في بعض فروع الطب الاخرى طبعتها بعد تنقيحها واضافة الكثير اليها بكتاب أسميته : «الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به» نشر سنة ١٩٧٤م .

ثم كتبت أكثر من عشرة أبحاث متفرقة عن مساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال نشرت في مجلات عراقية وعربية مختلفة ففكرت أن أجمعها في كتاب تحت عنوان : «تاريخ طب الأطفال عند العرب » .لأسد به فراغاً في المكتبة العربية حيث انني وجدت ان هذا الموضوع لم يلق الاهتمام من غالبية مؤرخي تاريخ الطب عند العرب وغير العرب كما ذكرنا , كما ان الحافز الآخر الذي دفعني إلى اصدار هذا الكتاب ، كان الحاح وتشجيع

الكثيرين من زملائي في جمعية أطباء الاطفال العراقية وخاصة رئيسة الجمعية الدكتورة لمعان أمين زكي التي اتمت مكرمتها بكتابة مقدمتها الرائعة لكتابي، فلها جزيل شكري وأمتناني.

كان من المؤمل لهذا الكتاب أن يصدر قبل عام تقريباً ، الا ان انشغالي بدوامة العمل وزحمة المرضى في المستشفى صباحاً . والعيادة مساء، وتحضير محاضرات مادة «العلوم عند العرب » والقائها على طلبة كلية طب الموصل ، كل ذلك كان حائلا دون صدوره في الموعد المحدد .

واليوم وبعد جهود مضنية قمت بها أياماً وليالي بحثاً وتدقيقاً وتمحيصاً في الكتب والمخطوطات هنا في العراق، وفي القاهرة ،والأوسكريال في أسبانيا ، واستانبول؛ استخلصت منها الكثير من الجديد والمفيد الذي لم أذكره في كتاباتي السابقة ، لأكمل ما بدأته ولأقدم بكل تواضع كتابي هذا عله يكون ضياء كاشفاً أمام اجيالنا الجديدة لتعلم ان آباءها كانوا بناة للحضارة والعلم .

* * *

فصلت في الكتاب مساهمات اعلام الطب عند العرب في هذا الحقل وكشفت عن جوهر إهتماماتهم العلمية ومدى ما قدموه لعلم طب الأطفال من إضافات حية ايجابية .

شمل الكتاب فصولاً ستة هي كما يلي :

الفصل الأول – تحدثت فيه عن طب الأطفال عند الأمم السابقة ، وابتدأت بطب الأطفال في بلاد ما بين النهرين ، وأعقبته بطب الأطفال لدى المصريين القدامى ، ثم اليونانيين بشكل مختصر .

وعقدت الفصل الثاني عن الإسلام والطفل . ذكرت فيه بعضاً من الأمور التي اهتم بها الإسلام بالنسبة للطفل من ناحية رضاعته ووقايته من الأمراض والعاب الطفل وتربيته.

أما الفصل الثالث فأوجزت فيه مساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال من ناحية تأليفهم أول كتاب مستقل في طب الاطفال ، وآرائهم في كيفية العناية بالحامل والمولود حديث الولادة وتغذية المولود..

وخصصت الفصل الرابع لذكر أمراض الأطفال عند الأطباء العرب .

ثم ذكرت مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال في الفصل الخامس ، مع التأكيد على القيمة العلمية لبعض المؤلفات المهمة والتي تعتبر حجر الأساس في نشوء علم طب الأطفال .

الفصل السادس والأخير جمعت فيه خلاصة القواعد الأساسية في التربية والتعليم للأطباء العرب والمسلمين :

المؤلف

مقدمة الكتاب

الدكتورة : لمعان أمين زكي

لا اختلاف في أن من يدرس تاريخ العرب والمسلمين يقف بدهشة واحترام عميقين أمام تراث ضخم متعمق في شتى ضروب المعرفة الانسانية . ولكنه بالرغم من ذلك تراث مظلوم لم يمنح حقه من الدراسة والتحقيق والتقييم ، إذ ما زالت الكثرة الكاثرة من النتاجات العربية تنتظر المزيد من التحري والتدقيق . بل إنها مازالت تفتقر إلى من يكتشف وجودها في بطون خزانات الكتب في شرق البلاد وغربها . وإنه لمن الغرابة بمكان ، ومن الأسف أيضاً ، أن يكون للعرب في شتى حواضرهم هذا العدد من الجامعات تدفع أفواج الخريجين كل عام . وهذه النخبة الممتازة من الأساتذة والاختصاصيين ولا يكون لهم خطة مبرمجة تضعها لجنة معتمدة لدراسة التراث تحسن التخير والانتقاء من معين خصب ، وتجمع الراغبين من الخريجين فتدربهم وتوجههم وتشرف على عملهم ضمن هذه الخطة . وتحرص أن تكون الصيغة التي يلقى بها التراث إلى الأجيال الطالعة بالشكل الذي يبرز كل ما هو إنساني وخلاق في التراث وما هو حري بإغناء الحاضر وتطوير المستقبل .

وقد يجدر بي أن أبادر إلى القول بأنني بهذه الفكرة لا أقصد أن اسخر التراث لتغذية مشاعر التفاخر والتعالي والتكاثر . أو التعصب القومي والتحجر العرقي . فذلك بعيد عن طبعي وتفكيري . وهو أيضاً على نقيض من خصائص الحضارة الإنسانية الرائعة التي أنتجته. حضارة رحبة الصدر واسعة الأفق بعيدة عن التعصب والجمود ، استطاعت في تلك القرون السحيقة أن تطوع النعرات ، وتجمع القلوب ، وتوحد الجهود في المروءة . فتعاون المسلم مع الكتابي ، وأسهم العربي إلى جانب الأعجمي ، ضمن الإطار الإسلامي الرحب ، فكان الطابع المميز لتلك الحضارة وتلقائياتها في احترام الإنسان بصرف النظر عن «جنسه أو لونه أو دينه أو مذهبه السياسي» كما تعبر شرائع العصر الحديث .

كما انني لا أدعو إلى دراسة التراث على أساس تقديس كل ما هو قديم . أو لكي يتحكم الماضي في الحاضر وان يشل يديه عن الحركة . بل إنني أريد له أن يكون مصدر إلهام لجيل الحيرة والقلق المعاصر في جهاده لفهم الذات وتحديد الهوية وتحقيق الشخصية . وان يكون وسيلة من الوسائل التي يصارع بها اليأس ، والتي تؤدي به إلى الاطمئنان على الغد والثقة بالمستقبل ، في فترة تاريخية تكاثرت عليه مثبطات العزائم ومفترات الهمم .

وقد كانت العلوم الطبية من جوانب المعرفة التي عني العرب والمسلمون بها وانكبوا على دراستها وتطويرها . ولم يعدموا أن يفيدوا ما عرف في عصرهم من التراث اليوناني وغيره ، إلى جانب العلوم المحلية لشعوب غير عربية وثيقة الوشائج مع العرب . وعمدوا إلى تسجيل نتائج بحثهم وثمرات تجربتهم بلسان عربي مبين . وقد ضاع الكثير مما كتبوا للأسف غير ان ما وصلنا عبر القرون من نتاج ذلك كله ، يشكل مجموعة من المؤلفات الطبية مازالت تبهر العلماء المعاصرين بمنهج دراستها وباسلوب تبويبها وتفكيرها وما قد توصلت اليه من الحقائق العلمية . وإنه لمن دواعي السرور أن نجد بين العلماء العرب المعاصرين افراداً التفتوا إلى التراث واهتموا بتحقيقه وتعريفه للناس ، فأغنوا المكتبة العربية وتاريخ الطب بسلسلة من المؤلفات والتحقيقات نرجو لها أن تتزايد مع الأيام . وهي في الغالب كتب تناولت العلوم الطبية بصورة عامة وشاملة .

أما تاريخ طب الأطفال فقد كان حظه من هذه البحوث محدوداً جداً ومقتصراً على شذرات قليلة متناثرة في الكتب المختلفة مبعثرة بين فصولها . لذا فإن البحث عنها عند الحاجة اليها كان يستنفذ منا جهداً وعناء كبيرين . ومن هنا كان سروري عظيماً حين وجدت زميلاً فاضلاً من إخواني الاختصاصيين بطب الأطفال هو الدكتور محمود الحاج قاسم يولي هذا الأمر عنايته فيسترق الوقت استراقاً من بين واجباته الكثيرة ليرضي فضوله العلمي وفضولنا معه . ومن هنا أيضاً كان إلحاحنا عليه أن يراجع فصوله ويزيد فيها ويجمعها في كتاب يسهل علينا الاطلاع على ما كتب آباؤنا في هذا الفرع المهم من فروع العلوم الطبية . وما من شك أن الزميل قد أمعن البحث وأطال الدرس لكي يخرج لنا كتابه «تاريخ طب الأطفال عند العرب» في فصول ستة يمكن اعتبارها خلاصة مكثفة لعلوم

«حياة الطفل وصحته» في تاريخنا منذ الحقبة البابلية والاشورية : فهي فصول مركزة تعرض جوانب هامة من مفاهيم بعضها ما زال معتمداً في أيامنا هذه . مثال ذلك تفهم الأقدمين لما للوراثة من تأثير كبير على صحة الطفل ، أو تقديرهم للروابط الوثيقة بين الأم وصحة طفلها ولأهمية التغذية والنظافة وأساليب الوقاية من الأمراض . إلى جانب وصفهم السريري الدقيق لأمراض وعاهات كثيرة . ولم يغفل المؤلف ذكر المصادر التي اعتمدها ففي الكتاب ذخيرة ثمينة من أسماء مراجع البحث المهمة ومن المصطلحات العلمية العربيـة القديمة .

والكتاب إلى جانب ذلك كله مكتوب باسلوب شيق سهل المطالعة لا يكلف قارئه جهداً ثقيلاً . ولا شك عندي في انه سوف يحقق النفع الكبير لمن يرجع اليه من الأطباء وغيرهم من القراء .

الدكتورة لمعان أمين زكي
استاذة طب الأطفال في جامعة بغداد
ورئيسة جمعية أطباء الأطفال العراقية
١٩٧٧

الفصل الأول

طب الأطفال عند الأمم السابقة

* طب بلاد مابين النهرين .
* الطب المصري القديم .
* طب الأطفال عند اليونانيين .

طب بلاد ما بين النهرين

هناك الكثير ممن يعتقدون بأن هذه البلاد أقدم موطن لمدنيات الشرق وان الطب فيهـا يعتبر أقدم الحضارات الطبية في العالم ، منهم (ورن دوسن) الذي يقول في كتابه MACICIAN AND LEECH (ص ١٢٨) : «إن المعلومات التي ظهرت من هذه الأبحاث أثبتت ان الطب الأشوري كان متقدماً عن الطب المصري . وان هناك تشابهاً بين نصوص القطرين حيث يمتزج الطب بالسحر» (٣٣ م١ ص ٣٥) .

ويقول الدكتور عبداللطيف البدري : «لقد عثر في كيش على رقيم يرجع تاريخه إلى ٤٢٠٠ ق.م ، ثم عثر على قوالب منقوش عليها نصوص طبية وان (اورد كاليدينا) الذي عاش في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ، وقت ازدهار الطب يقابل (أمحوتب المصري) الذي يعتبره البعض أول طبيب ذكر في المصادر التاريخية» (١٧ ص ١٩) .

إن الطب عند الأشوريين والبابليين على ما فيه من بدائية وبساطة فيه أيضاً كثير من العلم الصحيح والمفيد . فهم أول من عرف العدوى ، وحصاة المثانة . ومعرفة حصاة المثانة في ذلك الدهر البعيد ليس بشيء قليل ، كما ان مداخلاتهم الجراحية في معالجة العيون تدلل على المدى غير القصير الذي توصلوا اليه في الطب (٥٥ ص ٢) .

وكان لديهم ثلاثة مذاهب للمعالجة (٧٩ ص ٨٤) :

١ — العالجة بالنصح (الطب الوقائي) .

٢ — المعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية (الطب المزاجي الطبيعي) .

٣ — المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي) .

ونشر (لابات) كتاباً يحتوي على أربع متسلسلات مجموعها أربعون رقمياً لكل منها عنوان ، وهي تبحث في مختلف الأمراض وخصص القسم الخامس من الكتاب للمرأة

وأمراضها ، وعن الرضاعة ، ويتألف من عشرة الواح لم يعثر على سوى ثلاثة منها :

الأول — يبحث في العلاقات التي تلاحظ على المرأة والتي نتعرف منها ما إذا كانت الحامل ستلد طفلاً طبيعياً وهل سيولد صحيح الجسم ؟

الثاني — يتكلم اللوح عن المرأة الحامل وأمراضها .

الثالث — يبحث عن الأطفال في دور الرضاعة والآلام الناتجة عن ظهور الأسنان الحليبية ثم اضطرابات المعدة والأمعاء عندهم والتشنجات الحاصلة وأسباب القيء والبكاء.. الخ .

وكلها ترينا مدى دقتهم في الأوصاف وخبرتهم وتجربتهم الواسعة في هذا المجال . وعلى سبيل المثال نذكر الفقرات التالية .

— «اذا كانت حلمتا ثديي المرأة الحامل منكمشتين فانها لن تتم اجل حملها .

— «اذا اخذ الطفل الثدي ولكنه لم يشبع وظل يصرخ فانه مجروح داخلياً» (٥٦) .

— «اذا كان رأس الطفل ساخناً من غير أن يصاب جسمه بالحمى ، وكان لعابه يسيل وكان يصرخ كثيراً وان ما يأكله لا يبقى في معدته بل يقذفه ، فإن أسنان هذا الطفل ستنبت خلال خمسة عشر أو عشرين يوماً وان هذا الطفل سيواجه أياماً شاقة ويبقى مكدوراً .

— إذا كان الطفل في سنته الأولى والثانية والثالثة أو الرابعة يعجز عن الانتصاب عندما يستشاط غضباً وإذا لم يستطع أكل الأغذية الصلبة وإذا كان فمه لا يستطيع معه الكلام فإن عملية الإخصاب عند تكوينه لم تكن ناجحة .

— إذا كان جلد الطفل مترهلاً وهو رضيع مع ان غذاءه هو الحليب وكان الثدي معداً له فعافه ، وهو لا يأكل بعد فليس لك إلا أن تستبدل ثدي أمه وأن تضعه على ثدي آخر .

— وان اكثر ما تبقى من النصوص يعتمد في أساسه على السحر والأدعية والتعاويذ» . (١٨ ص ١٥٠ — ١٥١)

كما ان هناك علامات ذكرها النص قد لا يكون لها أهمية مثل وجود الفتق الداخلي عند الطفل ومن انه إذا كان رأس الطفل حاراً وفيه حرارة فإنه سيشفى .

ونقرأ في بعض النصوص عن أطفال بلهاء أو بكم منذ الولادة وتوسع الخصيتين عند الطفل أو عنده تلكؤ بالكلام .

وجاءت نصوص قانون (حمورابي) الذي عاش ما بين عامي (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق.م) متضمنة نصوصاً لحماية الأطفال وتنظيم الأسرة وحفظ حقوقها ، وهناك نص يقضي بإعدام خاطف الأطفال ، ونص يفرض عقوبة على المرضعات اللاتي يقصرن في العناية بالأطفال الرضع المعهودين اليهن .

وأخيراً لابد من الاعتراف بأن المعلومات المتعلقة بطب الأطفال في التراث الطبي لبلاد ما بين النهرين والتي وصلتنا حتى الآن هي قليلة الا انها بصورة عامة ذات قيمة عظيمة في تاريخ الطب باعتباره أول كتابة شبه مستقلة في طب الأطفال على رأي بعض المؤرخين .

الطب المصري القديم

ويعتقد قسم من الباحثين بأن قدماء المصريين كانوا أول من مارس الطب على أسس سليمة. يقول الدكتور حسن كمال : « إن طب الاغريق لم ينبت في بلاد الاغريق كما اعتقد الناس أولاً ، بل كثيره مأخوذ عن قدماء المصريين» . وبعد أن يسرد الأدلة على ذلك يقول : «هناك إذن كل الأسباب التي تجعل الإنسان يعتقد ان الطب نشأ في وادي النيل وان مصر هي مهده ، وعلى ذلك فالذي يجب أن يحمل لقب قديس العبقرية الطبية هو أمحوتب المصري» لا «اسكلوبيوس الإغريقي» (٣٣ م ٣ ص ٢٢٠) .

قال («هيرودوست» ٤٢٨٤ــ ٤٢٥ ق.م) : إن المصريين عرفوا الطب معرفة جيدة وتخصصوا في افرعه ،فمنهم من توفر على أمراض النساء ومنهم من تخصص في أمراض العيون وقتئذ . إلا انه ليس هناك ما يشير إلى تخصص بعضهم في طب الأطفال .

رعاية الطفولة عند المصريين (٣٣م ١ص ٤٨٧) :

تتجلى هذه الرعاية عند قدماء المصريين في المحافظة على حياة الطفل (الوصفة ٥ ، ٨٢٨ ، ٨٣٩) والاهتمام بجودة لبن الطفل بالثدي (٥ ، ٧٨٨ ، ٧٩٦) وبكميته (٥ ، ٨٣٦) . وسلامة الثدي وارضاع الأم طفلها (٥، ٨١٠ ، ٨١١) وابعاد الحشرات المؤذية كالذباب (٥ ، ٨٤٥) والبعوض (٥، ٨٤٦) وقدسيتهم للرضاعة، وحكاية موريس من أولها إلى آخرها حكاية رعاية الطفولة وأورد ليففر (١٦ ل ٢) صورة لامرأة تحمل طفلها وإناء لبن لإرضاع الطفل منه .

وكانت كثرة وفيات الأطفال موجودة قديماً كما هي حديثاً . فقد ورد عن رمسيس الثاني انه انجب ١٧٠ طفلاً وذكر أحد موظفي المملكة الوسطى أنه رزق ٦٠ طفلا (٣٣م ١ ص ٦٨) .

وفطن المصريون إلى اهمية اللعب للأطفال ووجدوا فيها شحذاً لعقولهم ، وتسلية لأوقات فراغهم ، وعثر على الكثير من اللعب في مقابر المصريين كالكرات ، ودمى لطيور وحيوانات صغيرة ، كما اهتم المصريون بتدريب أبنائهم على مختلف أنواع الرياضة البدنية منذ نعومة أظفارهم (٤١) .

أما أمراض الأطفال التي ذكرت عندهم (٣٣ ص ٤٨٧) فكانت :

١ ــ النزلات المعوية :

اهتم بها قدماء المصريين (٢ ، ٣٠ ، ٤٨) والوصفة (٥ ، ٤٩) تشير إلى هذه الناحية . ويظهر انه كانت هناك عدة وصفات للنزلات المعوية لأن الكاتب قال في (٥ ، ٤٩) : ان «الوصفات تشبه بعضها» . وعنوان الوصفة (٥ ، ٤٩) «لطرد نوبات التبرز المؤلم العديد» وهو غالباً النزلات المعوية . ووجدت بأمعاء الأطفال بقايا فيران مما يدل على أنهم عالجوا أطفالهم بهذه الحيوانات ولا يزال هذا التداوي منتشراً في أوربا وفي مديرية قنا في مصر (٣٣م١ص١٠) .

٢ ــ التسنين : شرح (ورن دوسن) ادرار اللعاب وقت التسنين عند الأطفال «٣٣ ص١٢) .

٣ ــ التبوّل عند الأطفال : اهتم به قدماء المصريين ، فوصفوا العلاج لاحتباس البول (٥ ، ٢٦٢) . ولتنظيمه عند الأطفال (٥ ، ٢٧٢) . واعتبر قدماء المصريين لبن الأم وسيلة يمكن بواسطتها إعطاء الطفل العلاج ، فوصفوا الدواء اللازم للأم المرضع بقصد نزوله في لبنها (٥ ، ٢٧٢) وورد سلس البول عند الأطفال أيضاً في (٥ ، ٢٧٤) .

٤ ــ شلل الأطفال : (٣٣ص٤٠) ورد هذا المرض منقوشاً على شاهد قبر لكاهن اسمه (روما) بالدانمارك من زمن الأسرة ١٨ حوالي ١٥٠٠ ق.م وصفه (هامبورجر) (٢١ج١٠ص٤٠٧ ــ ٤١٢) بأنه مصاب بضمور عضلات الساق الأيمن وقصره ويسير معتمداً على عصاً .

وشخص الدكتور (جون متشل) شلل الأطفال في موميا عثر عليها بتري في دهشور (٣٧٠٠ ق.م) (٣٣م٣ص٢٣٥) .

٥ ــ الكساح : (٣٣م١ص٥١٢) هناك مايشير إلى وجود الكساح في مصر الفرعونية فهناك رسوم لأشخاص رؤوسهم كبيرة ووجوههم صغيرة وأطرافهم السفلى مشوهة وأقدامهم مفرطحة .

٦ ــ الختان : وردت رسوم قديمة تمثل هذه العملية على الآثار كما ورد ذكر الختان على القراطيس البردية ، بل وجدت موميات معمول لها عملية الختان ، ولم يتأكد للآن إذا كانت هذه العملية تعمل لكل الذكور (٣٣م٣ص٧٢) .

طب الأطفال عند اليونانيين

أما اليونان القدماء فقد أخذوا معلوماتهم الطبية عن مصر وبابل وكريت ، وكانت المعلومات الكريتية مأخوذة عن مصر . وقد رفع اليونان (اسكولابيوس) إلى مصاف الآلهة ودعوه إله الشفاء ، ثم انتقلت صناعة الطب من اسكولابيوس إلى أحفاده . لم يكن للعصر البيزنطي أثر على الطب العربي . (٤٠ ص١٩، ص٢٢) .

أشهر من كتب في طب الأطفال من الأطباء اليونيين ممن كان لهم أثر في كتابات الأطباء العرب كان :

أبقراط (٣٥٠ ق.م) :

أبو الطب اليوناني ، صاحب القسم الطبي المعروف . مؤسس أول مستشفى في التاريخ أول من دوّن صناعة الطب وشهرها وأظهرها ، والذي انتهى إلينا ذكره من كتب أبقراط الصحيحة نحو ثلاثين كتاباً (٥ص١٥) إلا أن ماله علاقة بطب الأطفال هو :

١ — كتاب في المولودين لسبعة أشهر .

٢ — كتاب في المولودين لثمانية أشهر .

٣ — كتاب الأجنة وهو ثلاث مقالات : المقالة الأولى تتضمن في كون المني ، المقالة الثانية تتضمن القول في كون الجنين ، المقالة الثالثة في كون الأعضاء .

٤ — بعض الفقرات في كتابه الفصول .

ومن أقواله في تكوين الجنين ، والطفل بصورة عامة نذكر مايلي (٤) :

— ومن قوة المني وضعفه يكون الذكر أو الأنثى .

— إن الجنين .. له كل ماللمني الذي كوّنه منه ، وكما أن البناء يشبه مايكون منه أعني المني وفيه من القوة والضعف كما يكون في المني منه .

- إن أوّل عضو يتكوّن ، الدماغ والعين .
- إن الذكر تتبين خلقته في اثنين وثلاثين يوماً وتتبين خلقة الأنثى في اثنين وأربعين يوماً .
- فإن ولد المولود في الشهر السابع أو التاسع عاش وإن ولد في الثامن لم يعش وذلك لأن أفضل الأعداد الفرد (*) .
- فأما قصر البدن وصغر المولود فإنه يكون من ضيق الرحم أو قلة غذاء الجنين .
- ينبغي للحوامل إن احتجن إلى العلاج أن يتعالجن في الشهر الرابع إلى الشهر السابع فأما قبل ذلك وبعده فلا .
- أسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ثم شاب مادام يشب ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ثم كهل إلى تسع وأربعين سنة ثم شيخ إلى سبع وستين ثم هرم إلى منتهى العمر .
- إن النساء والصبيان لايصيبهم صلع ولا نقرس .
- أما أسنان الأطفال فإن أبقراط صنفها على أربعة أجزاء أولها : وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً ... والفصل الثاني : هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم ، والفصل الثالث : فبعد نبات أسنانهم إلى وقت اثغارهم والفصل الرابع : من بعد اثغارهم إلى قرب إشعارهم وقرب بلاغهم .
- العلل التي تصيب الأطفال والتي ذكرها أبقراط في الفصول (٩٠ص٥٤) .

إن الأطفال متى يولدون يعرض لهم القلاع ،والقيء ،والتفزع ، وورم السرة ،ورطوبة الأذنين ، وإذا قرب نبات أسنانهم عرض لهم ورم ومصيص في اللثة ، وحميات ، وتشنج واختلاف لاسيما إذا نبتت الأسنان خاصة ، وربما عرض لهم ورم الحلق ، وحكة في الأذنين ، ورمد ، والتشنج يعرض للعليل من الصبيان ولمن كان بطنه معتقلة فقد ينبغي لذلك أن تتفقد هذه العلل والأعراض ويجتهد في جسها .

(*) هذه الغلطة نقلها الأطباء العرب وأصبحت لدى الكثيرين منهم يقيناً .

جالينوس (ولد عام ١٣٥م وتوفي عام ٢٠١م):

قال عنه ابن أبي أصيبعة : «وإنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن أن يساويه» (٥ص١٠٨) . لم نجد له في طب الأطفال سوى النزر اليسير من المؤلفات ، فما ذكره ابن أبي أصيعة من مؤلفات في هذا الباب هي :

١ ـ مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة أشهر .

٢ ـ تفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط .

٣ ـ مقالة يبحث فيها هل أعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها معاً أم لا ؟

٤ ـ مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان أم لا ؟

٥ ـ مقالة في اللبن .

أما أهم أقواله في طب الأطفال (٦٥ص٩٧ ـ ١٠٩) (٨٤ص٦٦ ـ ٦٧) :

ـ أوفق الألبان للمولود لبن أمه إذا كانت صحيحة وإلاّ فلبن ظئر تامة القامة ، معتدلة السمن سليمة البدن مذكرة ملذذة الخلقة من بنات خمس وعشرين سنة إلى ثلاثين سنة وأن ترضع بعد ولادها بشهر أو شهرين وكون طعامها معتدلاً خفيفاً .

ـ وينبغي لها أن تكد وتعمل ، وإن أكثر الصبي البكاء ألقمته لحم دجاج أو لحم الخنزير فإن ذلك يطيب بنفسه ، كثرة البكاء يدل على وجع ، فلتتوق موضع الوجع بالأركان وكرقصه ، وتتوقي عليه من شدة الرباط والحر والبرد ومن صوت شديد ومنظر هائل ، ولا ترضعه كثيراً فإن الامتلاء يورث الكسل .

ـ وإذا بلغ المولود وقت الأكل أطعم أولاً العسل .. فإذا شب غذي بأشياء حارة لطيفة ويمرخ في الحمام ويشرب الشراب لأنه خير له من الماء .

ـ وتنبت الأسنان في الشهر السابع أو بعده وكلما كان نباتها أبطأ كان أقوى لها وأشد لوجع الصبي وإن كان خروجها في الربيع فهو أسهل وإن كان في الشتاء عرض له استطلاق .

ـ إن من تدبير الصبي لزوم الدعة فإذا شب قليلاً يحول حركة معتدلة وأكل أغذية خفيفة فاذا كان زمن التأديب لزم الصراع والإحضار حافياً ويمنع من كثرة شرب الخمر ويدفع إلى معلم رحيم رفيق يدارية بالتخويف مرة وباللين لأن الصبي يربو بالسرور وينهك بدنه بالتخويف والتعب .

- فإذا بلغ اثنتي عشرة سنة وتعلم الخط والقراءة والنحو أخذ بعلم النجوم والمساحة — أعني الهندسة — ويعلم في الرابع عشر عهود الفلاسفة وعلم الطب الذي لايستغنى عنه في كل شيء من حالاته .
- إنه ينبغي أن يختار من الأوقات لفطم الصبي فصل الخريف واستواء الليل والنهار وغيوب الثريا لأن الشتاء يستقبله فيكون الإنضاج قوياً .
- إذا أردت أن يكون الصبي طويلاً مستقيماً مستوي القامة فاحفظه من الشبع والامتلاء من الأغذية .
- وله بعض الوصفات لمعالجة أمراض الأطفال التي كانت معروفة لديه وردت في كتابات الأطباء العرب .

روفس الافسيسي (٢٥) :

عاش في افسيس في زمن الامبراطور الروماني تراجان في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد . وأغلب الظن أنه تلقى دراسته الطبية في الاسكندرية .

لروفس مقالة في تربية الأطفال . وردت منها متقطفات في الحاوي للرازي . لكن القسم الأكثر عدداً من المقالة المذكورة احتفظ لنا بها أحمد بن محمد بن يحيى البلدي (حوالي ٣٨٠هـ) في كتابه : «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان» (٢٠) .

وما في كتاب البلدي من مقتبسات عن مقالة روفس المذكورة يزيد ثمانية عشر مقتبساً جديداً عما أورده اريباسيوس (*) في موسوعته . حظى موضوع رضاع الطفل والمرضع عند روفس بعناية خاصة ، فكتب فصلاً في الخصائص التي ينبغي أن تتوفر في المرضع وكيفية لبنها ، وما عليها أن تتبعه في الغذاء من أمور ليظل لبنها صحياً مغذياً للطفل وتناول أمراض الأطفال بالمعالجة فتحدث عن الأمراض الجلدية كالقرح والخراجات والبثور ونبات الأسنان ، والقلاع ، والكزاز ، وآلام الاذن ، والعينين ، وتعرض للعناية بالرضيع بذكر الاستحمام والتغذية الخاصة .

(*) أن ماأحصيناه من اقتباسات البلدي من أقوال روفس لدى تحقيقنا لكتاب البلدي كان أربعة عشر اقتباساً وليس ثمانية عشر كما ذكر .

ونختتم بحثنا عن الطب عند الأمم السابقة بهذا القول لصموئيل اكس رادبل RADBIL (٤٥) .

«عندما كتب سورانس (معاصر جالينوس) كتابه الكلاسيكي في الأمراض النسائية والتوليد أدخل فيه علاج الأطفال وأمراضهم ومن هنا أصبح نوعاً من الارتباط العضوي بين طب الأطفال والأمراض النسائية (*) لدى جميع من جاء بعده من كتـــــــاب البيزنطيين مثل باسيوس (٣٢٥– ٤٠٤) ايتيوس (٥٠٧ –٥٧٥) باولوس (٦٢٥ – ٦٦٩) والذين أضافوا إضافات كبيرة لطب الأطفال .

وسارعلى هذا النهج كذلك أوائل الكتاب الهنود من أمثال شاراكا ، وسوسرونا»».

وقال بأن سيلسوس بدأ يفرز طب الأطفال .. ونصحح لمعالجتهم على أنهم غير بالغين .

(*) نحن نختلف مع راديل في ذلك حيث أن السومريين هم أول من جعل ارتباطاً عضوياً بين طب الأطفال والأمراض النسائية قبل اليونانيين بمئات السنين كما ذكرنا سابقاً .

الفصل الثانى

الطفل عند العرب قبل الاسلام وبعده

* الطفل عند العرب قبل الاسلام
* الإسلام والطفل .

الطفل عند العرب قبل الاسلام

الطفل في اللغة والأدب :

الطفل في اللغة هو الولد الصغير من الإنسان حتى يميز فيسمى (صبياً) والعرب تستعمل اللفظين لمعنى واحد . والولد يطلق على الذكر والأنثى والفرد والجمع (٣٠) .

وللطفل في التراث الأدبي المنظوم والمنثور ذكر كثير (*) منه قول أحد الأعراب .

بنيتي اشمها ... فديت بنتي ... وفدتني أمها

ومن ترقيص الأعرابيات :

ياحبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد ... أم لم يلد قبلي أحد

ومن الأمثال المشهورة عند العرب «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض» .

معالجة الطفل عند العرب قبل الإسلام :

إن طب الأطفال عند العرب قبل الأسلام كغيره من فروع الطب كان مبنياً في الغالب على تجارب قاصرة ، ووصفات متوارثة قد يصح بعضها وكان عماد علاجهم الكي بالنار وكانوا يعتقدون أن سبب الأمراض أرواح شريرة ، لايشفي منها إلا الكهان والسحرة والمنجمون والمشعوذون . ومن تقاليدهم العلاجية بالنسبة لطب الأطفال على سبيل المثال :

- إذا خاف العرب على المرأة الحامل ووجدوا أن ولدها ميت في بطنها استخرجوه منها وجوزوا قيام الرجل بذلك وعبروا عن ذلك (بالسطو) (٧١ج٨ص٤٠٩) .
- ومن مزاعمهم أنه إذا خرج الطفل من بطن أمه عن طريق أرجله كان ذلك علامة سوء وفساد :

(*) المزيد من ذلك تراجع كتب الأدب ، فهي ملأى بالشعر والنثر والقضايا والمأثورات التي تنبيء عن أهمية الطفل ، لا يتسع المجال هنا للإحاطة بها .

- وإذا بثرت شفة الصبي ، حمل منخلاً على رأسه ونادي بين بيوت الحي (الحلاء الحلاء الطعام للطعام) فتلقى له النساء كسر الخبز والتمر واللحم في المنخل ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض (٧١ج٦ ص٨٠٩) .
- وإذا أرادت المقلاة أن يعيش ولدها ، ففي إمكانها ذلك أذا تخطت القتيل الشريف سبع مرات وعندئذ يعيش ولدها (٧٢ج٨ص٤١٩) :
- وإذا لدغ الطفل يعلق على اللدغة جلاجل وحلي حتى يفيق ولا ينام لأنهم يرون إن نام يسري السم فيه فيهلك (٧١ج٨ص٤١٠) .

تربية الطفل عند العرب قبل الإسلام :

اختلفت تربية الطفل عندهم حسب البيئة التي ينشأ بها الطفل .

فعند البدو كان الطفل يتربى وسط العشيرة ، يتعلم منها بالمحاكاة وعن طريق أبويه بعض الصناعات اليدوية البسيطة ، ويتدرب على الدفاع عن نفسه وقبيلته ، فيتعلم استعمال السلاح وحفظ الشعر والنثر وأخبار الحروب ، ليتغنى بقبيلته ويفخر بها ويتعلم أيضاً الخلق الجيد والعادات الحميدة كالوفاء بالعهد ، والإباء ، والشهامة ، والكرم ، وحسن الجوار .

إن ظروف حياتهم جعلت معظمهم لايعرفون القراءة والكتابة سوى قلة قليلة فلذلك لم يكن هناك تعليم بالنسبة للأطفال ، إلاّ أنهم كانوا يرشدون أطفالهم لبعض العلوم التي لها مساس بحياتهم ، كعلم النجوم والأنواء لمعرفة الاتجاهات والتنبؤ عن حالة الجو التي كانوا يتقنونها وكذلك علم العرافة والكهانة ، وممارسة شيء من الطب والصيدلة والبيطرة وبشكل بدائي .

أما تربية الطفل عند الحضر فكانت تستوجب إعداده إلى حياة أرقى ، فكان عليه إضافة إلى العلوم والآداب الموجودة عند البدو تعلم كثير من الصناعات والمهن والحرف الموجودة آنذاك ، كما كان على البعض منهم تعلم القراءة والكتابة والحساب وبعض من العلوم والمعارف الأخرى عند توفر من يقوم بتعليم ذلك في مايشبه الكتاتيب (*) .

(*) ذكر البلاذري بأن عدد الذين كانوا يعرفون الكتابة في مكة المكرمة عندما جاء الإسلام سبعة عشر كاتباً ، فتوح البلدان ص٤٧١ . وهناك من يقول : إن الذين علموا أولاد المسلمين القراءة والكتابة يزيد عددهم على الأربعين - محمد أسعد أطلس -التربية والتعليم في الإسلام ص١٥١ . ومهما يكن العدد فإن ذلك يشير إلى وجود مايشبه الكتاتيب عند العرب قبل الاسلام .

وكان التعليم في هذه الكتاتيب جماعياً وفردياً يقوم به المعلم أو المؤدب إما مشافهة أو كتابة على قطعة من الجلد أو سعف النخل أو ألواح الطين ، وشملت التربية بجانب الذكور الإناث حيث اشتهر عدد منهن بالذكاء والفصاحة ، وكان هناك عدد من الكاتبات منهن الشفاء بنت عبدالله العدوية (*) .

(*) كانت كاتبة في الجاهلية وأسلمت قديماً ، وكانت من المهاجرات ، وروي أن النبي (ص) قال لها بعد أن علمت حفصة الكتابة : «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» (المصنف ط١ج١١ص١٦ . وإنها كانت تعلم في الطب أيضاً .

الإسلام والطفل

أبدى الإسلام عناية فائقة بالطفل ، فأقسم سبحانه وتعالى بالولد في سورة البلد ، ونعته بأنه زينة الحياة الدنيا في سورة الكهف ، وهم قرة أعين في سورة الفرقان والقصص . وخصص له قدراً كبيراً من الأحكام التي تتعلق بحياته منذ تخلقه جنيناً إلى أن يصير رجلاً. نستعرض فيما يلي وبإيجاز الخطوط الرئيسية لهذا الاهتمام المميز بهذا الكائن الصغير الجسم العظيم الشأن .

أولاً : الطفل قبل أن يولد ويخلق

أسرة الطفل المسلم :

الأسرة في نظر الإسلام هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل وتتطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة (٨٤ص١٧٨) .

وتأكيداً لهذا كله نجده قد وضع ضمانات وضوابط لإنشاء الأسرة المسلمة وديمومتها وكان أول هذه الضوابط وأعظمها شأناً حسن اختيار الأب والأم على حد سواء . فأقر مبدأ التكافؤ بين الزوجين والتوافق الوجداني بين الطرفين بل وأمر به ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم» وجعل الإسلام أساس هذا التكافؤ الدين والخلق الفاضل .

فحث الرجل على البحث عن المرأة التي يجد فيها الأنس الروحي قبل اللذة بالقرب الجسدي ، ووجه نظره إلى الظفر بذات الدين في مقابل المرغبات الأخرى التي تنكح المرأة من أجلها يقول (صلى الله عليه وسلم) : «تنكح المرأة لما لها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه الترمذي) . وأوصاه أيضاً بوجوب البحث عن المرأة التي هي مظنة الإنجاب ، لتحقيق الغاية السامية من النكاح ألا وهي النسل ، لضمان

بقاء النوع البشري وكثرة المسلمين لأن في كثرتهم إرهاباً لأعدائهم يقول (صلى الله عليه وسلم) : «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (رواه أحمد) .

ولما كان الزواج في نظر الإسلام شركة بين الرجل والمرأة لذا نجده يقوم بإرشاد المرأة وأولياء نكاحها أيضاً أن يجعلوا الدين والخلق السامي أساس اختيار الزوج ليتم الانسجام بين هذين الشريكين وبالتالي لتستمر الحياة الزوجية السعيدة فتأتي ثمراً طيباً يقول (صلى الله عليه وسلم) : «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (أخرجه الترمذي) . كما يشترط مع ذلك توفر السلامة البدنية والصحية لدى الزوجين ضماناً لسلامة الطفل المنتظر .

والاسلام ايضاً يحرص على تهيئة الجو المفعم بالهدوء والاطمئنان الخالي من دواعي الاضطراب والتوتر عند المباشرة بين الزوجين ليثمر لقاءهما – بأذن الله – عن طفل سليم خلقاً وخلقا . فعن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله (ص) ايعجز احدكم اذا اتى اهله ان يقول ((بسم الله ، االهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتني فان قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان ابداً)) .

مسألة الوراثة :

ليس ادل على مسألة الوراثة مما يرويه ابوهريرة (رض) قال ((تزوج رجل امرأة من الانصار ، فقال رسول الله (ص) انظر اليها فان في اعين الانصار شيئاً)) ولعل في قوله (ص) ((ان الود يتوارث)) رواه البخاري مايشير الى وراثة الخصائص والصفات العقلية والخلقية وعلى شاكلة ذالك قول عمر بن الخطاب (رض) ((لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة اشهر الا خرج عائقاً (اي احمق غبي) (((٧٤ص٢١٠) .

وفي حديث آخر : «جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، فقال النبي هل لك من إبل قال نعم ، قال : فما ألوانها قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق قال : إن فيها أورق ، قال : عسى أن يكون نزعة عرق ، قال هذا عسى أن يكون نزعة عرق» (أخرجه البخاري) .

إن هذه الحقيقة العلمية التي أكدها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، توصل إليها علم الوراثة الحديث قبل سنوات ليست بالبعيدة ، حيث أصبح في حكم المؤكد علمياً بأن الطفل يأخذ بعض عوامل آبائه وأجداده الحسنة والسيئة فينتقل إليه من أصوله الخاصة القريبة والبعيدة صفات كثيرة منها مايتعلق بتكوينه الجسمي وبعضها الآخر يتعلق بتكوينه النفسي ، فإذا كان الأبوان من أسرة واحدة انتقل إلى أولادهما بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التي تختص بها أسرتهما لوجودهما في الأصلين معاً ظاهرة أو مستكنة ، على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندر أن يتحدا في صفة سيئة (٩٦) .

وعرف مسلمو القرون الاولى فوائد الابتعاد ، وتردد على السنتهم واقلامهم كلمة عمر بن الخطاب (رض) ((اغتربوا لاتضووا)(*) اي لاتتزوجوا القريبات كيلا يعتري اولادكم الهزال . وان هذا القول حقاً يعتبر وثبة طبية في علم السريريات الوراثية حيث اشار قبل اربعة عشر قرناً بالزواج بالاباعد حفظاً على النسل من الضعف والهزال .

تطور الجنين على ضوء ماجاء في القرآن الكريم :

نجد في القرآن الكريم آيات متعددة تتحدث عن اطوار نمو الانسان من ذلك قوله تعالى ((مالكم لاترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا)) (سورة نوح ١٤/٧١) .

قال الله تعالى : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» (المؤمنون آية ١٤) وفي آية أخرى يقول

(*) ذكرنا في الطبعة السابقة بأن هذا القول (اغتربوا لا تضووا) حديث عن الرسول (ص) وقد تأكد لنا مؤخراً بأن قول لعمر (رض) حيث جاء كذلك عند الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين ص٩٣ وعند النويري في نيل الارب ج١ص١٠ . وقد جاء في المغني للعراقي (حاشية على احياء علوم الدين للغزالي ص٢-٣١ حاشية ((قال ابن صلاح لم اجد له اصلا معتمداً قلت انما يعرف من قول عمر انه قال ((قد اضويتم فانكحوا في التوابع)) .

جل شأنه : «ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم» (سورة الحج) . هذه الآيات الكريمة معجزة من المعجزات في تناسقها وتتابع أجزائها ولا يستطيع أن يراها غير الطبيب الذي درس علم الأجنة وتفقه فيه ، فهذه الآيات درس في علم الأجنة بليغ ، وتشريع دقيق (٦٢ص١٢) . والآن لنستعرض تطور الجنين كما وردت في الآيات السابقة :

١ــ أصل الانسان «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» .

لقد خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) من طين ثم خلق الإنسان من نسل آدم من نطفة مسلولة من مخلوق من طين ، وما الطين إلا تراب وماء ومن الثابت علمياً أنه إذا تحلل جسم الإنسان أو الحيوان تحليلاً كيميائياً وجد أنه مركب من عناصر وأمشاج من جنس عناصر الأرض وأمشاجها .

ويقول تعالى في آية أخرى : «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» (سورة الأعراف آية ١٧٢) . إن الإعجاز في هذه الآية بين جلي حيث أن العلم الحديث وبعد تقدم علم تشريح الأجنة قدر أن يتوصل لهذه الحقيقة قبل سنوات ، فأصبح في حكم المؤكد بأن منشأ الخصيتين في الذكر والمبيضين في الأنثى ، في جسم الجنين هو في جزء خاص في الظهر عند أسفل الكليتين تماماً ومنه تنمو هذه الأعضاء وتبقى في الظهر حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ثم تنحدر إلى أسفل إلى موضعها الطبيعي المعتاد . وهناك من يولد وخصيته غير نازلة وباقية في مكان إنشائها في الظهر .

وفي آية ثالثة يقول عز وجل : «فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر» (الطارق الآيات٥ ، ١٠) . يقول اغلب المفسرين القدماء : إن هذا الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل (وهو المني) وترائب المرأة (أي عظام صدرها) وتبارك الله أحسن القائلين

اما التفسير الحديث وهو مانميل اليه فهو ، كما يقول الدكتور محمد علي البارفي كتابه (خلق الإنسان بين الطب والقرآن) «ان الخصية والمبيض انما يتكونان في الحدبة التناسلية بين صلبه وترائبه ... والصلب هو العمود الفقري ... والترائب هي الأضلاع ... وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط اي بين الصلب والترائب ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل الى كيس الصفن (خارج الجسم) في اواخر الشهر السابع من الحمل .. وبينما ينزل المبيض الى حوض المرأة ولا ينزل اسفل من ذلك . ومع هذا فأن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها .. اي من بين الصلب والترائب...))

٢ ــ مبدأ خلق الإنسان : «ثم جعلناه نطفة في قرار مكين» :

فسرت التفاسير النطفة بأنها ماء الرجل أو الأنثى ، وهناك من يرى أن المقصود بالنطفة الحيوان المنوي في ذلك السائل ودليلهم قوله تعالى : «وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى» (سورة النجم) . حيث فرق عزّ وجل بين النطفة والمني وبمعنى آخر بين الحيوان المنوي والسائل ، وذلك في وقت لم يكن يعرف فيه أحد أن المني شيء والنطفة شيء آخر ، وإنما كان المعروف أنه سائل أوماء . ولم تميز النطفة من السائل إلاّ حوالي سنة ١٦٨٠م حيث اكتشفت هذه الحيوانات المنوية بالمجهر (٧٨ص١٣) وهذه واحدة من المعجزات التي لا تحصى في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومما يزيد هذا الامر تأكيد اقوال النبي (ص) «مامن كل الماء يولد الولد» (رواه مسلم) وانما يكون الولد من جزء يسير من هذا الماء .

وهذا الامر لم يعلم الا في القرن العشرين حيث عرف ان الحيوانات المنوية انما تشكل ٢/١ بالمئة من مجموع المني .. واي جزءاً يسيراً جداً جداً من هذا النصف بالمئة وهو الحيوان المنوي هو الذي يجعل الله له الحظ في تكوين الولد (٢ص٤ ــ ١٥) .

ويقول تعالى : «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً» (سورة الدهر) . لقد فسر معظم المفسرين النطفة الأمشاج بأنها أخلاط من مني الرجل وماء المرأة الممتزجين المختلطين ، ففي اللغة مشج الشيء خلطه ، وهذا ماأثبته الطب حيث أن باتحاد الحيوان المنوي للرجل

مع بويضة الأنثى ينقل إليها مافيه من صفات الذكر فينشأ الجنين حاملاً خواص الوراثة لكليهما ، يشبه أبويه أو أجداده جسماً وعقلاً . ويؤكد هذا التفسير قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله اليهودي : «يامحمد مم يخلق الإنسان ؟ قال يايهودي من كل من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» (من حديث القاسم حسنه أحمد) .

أما القرار المكين الوارد في الآية فهو رحم الأم ، حيث أنه حقاً لقرار مكين ، متين ، وعجيب في تركيبه ، متحصن قوي في موقعه ، إذ تربطه وتثبته ألياف وأربطة قويــــة ويحمله ويحفظه حوض مــن عظام متينة . كما وأنه إضافة لهذا الحصن الحصين الذي يستقر فيه ، فهو داخل الرحم محاط بظلمات ثلاث فهو كما قـال تعالى «يخلقكم في بطـون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث)قال المفسرون ان الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة .

واذا دققنا النظر في جدار البطن وجدناه مكوناً من ثلاث طبقات. ووجدنا عضلات جدار البطن ثلاث ١ ــ العضلة المائلة الخارجية Ext. obique ٢ ــ العضلة الداخليـة Int. Oblique ٣ ــ العضلة المستعرضة Transversalis

وكذلك جدار الرحم مكون من ثلاث طبقات ١ ــ الغشاء البريتوني والطبقة العضلية ثم الطبقة الداخلية لغشاء الرحم .

والمشيمة مكونة من ثلاث طبقـات ١ ــ غشاء السلي Amnion المحيط بالجنين ٢ــ غشاء الكوريون او الغشاء المشيمي ٣ ــ الساقط وهو جزء من الغشاء الداخلي للرحم وبين الجنين والاغشية ماء وقاية له من الصدمات .

وحفظاً على درجة حرارة جسمه . والظلمة مهمة جداً في نمو الجنين حيث وجد ان الضوء يعيق مراحل النمو المختلف .(٢ص٧٦) .

٣ ــ دور العلقة : «ثم خلقنا النطفة علقة» :

هناك تفسيران لما تعنيه هذه الآية الكريمة ، فالرأي الأول يقول : لما كان معنى(العلق) في اللغة هو كل ماعلق ، فإن الآية تعني أن البيضة بعد أن تلقح باختراق الحيوان المنوي

لجدارها تسير إلى الرحم ثم تعلق في الغشاء المخاطي للرحم وتنغرس فيه كأنها جسم مغلق في داخل الغشاء المخاطي للرحم مستمسك به .

أما أصحاب الرأي الآخر فهم يقولون بأن الحيوان المنوي بعد أن يتحد بالبويضة حتى يصبح شكله كالعلقة ودليلهم في ذلك الآية الكريمة في سورة إقرأ «إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق» حيث أن فيها تأكيداً على وجود الحياة في العلق . وهذا الرأي الأخير هو الأرجح على ماأعتقد .

٤ ــ دور المضغة : «فخلقنا العلقة مضغة» .

من الثابت علمياً بأن البويضة الملقحة سواء بعد أن تعلقت بجدار الرحم ، أو بعد أن صار شكلها كالعلقة تأخذ بالانقسام بسرعة وتتحوّل إلى مضغة خلال ١٥ ، ٢٠ يوماً مشكلة ثلاث طبقات من الخلايا تتكون منها كل أنسجة الجسم فيما بعد وهذا يعني أنها مخلقة لأن جميع الأنسجة والأعضاء تخلق منها كما جاء في قوله تعالى : «ثم من مضغة مخلقة» أما قوله عز جلّ «وغير مخلقة» فالمعنى أنك لو نظرت إلى هذه المضغة اللحمية في هذا الطور لرأيتها أمام العين غير مخلقة حيث لم تتميز فيها الأنسجة ولعدم تمام خلقتها وإن كانت في الحقيقة مخلقة (٧٨ص٢٦) .

٥ ــ دور تكوين أجهزة الجسم : «فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» .

وهكذا يخبرنا القرآن الكريم بما يؤكده العلم اليوم بأنه بعد دور المضغة وفي نهاية الأسبوع الرابع تظهر مراكز التعظم التي يتكوّن منها فيما بعد السلسلة الفقرية وبقية العظام ثم تقوم خلايا أخرى فيما بعد بإكساء هذه العظام بطبقات من اللحم والعضلات وخلال ذلك وبعده يتم تكوّن الأعضاء المختلفةوفي نهاية الشهر الرابع ينفخ فيه الروح ويتميز جنس الجنين ومع مرور الأيام يصبح بشراً سوياً ليولد في النهاية في أحسن تقويم

قال تعالى « ولقد خلقنا الأنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين » (المؤمنون ٢٣/١٢ ــ ١٤» .

ان المذهل حتما هو أن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة قد اكدت بما لايدع مجالا للشك المراحل التطورية للجنين بينما لم تعلم البشرية شيئا من هذه المراحل الا في العصور الحديثة .

وكان اول ذكر لهذه المراحل التطورية للجنين هي نظرية وولف (١٧٢١)م التي لم تقبل في الدوائر العلمية الا في اواخر القرن التاسع عشر وتأكدت بما لايقبل الشك في القـــرن العشرين .

العناية بالجنين

أوجبت الشريعة على الزوجين الطهر والعفة والنظافة حسيا ومعنوياً ، حرمة للجنين وسلامة له من كل مايصيبه من لوث اوأذى . وقد أثبت العلم الطبي بأن عبث الآباء او إصابتهم بالمرض الجنسي يسري على الأولاد ويسيء اليهم في تكوينهم وصحتهم . لذلك أمر الأسلام بالعفة والطهر فقال : « صلى الله عليه وسلم» « بروا آباءكم تبرّكم أبناؤكـــم وعفو تعف . نساؤكم» (٦٢) .

ولما كانت رعاية الجنين في بطن أمه هي حفظ لحياة تلك الوديعة التي أودعها الله تعالى في الرحم ، كان من الواجب على المرأة ان تحافظ عليه ولاتعرضه للتلف والسقوط ويتحقق ذلك الأهتمام بتناولها الغذاء السليم والحفاظ على نفسها من التعرض للأمراض الجسمية والمؤثرات النفسية السيئة . لذلك نجد الأسلام قد أباح للحامل الإفطار في رمضان إذا خافت على نفسها او على الجنين . وحرم الأعتداء على الجنين بالإسقاط سواء كان ناشئا من علاقة مشروعة او من سفاح (٨٦) . فالإجهاض غير المشروع طبياً في نظر الشارع جريمة يستحق فاعلها العقاب خاصة بعد نفخ الروح فيه (وهو كما يقول الفقهاء اربعة أشهر) .

ثانياً : أطوار نمو الطفل وتربيته في الإسلام

لقد راعى الأسلام مراحل نمو الطفل واهتم بخصائص كل طور وما ينبغي ان يفعله المربون في كل منها ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : « الغلام يعق عنه يوم السابع . ويسمى ويماط عنه الأذى ، فإذا بلغ ست سنين أدب ، فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه . فإذا

بلغ عشر سنوات ضرب على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثــم أخذ بيده » .

ويقول عمر (رضي الله عنه) : « لاعب ابنك سبعاً وأدّبه سبعاً وعلمه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه» .

الا ان ايراد التقسيم على هذا الشكل لايعني ان هناك فواصل ضرورية بين كل مرحلة ولكنه يشير بالدرجة الأولى الى طبيعة كل منها حتى تكون التربية مراعية لها ، والتداخـل بين هذه المراحل أمر واقع مافي ذلك شك وفيما يلي سوف نستعرض خصائص كل طور من أطوار الطفولة حسب التقسيم الحديث لها ومن وجهة النظر الأسلامية .

١ ــ الطفولة المبكرة : (وتقع مابين الميلاد والسادسة تقريباً) .

ان اول شيء يقدمه الأسلام للطفل ذكراً كان او انثى هو حق الحياة . وذلك برفض التقاليد البالية التي كانت عليها الجاهلية من قتل الأولاد خشية الأملاق ، ووأد البنات خشية العار وهذا ماقرره الحق سبحانه في قوله: «ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً» (سورة الإسراء الآية ٣١) .

ومن الحقوق التي كفلها الأسلام للطفل ثبوت نسبه من والديه ، وذلك بنشوئه من علاقة شرعية صحيحة حفظا له من الضياع والذل والأحتقار (٨٦) . يقول تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً» (سورة الفرقان الأية ٥٤) .

على ان الأسلام بالرغم من اعطائه هذه الأهمية العظيمة لمسألة النسب ، نجده يولي اللقيط ــ غير معروف النسب ــ أيضاً أهمية خاصة فلم يأخذه بجريرة أمه بقوله تعالى «ولاتزر وازرة وزر اخرى» . (سورة الإسراء الأية ١٥) بل اوجب على من يلتقطـــه أن يرعاه حتى يسلمه للمسؤولين في الدولة يقول (صلى الله عليه وسلم) : « السلطان ولي من لا ولي له » . كما اوجب على المؤسسة المسؤولة رعايته حتى يكبر . قال عمر (رضي الله عنه) حين جاءه رجل بلقيط : « نفقته علينا ــ أي بيت المال ــ وهو حر» . وللمؤسسة حق اعطائه لأحد المسلمين الذين يرغبون الأنفاق عليه وتربيته ، (*) على ان يسجل باسم

(*) ألغى الإسلام نظام التبني الذي كان معروفاً في الجاهلية . قال تعالى «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم» وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة .

ابيه ان عرف. قال تعالى : «أدعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » (سورة الأحزاب) .

لقد اكد علماء النفس على أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل ، ففيها ترسم الخطوط العريضة للشخصية وتوضح فيها بذور الصحة النفسية . ويعني هذا ان كل شيء يتصل به ينبغي ان يختار بدقة ووعي فاسمه الذي يدعى به له أهمية بالغة لما للاسم الحسن من وقع على نفس المسمى وعلى ذويه ، وهذا ماسبق الإسلام واكده على لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم(« انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فحسنوا اسماءكم» (رواه ابو داود) .

ثم بعد ذلك حرص الأسلام في هذه المرحلة على ان يظل الطفل في كنف والديه لأنه في أمس الحاجة الى حنان الام ورعايتها وحب الأب وعطفه وهي كلها أمور غريزية لا يمكن باي حال من الأحوال ان تحل محلها المؤسسات البديلة كدور الحضانة مثلا (٩٤) لذا نلاحظ ان القرآن الكريم يسند الرضاعة الى الوالدة(الأم الحقيقية) لانها تمثل — بجانب امومتها البيولوجية — الأمومة النفسية فبالرضاعة تتكون علاقة وثيقة بين الطفل وامه، يسهل من خلالها تعليمه انماط السلوك المختلفة واكسابه مايراد له اكسابه من الضوابط والأداب والأخلاق الحميدة . وكذلك يعهد للأب تأمين كل مامن شأنه ان يساعد الأم على اداء وظيفتها التربوية فاوجب نفقة الطفل على ابيه في حياته وقدرته. قال تعالى «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس الا وسعها لاتضار والدة بولدها » (سورة البقرة الأية ٢٣٣)«وان دور الأب في التربية الأسلامية ليس مقصوراً على الأنفاق والكسوة وانما يتعدى ذلك الى تهيئة الجو النفسي الملائم لكي تتفرغ الأم تفرغاً كاملا لمهام الأمومة والتربية .

وقدبلغت رعاية الأسلام للصغار حدا منع الأباء بسببها ان يوصوا بعد موتهم لأكثر من الثلث ، وذلك صيانة لصغارهم من الحاجة والعوز والفقر (٨٦) وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن ابي وقاص : « الثلث والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس في ايديهم » (انظر البخاري ومسلم) .

ومن اهتمامات الأسلام الأساسية ليست بالنسبة لهذه المرحلة فقط ولكن بصورة عامة مسألة النظافة ، فقد جعلها شعبة من الأيمان ، كل ذلك وقاية للمجتمع من الأمراض ، وانطلاقاً من ذلك أمر بأن يؤخذ الطفل بعمل كل ماهو طيب وحسن ، يقول (صلى الله عليه وسلم) « مضمضوا من اللبن» ، كما وهناك تأكيد على استعمال السواك لتنظيف الأسنان والوقاية من تنخرها ، كما سن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الختان ، وقد كانت مشروعة من قبل في الاديان السماوية قال (صلى الله عليه وسلم) : « الفطرة خمس ١ لأختتان والأستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر وتنظيف الأبط » (أخرجه البخاري ومسلم) . وقد أجمع علماء الطب الحديث على ان الختان مانع من اصابة العضو بالسرطان فقد ثبت قلة حدوثه عند المسلمين وشيوع ذلك لدى النصارى لعدم قيامهم بالختان .

والأسلام العظيم يأخذ بمبدأ الوقاية من الأمراض ، ويأمر بذلك لقوله عز وجل : «وخذوا حذركم » (سورة النساء) ، على الرغم من نزول هذه الأية في مسألة الحرب الا انها تحتمل المعنى الذي قصدناه .

أما الناحية التربوية بالنسبة للطفل في هذه المرحلة فقد اكد الأسلام على ضرورة توجيه الطفل الوجهة التربوية الصحيحة منذ الصغر ، روي عنه (صلى الله عليه وسلم) انه قال : «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر » وقال علي كرم الله وجهه : قلب الحدث كالأراضي الخالية ماالقى فيها من شيء قبلته » وانما كان ذلك لان الصغير افرغ قلباً واقل شغلا وأيسر تبذلا واكثر تواضعاً (٩٢) .

كما أكد على ان اول من يتأثر الطفل بهم والداه ، حيث ان لسلوكهما أثره البارز ودوره الكبير على الطفل ، فمتى كانا قدوة حسنة له كان سلوكه حسنا ومتى كان الضد كان سلوك الطفل معوجاً بعيداً عن معاني الخير والهدى والصلاح ، لأن الطفل في نظر الإسلام يولد على الفطرة يقول تعالى : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً» (سورة النحل) ويقول (صلى الله عليه وسلم) : « كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه اوينصرّانه اويمجسانه» (متفق عليه) .

وفي سنة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) القولية والفعلية نجد نموذجاً أعلى لما ينبغي مراعاته في العملية التربوية ، فلاشدة ولاغلظة ولكن رحمة ورأفة ولاكبت لغريزة

فطرية وانما توجيه لها (٩٤) وتهذيب. لذلك كان اللعب مع الأولاد وتفريحهم من عادة الرسول ، فقد جاء في حديث جابر بن سمرة : « ان النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى صبية يتسابقون فجرى معهم . وكان يلقي الصبي في الطريق فيركبه ناقته ولايزال يداعبه حتى يدخل السرور على قلبه » (٦٠) . وقال (صلى الله عليه وسلم) : « من كان له صبي فليتصاب له» . أي ينزل الى مستوى الصبي . وكان (صلى الله عليه وسلم) : « يدخل على عائشة (رضي الله عنها) وهي تلعب بالبنات – اي اللعب – فلاينكر عليها (٨١ ص٣٦) .

وأثر عنه (صلى الله عليه وسلم) انه كان يقبل الحسن (رضي الله عنه) فرآه الأقرع بن حابس فقال : « إن لي عشرة من الولد ماقبلت احداً ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : أوأملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة ، من لايرحم لايرحم » (سيرة ابن هشام) .

وهناك الكثير من المواقف والأفعال في سيرته (صلى الله عليه وسلم) وسيرة صحابته من بعده ، تشير الى مكانة الطفل ورعايته لايتسع المجال هنا لحصرها جميعاً وسنكتفي بذكر قصة احد الولاة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه) اضافة لما ذكرناه سابقاً : « دخل على أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه(احد ولاته فوجد عمر مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال حوله ، فسأله عمر كيف أنت مع أهلك ؟ فأجاب اذا دخلت سكت الناطق . قال عمر : اعتزل عملنا ، فإنك لاترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) »؟ فعمر بهذا يعطي درساً في حسن معاملة الأطفال والسعي في إدخال السرور عليهم ، ليربوا تربية حسنة بعيدة عن الخوف والجبن ويظهروا بمظهرهم الطبيعي حتى يمكن تقويمهم وتهذيبهم (١ ص٣٨) .

٢ – الطفولة المتوسطة : (وتقع مابين السادسة والثانية عشرة) .

ان السمة البارزة لهذه المرحلة هي ظهور الحاسة الأجتماعية والدينية بشكل اكثروضوحاً ومن ثم فقد لاحظنا في النص الذي نقلناه من قبل منسوباً الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه انه يجعل (التأديب) من اهم خصائص هذه المرحلة وذلك بتعويده عن طريق الممارسة على المعاني الفاضلة (٩٤) ، كالصدق الذي هو أساس لكثير من الفضائل وضدها الكذب يقول (صلى الله عليه وسلم) : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي الى البر والبر يهدي

الى الجنة ، واياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدي الى النار » (أخرجه مسلم) . والعدل بين الأولاد قال (صلى الله عليه وسلم) : « اتقوا الله واعدلوا ، بين اولادكم» (أخرجه البخاري) .

ومن الضوابط التي اشترطها الأسلام في هذه المرحلة التفرقة بين الأبناء في المضاجع كما جاء في الحديث : « وفرقوا بينهم في المضاجع » وقوله (صلى الله عليه وسلم) ايضاً «فإذابلغ سبع سنين عزل فراشه » . وفي هذه المرحلة يرسل الى الكتاب اوالمدرسة ويربى تربية كاملة جسمية وعقلية واجتماعية ، ففي الحديث : « حق الولد على والده ان يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » (انظر الجامع الصغير للسيوطي .) ويقول عمر (رضي الله عنه) «علموا اولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثباً» (٦١) .

كل ذلك ليهيء الذكر في المستقبل كرجل يحمي الديار ويقوم بكسب الرزق ، اما الأنثى من الطفل فتعلمها امها كيف تكون اما صالحة فتعطيها من الألعاب ، مايهيئها لذلك (٥٣ ص٣٢) .

ولم ينس الأسلام ، اليتيم ، بل جاء ذكره في القرآن الكريم — ٢٣ مرة وفي الحديث مرات أكثر وشملت هذه الأيات والأحاديث الإحسان لهم ومعاملتهم باللطف والأبتعاد عن ايذائهم نفسياً ، يقول عزّ وجلّ : « فأما اليتيم فلا تقهر » (الضحى الأية ٩) .

ويقول (ص) : « خير بيت فيه يتيم يحسن اليه» (أخرجه ابن ماجة) . وبقية الأيات والأحاديث حذرت من الأقتراب من اموالهم بل حثت على تنميتها واكدت على اكرامهم بكل الوسائل وعدم غمط حقهم ومساواتهم مع غيرهم بكل مافيه مصلحة لهم.

اما من ناحية التربية الدينية فان الأسلام قد اوجب على الأباء، التبكير في تعويد ابنائهم على اوامر الدين وقيمه منذ ان يكون لديهم نوع من التمييز ، ففي الحديث : « مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» ، وهذا يتفق تماما مع النتائج العامة للدراسات النفسية التي اثبتت ان الفترة بين العاشرة والعشرين هي الوقت الذي تحدث فيه اليقظة الدينية بأعلى النسب ، ونلاحظ هنا ايضاً تدرّجاً في التربية لايفاجأ الطفل بثقل الأوامر

الشرعية عندما يبلغ حد التكليف الشرعي . ومما لاشك فيه ان الطفل في هذه المرحلة قد يقع في تفسيرات خاطئة للمفاهيم الدينية والدنيوية وهنا يحتم الأسلام على الأبناء والمربين ان يحكموا تربيته ويحسنوا تأديبه ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : « الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم» (رواه ابن ماجة) .

على الايأخذوه بالشدة والعنف بل بالرفق واللين يقول (صلى الله عايه وسلم) : « ما كان الرفق في شيء الا زانه» (أخرجه مسلم) .

ويقول الأمام علي(رضي الله عنه) : «لاتقسروا اولادكم على تربيتهم فإنهم مخلوقون لزمن غير زمنكم » .

هذا من الناحية النظرية ، واما ما يتعلق بالمواقف العملية ، فالقدوة الحسنة والمثل الحسن فيها هي خير وسيلة للتدريب على اوامر الدين .

قال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) سورة الأحزاب الاية ٢١ .

والرسول عليه الصلاة والسلام كان ينتهج هذا المنهج وذلك حين قال للصحابة : «صلوا كما رأيتموني اصلي » .

والأسلام يلزم ذويه ان يكونوا صورة طيبة لما يأمروه من آداب

«ياايها الذين امنوا لم تقولون مالاتفعلون ، كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون» سورة الصف الايتان ٢ ، ٣ . كما يرفض ان ينهى عن فعل شيء ويؤتى ذلك من احد والديه يقول عمر (رض) « كفى بالمرء غيا ان يعيب شيئاً ثم يأتي مثله » ٨٨ج ١ص٣٣

٣ ـ الطفولة المتأخرة : (وتقع مابين الثانية عشرة حتى كمال الرشد) .

ان هذه المرحلة تعني في التصور الأسلامي مرحلة التقارب بين الأبن وأبيه ، فيها يربى جسمياً ودينياً وخلقياً ونفسياً وعقلياً .

أما جسمياً : فيكون بأرشاده الى كل مايؤدي الى تقوية الجسم وسلامته وذلك بممارسة أنواع من الرياضة البدنية ، كالمصارعة ، والرماية ، وركوب الخيل ، والسبق عليها ، والسباحة ، والجري . وفي سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحاديثه قدوة حسنة .

أما دينياً : فإن الزم مايلزم الناشئين في هذه المرحلة ، التربية الدينية المناسبة ، ويكون

ذلك بالوصول الى وجدان الناشيء وضميره وتنقية عاطفته الدينية ،وربط جوانب شخصيته بحبل العقيدة والتعاليم الروحية واحكام صلته بخالقه عن طريق اتصاله بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) (٩١ ، ص١٤٠) .

اما خلقياً : فالاسلام يشترط تعويده أحسن العادات واكرم الأخلاق وأجمل النظم وفي ذلك لايكتفي بالقول العابر والنصح المجرد دون القدوة الحسنة(ظاهراً وباطنا)من الوالدين وأفراد الأسرة وحتى المعلمين في المدرسة ، حيث لاقيمة للتوجيه والمناهج التربوية النظرية البحتة على سلوك الطفل وشخصيته دون تحويل ذلك الى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وافكاره ذلك التوجيه وتلك المناهج .

كما يعطي الأسلام اهمية خاصة الى حسن اختيار جماعة الأصدقاء والأتراب لما في ذلك ايضاً من أثر جم على الأخلاق ، يقول (صلى الله عليهوسلم) : « المرء على دين خليله ، فلينظر من يخالل» .

وقد أقرالأسلام الغرائز ولكنه هذبها بالتعليم والتربية فأقر له غريزة حب التملك على ألا يتجاوز الحدود فيطمع في مال الغير فيصاب برذيلة الحسد وهي اساس البغضاء بين الأخوة . وأقر له الغريزة الجنسية فهو يتعلم كثيراً من الأمور الجنسية بصورة غير مباشرة حين يتعلم شروط العبادات ويشجع الأسلام الزواج المبكر اشباعا لغريزة الجنس وصوناً للفرد والمجتمع من الأنحراف والشطط ويرى الأسلام في العقاب وسيلة اضطرارية لتنظيم حياة الطفل ولايلجأ للعقاب الا بعد ان تتخذ جميع الوسائل الأخرى وبعد ان يهيء المجتمع النظيف الذي تقل فيه الجريمة .

وحرص الأسلام في التربية الخلقية والأجتماعية على ابراز الشخصية المستقلة للمسلمين ولم يسمح بتقليد عادات وتقاليد وثقافات الأمم الأخرى التي لاتتفق مع مفاهيم الأسلام ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : « من تشبه بقوم فهو منهم » . الا انه فصل بين مايتصل بتكوين الشخصية المستقلة من فكرة وثقافة وتقاليد باعتبار ذلك امرا خاصاً بها وبين ما يتصل بالعقل والعلم باعتبار العلم تراث الأنسانية كلها ،ففي الوقت الذي شدد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على منع التقليد والتشبه بالغير والذوبان فيه ، حرص على ان يعلم

اصحابه القراءة والكتابة عن طريق الأسرى المشركين في معركة بدر ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها » ، وبذلك يوجه الى التقاط العلم أينما وجد .

وملخص القول : ان غاية الأسلام هنا تقديم انسان متكامل في كل النواحي ، الى الحياة بحيث لايكبت فيه امر فطري فيحدث من ذلك الكبت والقلق والأضطراب ولايترك أمر أدائه دون ضوابط .

اما نفسيا فان التربية الأسلامية تشبع حاجات الأولاد النفسية اشباعا كافياً ومتوازنـاً وذلك اولا بتوجيه استجابات الأبوين الأنفعالية المفعمة بالحب نحو الذكور والأناث على حد سواء واشعار الولد (ذكرا كان او انثى) بدفء القبول فقد سوى الأسلام في القيمـة الأنسانية بينهما .

« كانت عائشة رضي الله عنها اذا ولد فيهم مولود — يعني في اهلها — لاتسأل غلاماً ولاجارية ، تقول خلق سوياً ، فان قيل نعم ، قالت الحمد لله رب العالمين» رواه البخاري. وثانياً: باشعار الولد بانه موضع تقدير واعتبار من الأخرين كما يجب ان يعامل كفرد له قيمة . روى مسلم « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره اشياخ ، فقال للغلام أتأذن لي ان اعطي هؤلاء ، فقال الغلام لاوالله لا اؤثر بنصيبي عنك احداً » .

ولاأدل على معاملة الصبي كفرد له قيمة من مبادرة الكبار له بالتحية والسلام اذا التقوا به « فعن انس رضي الله عنه انه مر على صبيان فسلم عليهم ، وقال كان رسول الله (ص) يفعله» . وفي تحية الكبار للصغار معان تربوية عظيمة فهي بمثابة اعلان من عالم الكبـار انهم واعون بعالم ابنائهم من المسلمين الناشئين .

فالصبي اذا ماتوفر له هذا الجو النفسي المفعم بالقبول والتقدير والحب كان ذلك ضمانا له من الأنحرافات والأضطرابات النفسية .

اما في مقام التربية العقلية : في هذه المرحلة فقد أمر الأسلام تعليم الأولاد وتغذية عقولهم بسائر المعارف والعلوم ابتداء من العلم الديني لانه الوسيلة الى سعادة النفوس وعلى هديـه

تسير حياة الناس راضية مرضية ، قال تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون (سورة الزمر) .

وأول مانشأ التعليم في الأسلام كان في المساجد وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) اول معلم في الأسلام ،حث اصحابه ممن يعرفون الكتابة والقراءة ان يعلموا اولاد المسلمين فكان عبدالله بن سعد بن ابي وقاص يعلمهم ، وعبادة بن الصامت يلازم أهل الصفة يعلمهم القرآن الكريم والكتابة ايضاً وغيرهم كثير .

وساوى الأسلام ايضاً بين النساء والرجال بالتعليم وجعله واجبا على كل منهما قال (صلى الله عليه وسلم) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم» فحث المسلمات على التعلم فكانت كل من الشفاء بنت عبدالله العدوية وكريمة بنت المقداد ، وام كلثوم بنت عقبة وعائشة بنت سعد قد اوقفن أنفسهم لتعليم المسلمات القراءة والكتابة .

جعل الأسلام التعليم الألزامي من حق الولد على والده ان يعلمه فإن عجز عن تعليمه أو كان يتيما ، فينفق عليه من بيت المال (٤٣) واعطى الأسلام فرصاً متكافئة في التعليم للجميع على اختلاف طبقاتهم روي عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله: « ايما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم ، حشر يوم القيامة مع الخائنين » (٦٦ ص١٦٧) .

وقام الخلفاء من بعده بالعناية بتعليم النشئ وتوجيهه الى ماينفعه ففتحت الكتاتيب لتدريس الأطفال والصبيان منها في زوايا المسجد اوملتصقة به اومستقلة عنه بعد انتشار التعليم وتعددت الكتاتيب بمرور السنين . وكان التدريس على شكل حلقات تبدأ بقراءة القرآن وتعليم أصول الدين والكتابة والحساب والشعر واللغة وبقية العلوم ، حسب مايحتاجه الطفل في حياته العملية . ثم تحولت هذه الكتاتيب الى مدارس نظامية ودور للحكمة حتى ظهرت الجامعات بعد فترة قصيرة من عمر الزمن .

وهكذا ينادي الأسلام في تربية الطفل بالتعادل بين مطالب الأنسان المختلفة سواء كان ذلك في الجانب المادي اوالوجداني اوالعقلي . ويرسم لذلك الأطار العام الذي تتحرك من خلاله عمليات التوجيه،هادفاً الى تحقيق رسالة الأنسان على ظهر الأرض مراعياً الظروف الملائمة التي تأخذ بيد المربين الى الهدف المرسوم (٩٤) .

الفصل الثالث

الأم والطفل عند الأطباء العرب والمسلمين

* الأم من الحمل حتى الولادة .
* تطور نمو الجنين (علم الأجنة) .
* المولود حديث الولادة .
* تغذية الطفل .

الأم من الحمل حتى الولادة

من الحقائق العلمية الثابتة ان الأهتمام بالطفل والأم الحامل امران متلازمان ، وذلك لان الجنين خلال فترة الحمل التي يتكامل فيها نموه يعتمد على جسم الأم اعتماداً كلياً فهي تمده بعناصر النمو ومقومات التكوين ، فإن كانت سليمة متعافية كان جنينها صحيحاً معافى وان كانت سقيمة عليلة نما الجنين مريضاً هزيلا ، الا أن هذه ليست جديدة فقد عرفها الأطباء العرب والمسلمون ، حيث خصصوا جزءاً لابأس به من كتبهم للاهتمام بالأم الحامل ، لقد تركزت اهتماماتهم بها في النقاط التالية : ــ

١ ــ صفة المرأة التي تقبل الحمل :

ان الصفات التي اشترطوها للمرأة المهيأة للحمل تكاد تكون في جملتها مقبولة علمياً نوجز فيما يلي ماذكره البلدي في هذا الباب كمثال لذلك ، يقول البلدي (٢٠ص١٠)

- ان تكون معتدلة في مزاجها ومعتدلة الحال في رحمها .
- ليست بالقصيفة اليابسة ولابالسمينة .
- ليست مذكرة جدا ولامسترخية الأعطاف جداً .
- وتكون من ابناء خمسة عشر سنة والى تمام الأربعين .
- وتكون سهلة النظر ، معتدلة العقل واسعاً خصرها وبطنها .
- يكون طمثها يجري في اوقاته .

٢ ــ علامات الحمل :

ان الأعراض التي ذكرها الأطباء العرب للحامل قبل الف سنة تقريباً مازالت معظم النساء الحوامل يعانين منها ، نذكر فيما يلي ماذكره البلدي ايضاً في ذلك (٢٠ ــ ص١٠) .

- انقطاع الطمث (ان رأيه وتفسيره لهذه المسألة لايختلف عما نؤكده اليوم في الطب الحديث) .
- شهوة المطاعم الرديئة(كشهوة الطين وغيره) .

- البصق والقياء .
- وجع فم المعدة .
- الغشي والخفقان .

٣ - الإسقاط والعناية بالحامل حفظاً للجنين :

يقول عريب بن سعد القرطبي (٨٢ ص٢٣ - ٤٥) عن الإسقاط : « .. وذلك ان النطفة انما يخشى عليها في اول علوقها الى اربعين يوماً ، فإذا جاوزت الأربعين الأولى خلصت بإذن الله من الآفات والأسقاط ..» «وان عرض للمرأة وهي حامل ذبول ثديها بغتة فإنها تسقط لامحالة» .

«واسباب الإسقاط كثيرة فربما كان من امتلاء اومن جزع ، اومن ضعف الرحم ورباطها اومن كيموس لزج ثبت في الرحم فيعرض منه زلق النطفة » .

«وقد يندفع الدم من بعض الحوامل من غير اسقاط .. والتي يعرض لها هذا العارض، يضعف جنينها ويقل غذاؤه » .

ان ماسبق ذكره من أقوال عريب لاتختلف كثيراً عما يؤكده الطب الحديث وهو لايكتفي بذكر ذلك بل يصف بعض الوصفات والعلاجات للوقاية من حدوث الأسقاط ومعالجته في حالة حدوثه .

ولأجل ان ينمو الجنين في بطن امه بصورة طبيعية وحفاظا عليه من الأسقاط قدم الأطباء العرب والمسلمون للأم الحامل نصائح لاتزال في يومنا الحاضر اساساً متيناً لحفظ صحة الحامل ويمكن ايجاز ماذكروه بما يلي : -

١ - العناية بغذاء الحامل من الناحية الكمية والنوعية والأوقات ،ونصائحهم في جملتها صحيحة على سبيل المثال يقول البلدي :

«فيجب ان نزيدها في غذائها الزيادة التي لاتثقلها وتنهض بها وبمقدار مالا يثقل على معدتها ولايفسد هضمه فيها ، بل يكون ذلك بالمقدار المعتدل الموافق الذي يجيد هضمه ويحسن استمرارها ويكون على دفعات لافي دفعة واحدة على تدريج وترتيب»(٢٠ ص ص٤٤) :

٢ ــ التوقي في علاجهن عند تمرضهن : يؤكد ابن سينا بشكل خاص على وجوب مكافحة الأمساك بالملينات لاالمسهلات ، اما الرازي فانه يحذو حذو ابقراط في التحذير من اجراء الفصد أثناء الحمل ويقول : « إذا فصدت الأم فربماً قل غذاؤه جداً ومات» . (٤٨ ص ٧٦) . ويقول ابن هبل البغدادي « فاذا عرض للحامل مرض عولجت برفـــق وتوقت الفصد والأسهال) (٢١) .

٣ ــ التأكيد على الرياضة والحركة المعتدلة : يقول البلدي « : ويحسب الزيادة في الغذاء يجب ان تكون زيادتهن في الرياضة والحركة .. فإن الحركة والرياضة والتعب والأعمال مع اعانتها على الهضم واثارة الحرارة الغريزية تقلل الفضول وتخففها من البدن .. ومـن تتعب وتعمل الأعمال في أيام الحمل يكون بدنها أخف واصح ، والحبل اسهل وكذلك الولادة ويلدن أولاداً أقوياء كباراً سمانا ... وينبغي للحامل ان تتوقى الوثوب وحمـل الشيء الثقيل والأنكباب ومن الصوت الشديد (٢٠ص٤٤) كل ذلك حفاظا على الجنين من الأسقاط :

٤ ــ استعمال الحمـام للحامل : نصائحهم في ذلك في غاية الصحة ، يقول البلدي : « فأما الحمام فليست بضارة بل نافعة .. الا انه يجب ان يكون استعمالهن لها باعتـدال ولا يطلن فيها الجلوس ... وليكن دخولهن الحمـامات المعتدلة الحرارة العذبة الماء الرفيعة البناء الطيبة الهواء ويكون مايستعملن من الماء الفاتر ... ويكون فيه الطيب والبخور » (٢٠ ص٤٦) .

٥ ــ جماع الحامل : يقول البلدي في ذلك : « اذا احست المرأة الحامل من نفسهـــا ومن طفلها بقوة ، ان تستعمله بمقدار قصد دون المعتدل ويكون ماتستعمله منه بعد الشهر الثالث والى حدود الخامس والسادس » (٢٠ص ٤٦) .

٤ ــ العلامات الدالة على قرب الولادة :

مسألة الولادة لاشك من الأمور الطبيعية ، قامت بها ملايين الأمهات ولما تزل تقوم بـهـا ملايين النساء بكل سرور وسلامة ، ولهذا العمل الفسيولوجي علامات كان الأطباء العرب والمسلمون على علم بقسم منها يوجزها البلدي في هذه الكلمات « فأما الأعراض الدالـــة

على قرب الولادة الطبيعية وقوتها لامحالة ، كمال الشهور ..

– فثقل يكون في المعدة والخواصر .

– وانخفاض الرحم الى اسفل حتى ان القابلة اذا رأت لمسه لمسته بأهون سعي .

– وكثرة النزف واتصاله .

– فإذا كان ذلك سالت رطوبة لزجة .

– واعقب ذلك سيلان الدم .

– وتشقق عروق المشيمة (٢٠ ص٦٤)

ولتسهيل الولادة ينصح بما يلي : « فإذا قرب وقته وظهرت علاماته فينبغي :

– ان تدخل الحمام ساعة في كل يوم ،

– وتمرخ منها البطن والظهر بالدهن .

– وتطعمها الأغذية اللذيذة الدسمة .

– حتى اذا جاء الطلق مرخت ظهرها بدهن الخيري او الزنبق ،والخواصر .

– وامرها ان تتمشى برفق وتتردد وتجلس وتمدد رجليها ثم تقوم ساعة .

– ومتى اشتد الطلق فأمرها ان تمسك نفسها ولترخو .

– ولتدفع القابلة ظهرها دفعاً رقيقاً وتغمز خواصرها ومرافقها ، ولتدفعها القابلة أيضاً الى موضع منخفض دفعاً رقيقاً ثم تنهضها .. تفعل ذلك مراراً كثيرة فإن ذلك مما يسهل ولادها » (٢٠ ص٦٤ – ٦٥) .

ان اسباب تعسر الولادة سردها البلدي في كتابه (٢٠ص٦٥) بشكل مفصل وهي في غاية الصحة والدقة العلمية نلخصها فيما يلي :

أ– أسباب من قبل المرأة الحامل :

١ – سمينة كثيرة اللحم جداً .

٢ – صغيرة الرحم.

٣ – لورم يكون في رحمها أو عضو آخر.

٤ – لمرض آخر من الأمراض.

* هذه الأسباب ندخلها في تقسيمنا الحديث لعسر الولادة ضمن مانسميه شذوذ طريق الطفل (أو شذوذ ممر الولادة)

٥ ــ اذا كانت لم تعتد الولادة

٦ ــ لأنها جبانة فزعة.

٧ ــ لولادة قبل الوقت .

* مازال العلم الحديث يؤكد بأن العوامل العاطفية ولاسيما الخوف يمكن أن تؤثر تأثيراً سيئاً في مجرى الولادة.

٨ ــ لضعف طبيعي(وهو مانسميه اليوم شذوذ القوة الدافعة أو قوة الدفع الرحمي).

ب ــ أسباب من المولود (وهو مانسميه شذوذ حجم الجنين) :

١ ــ أما لكبره وعظمه أو لصغره وخفته (ثابت علمياً أن وزن المولود يؤثر في الولادة الأولى ولا يؤثر في الولادات التالية) :

٢ ــ لكبر رأسه .

٣ ــ لأن خلقته عجيبة (كالذي له رأسان) .

٤ ــ لأنه ميت .

٥ ــ لضعفه وعدم قدرته على الحركة .

٦ ــ لأن عددهم كثير.

ج ــ شذوذ وضع الجنين عند الولادة :

١ ــ فيخروج الطفل وولادته يكون منقلباً على رأسة فيكون خروج رأسه ويداه ممدودتان على فخذيه ولا يميل رأسه على فم الرحم .

٢ ــ أن تخرج رجلاه أولا من غير ميل الى أحد الجانبين وساير الأشكال المخالفة.

ثم بعد ذلك يصف طرق معالجة عسر الولادة بأسلوب علمي دقيق وحسب الحالــة ، ويتبع كل ذلك بذكر العقاقير لأخراج الجنين الميت وفي حالة استحالة اخراجه ينصــح كغيره من الأطباء العرب باخراجه بالحديد (أي جراحياً بالتقطيع) .

اما عن أختلاطات الولادة فيقول : « انه ربما عرض للنفساء بعد الولادة .. أعراض رديئة منها :

١ ــ احتباس المشيمة .

٢ ــ ومنها جريان الدم الكثير ربما أسقطه لكثرته القوة

٣ ــ ومنها احتباس خروج الدم .

٤ — وجع شديد في الرحم .

٥ — زلق الرحم ،(٢٠ص٧١—٧٢).

ولاشك بأن هذه هي من أكثر الأختلاطات التي تحدث حتى اليوم،وهو لايكتفي بذكرها بل يذكر العلاجات الضرورية لكل منها والتي كانت معروفة في زمانه .

تطور نمو الجنين (علم الأجنة)

على الرغم من كون المعلومات الخاصة بأصل الجنين ونموه كانت قليلة لدى الأطباء العرب واليونانيين الا اننا نجد البعض من الأطباء العرب والمسلمين قد أولوا علم الاجنة أهتماماً بالغاً وان خير من كتب في هذا الباب كان في رأينا البلدي حيث جمع في كتابه آراء السابقين اضافة لارائه. نورد فيما يلي بعضاً مما ذكره كنموذج متميز في هذا الحقل:

يؤكد البلدي في الباب السادس والسابع على كون الرجل والمرأة (بمشيئة الله تعالى) كليهما مسؤولان عن صفات الطفل وجنسه ليس الرجل وحده لأنه يرث والديه وعن كيفية تكون الجنين وتصوره وتركيبه وخلقته يقول :«وتكون الجنين وخلقته يكون اذا أجتمع مني الرجل ومني المرأة في الرحم واختلطا وامتزجا وصارا كالماء الواحد واستقرا واحتوى عليهما وانطبق فمه دونهما واختلطا واستحال بعضهما الى بعض وصارا كالذات الواحدة والماء الفرد واضاف كل شيء منهما. الى شبهه ومجانسه وصاحبه»(٢٠ص٣٤) ويقول علي بن العباس في ذلك «ان الجنين انما يتم بامتزاج مني الذكر بمني الأنثى ويتولد من المني في الغشاء عند المنافذ التي يجري فيها الدم الى الجنين عروق وشرايين افواهها متصلة بافواه العروق والشرايين التي تصير الى الرحم فيتصل العرق منها بفم العرق والشريان بفم الشريان »(٨٩ج١ص١١٧)..

ان التطور الذي يمر به الطفل لاشك يبدأ مع بداية الحمل ثم يستمر بعد الولادة لذا نجد البلدي قد أسهب في دراسة تطور ونمو الجنين في الرحم نذكر فيما يلي خلاصة لارائه مع مقارنتها بالطب الحديث (٢٠—مقدمتنا في الكتاب المحقق) .

التأريخ	الطب الحديث	رأي البلدي
الأسبوع الأول بعد الأخصاب	انتقال البيضة خلال القناة وطفوها في الرحم .	«ففي اليوم السادس منه سقوط في الرحم يصير المني زبداً لتحركه»(٢٠ص٢٤).
بدء الأسبوع الثاني حتى نهاية الثالث	تغرس البيضة نفسها في بطانة الرحم. تنقسم الخلايا الى مجموعتين . ١ – ENTODERM الأديم الباطني ٢ – ECTODERM الاديم الظاهر خلال الأسبوع الثالث تضاف المجموعة الثالثة. ٣ – MESODERM الأديم الوسط تعتبر هذه المجاميع أساس تكون أجهزة الجسم المختلفة .	«اليوم السابع ينشأ من وسطه أصل وعرق .ملقية عندفم الرحم ليجتذب من تلك الأفواه ما يحتاج اليه كما تلقي ،الغروس المغروسة في الأرض عرقاً تجتذب بها الرطوبة من الارض » (٢٠ص٢٤). وأتفق المشرحون جميعاً على أن المني يتلين على الرحم ويصير منه غشاء وانه أول ما يتبين في خلق جسد الحيوان شبيه ثلاث نقط متقاربة بعضها من بعض يتوهم أنها رسم الكبد والقلب والدماغ ثم يزداد بعضها من بعض بعدما أمتدت أيام الحمل» ثم يقول : « فأما أن هذه النقطة التي هي أصول هذه الأعضاء الثلاثة أقدم فليس يستدل من التشريح عليها واما القياس على النظام الطبيعي .. فالنظام الطبيعي اذا يوجب أن يكون أول الأعضاء المخلوقة الكبد ثم الدماغ » (٢٠ص٢٥).
نهاية الأسبوع الرابع	وضح جميع فقرات السلسلة الفقرية ،وانسد الحبل الشوكي ،	«والى تمام اربعة أسابيع يظهر الجسد كله مفصلا ويكمل ذلك أكثر والى تمام

التأريخ	الطب الحديث	رأي البلدي
	ظهر للجنين ذنب واضح وبدأت الأطراف : الذراعان والساقان تظهر .	أربعة واربعين ليلة»(٢٠ص٢٦) .
خلال الخامس	تم تكوين الصدر والبطن ،بدأ تكوين أصابع اليدين والقدمين واتضحت العينان ؛	
خلال السادس	الوجه والملامح تتكون تكوين الأذنيين،	
نهاية الشهر الثالث	الذراعان والساقان واليدان والقدمان وأصابع الأطراف تكونت كلياً تماماً وظهرت الأظافر وتكونت الأذنان تماماً وتبدأ الأعضاء الحسية الخارجية في الظهور ويبدأ اختلاف الذكورة والأنوثة.	ومع ابتداء الفقار وعظم الرأس يبتدر المخ والدماغ والأعصاب وعند ذلك يتكون اللحم والشرايين والأوردة من القلب والكبد وتنتشر في جميع الجسد وتلتف وترتبط بالعظام وتتصل وتجتمع بعضاً الى بعض ويتلوها بعد ذلك الجلد نتكتمل الصورة ويتم الخلق وتتميز العينان والأنف والفم وجميع الأعضاء ويجري فيه الروح الحياة»(٢٠ص١٠٠) .
نهاية الشهر الرابع	يستطيع الملاحظ العابر تمييز جنس الجنين في هذا الوقت مع حركات	« ويتحرك في تمام سبعين يوماً ومنه ماتكون حركته في ثمانين يوماً ومنه في تسعين يوماً ومنه فيمابة يوم أكثره»

الجنين و دقات قلبه .في نهاية الشهر يظهر شعر دقيق فوق سطح الجلد.	(٢٠ص٩٩).«فأما في الثلاثة أشهر الثانية والثلاثة أشهر الأخيرة أحرى فيهن أن يتولد فيها الشعر » (٢٠ص١٠١) .

وبعد هذه المقارنة الا يحق لنا ان نعجب بما كتبه هذا العالم والطبيب الفذ عن علم الأجنة في زمن لم يكن فيه مجاهر لدراسة انسجة الجنين، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على دقة الملاحظة وطول التجربة بالمشاهدة وممارسة التشريح على الأجنة .

أما عن علامات قوة الجنين وضعفه وصحته فيؤكد البلدي على ثلاث نقاط أساسية و متبولة علمياً اليوم، بقول :

١ ـ «يكون من حال الحامل في بدنها ومزاجها وما يعرض لها من الأمراض و الأعراض لأن أحوال الأجنة متصلة بأحوال الأمهات بسلامة الحبالى في ابدانهن وتمام صحتهن... وقلة تشكيهن ...وطيب نفوسهن ...وقلة الأفعال الطبيعية والنفسانية فيهن ... تدل على قوة الأجنة وصحتهن وسلامتهن» (٢٠ص١٢٦).

٢ .- «واكتناز الثدي يدل على صحته وكذلك ضمور الثديين دل على رداءة حال الطفل (٢٠ص ١٣٠ ـ ١٣١)

٣ ـ «وكذلك جريان الطمث من الحامل في أوقاته يدل على ضعف الطفل وقلة أغتذائه (٢٠ص١٨٠)

المولود حديث الولادة

١ ـ صفات الطفل الطبيعي والخديج والمريض :

ذكر الأطباء العرب صفات وعلامات يستدل منها على حال الطفل إن كان طبيعياً أو مريضاً أو ناقصاً (خديجاً) وهي في الحقيقة لاتختلف عن مايؤكده أطباء الأطفال اليوم مما يجعلنا نقف بإجلال لتلك العقول النيرة ، وهذه الدلائل عندهم .

١ ـ حال المرأة أثناء الحمل : يقول البلدي : «فأما استدلالك على حال المولود إن كان صحيحاً أو سقيماً فإن ذلك يكون من تعرفك حال المرأة في حال حملها وذلك أن صحة الأم وخفة الأعراض الرديئة العارضة فيها وقلتها أو ضعفها في وقت حملها يدل على صحته» (٢٠ ص١٢٦) .

ومدة زمان الحمل علامة أخرى عنده وعند عريب تشير إلى سلامة الطفل ، يقول عريب : «المولودون لسبعة أشهر يولدون قضافاً مهازيل ، والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبى الأبدان سماناً» (٨٢ص٣٤) .

٢ ـ جودة حركات وحواس الطفل وبكاؤه ساعة ولادته ، يقول البلدي : «وقد يدل على صحته بكاؤه ساعة ولادته... وقد يدل على ذلك من صحة أعضائه وقواه وجودة حواسه وحركاته فهذه كلها تدل على صحة المولود وسلامته فأما استدلالك على سقمه ومرضه وضعفه فيكون بخلاف ذلك» (٨٢ص٥) .

وأضاف الرازي التبوّل والعطاس كعلامات من علامات الحياة في الطفل حديث الولادة (٤٨)

٣ ـ عملية الرضاعة الانعكاسي Sucking Reflex يقول ابن الجزار : «فإن أنت وضعت حلمة الثدي في فم المولود وجدته يعصرها ويعين عليها بشفتيه ثم يقنت لسانه فيندفع اللبن الى حلقه كأنه قد تعلم ذلك وتفنن فيه منذ دهر طويل. فإذا صار اللبن إلى المريء أوصله

إلى المعدة ، فإذ أخذت المعدة من ذلك اللبن حاجتها دفعت عنها مايفضل منه إلى الأمعاء ، ولا تزال هذه الأمعاء من واحد إلى واحد حتى يصير إلى الاخر ، كأنه قد عرف ذلك بالتعليم» (٨٥ ص ١٠) .

٤ ـ كثرة النوم : يقول ابن الجزار : «إنه معلوم أن الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم» (٨٥ ص ٦٢) .

أما عن المولودين لسبعة أشهر وثمانية أشهر Premature Infant فنذكر قول عريب حيث يقول : «ويقال إن عبدالملك بن مروان رحمه الله ولد لسبعة أشهر ، وأن الشعبي ولد لسبعة أشهر توأماً وجريراً الشاعر كذلك ولد لسبعة أشهر ، وهومما لا ينكره أهل الطب وغيرهم ، بل يثبته جميعهم ويأتون بالبرهان عليه فيقولون آن كمال خلق الجنين في الرحم وقوته وحركته إنما يتم في نصف سنة شمسية وذلك مائة وثنان وثمانون يوماً وخمسة أثمان اليوم» وهذا يعني بتقويمنا الشمسي بالتقريب تسعة أشهر وبضعة أيام . ثم يقول : «فمن ولد لسبعة أشهر حياً عاش في أكثر الأمر ويربى على ما تربى من ولد في تسعة أشهر غير أن المولودين لسبعة أشهر يولدون قضافاً مهازيل والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبي الأبدان سماناً . وللمولود في سبعة أشهر حد ومدة من الزمان متى ولد قبلها أو بعدها لم يعش وكان سقطاً» . ثم يقول : «قد قلنا إنه من ولد لثمانية أشهر لم يعش على مااختبر في طول الدهر» . إلى أن يقول : «فالجنين يموت حتماً إن ولد فيها لأنها تجتمع إليه آلام الولادة وتضغطه ، والمرض الذي فيه والأورام التي به فيهلك بذلك» (٨٢ص٣٦ ـ ٣٧) .

لاشك أن العلم الحديث أثبت خطأ قول عريب في المولودين لثمانية أشهر ، وهو خطأ نقله كغيره من الأطباء العرب عن اليونانيين .

٢ ـ العناية بالمولود حديث الولادة :

١ ـ شروط الغرفة التي يرقد فيها الطفل وهيئته أثناء النوم : لقد تكلم الأطباء العرب في ذلك كلاماً علمياً صحيحاً فمثلاً يقول ابن سينا : «وتنوّمه في بيت معتدل الهواء ، ، بارد ولا حار ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة مائلاً لا يسطع فيه شعاع غالب ، ويجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده ويحذر أن يلوي مرقده شيئاً من عنقه وأطرافه

وصلبه» (٧ج١ص١٥١) . ويضيف ابن الجزار على ذلك : «ويتخذ للطفل عند ابتداء الأمر داية وتؤمر ألا تزجره ولا تغمه بشيء وتعني بمضجعه» (ص٨٥ – ص٥٠) .

٢ – العناية بمداخل الطفل ومخارجه : يقول ابن الجزار : «وينظف وينقي منخراه وفوه وأذناه برفق ، ويفتح دبره بالخنصر فيخرج جميع مافيه ، ويقطر في عينيه شيء من زيت» (٨٥ص٦٠) .

ويؤكد ذلك البلدي بقوله : «وأما الطفل المولود فإن مداخله مختلفة ، كالفم والمنخرين ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبراز ... فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة متفتحة يعني بتفتيحها وتنظيفها لئلا يحتقن فيها فضل يسدها ... يسهل خروج مايخرج منها ودخول مايدخل فيها» ، (٢٠ص١٨٥) . ويضيف ابن الجزار ضرورة مص أذنيه (٨٥ص ٥٣) .

إن هذه الوصايا لاشك جاءت مطابقة لما نؤكده اليوم لدى استقبال الطفل ساعة ولادته.

٣ – العناية بسرته : لقد أكد المجوسي وابن الجزار وبقية الأطباء العرب على تعليمات للعناية بسرة الطفل صحيحة في أغلبها نقتطف هنا بعضاً من أقوالهم ، يقول ابن الجزار : «إنه ينبغي أن نبتديء من تدبيره عند خروجه فيقطع من سرته أربع أصابع .. وتربط سرته وتفتل فتلاً رقيقاً وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت ... فإذا وقعت سرّته بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام فينبغي أن تذر عليه رمادة الودع المخرق ورماد عرقوب عجل محرق أو رصاص محرق قد سحق بالشراب ثم يطلى على الموضع» (٨٥ص٦٠ – ٦١) .

٤ – العناية بجلده وكيفية استحمامه : إن ماجاء في كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الباب مقبول أكثره اليوم ، على سبيل المثال نذكر قول ابن سينا في ذلك : «ويبادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته وتقوي جلدته وأصلح الأملاح ماخالطه شيء من شاذج وقسط وسماق وحلبة وصعتر ولا يملح أنفه ولا فمه ، والسبب في إيثارنا تصلب بدنه إنه في أول الأمر يتأذى من كل ملاق يستخشن ويستبرده وذلك لرقة بشرته وحرارته فكل شيء عنده بارد وصلب وخشن وإن احتجنا أن نكرر تمليحه وذلك إذا كان كثير الوسخ والرطوبة فعلنا ثم نغسله بماء فاتر» (٧ج١٥٠١) .

وعن كيفية استحمام الطفل ومسكه يقول ابن الجزار : «وتؤمر الحاضنة أن تحممه بالماء الحار العذب ،لأن عامة تدبيرهم إنما يكون بماء يرطب أبدانهم لتبقى رطبة زماناً طويلاً ويكون الماء معتدلاً لاحاراً جداً . ويفعل هذا في بيت معتدل الدفء مظلم قليلاً ويحم أول الغداة ونصف النهار وعند العشاء وتبسط الحاضنة على ركبتيها وفخذيها خرقة كتان ناعمة ثم تضجع الطفل عليها ، وتحل عنه الخرق وتبدي أعضاءه وتاوي مفاصله وكل ذالك برفق وإحكام ويجب أن يكون إمساكه للتحميم باليد اليسرى وتلزم الداية رأسه ورقبته . فان الصبي لايستطيع أن يلزم نفسه وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولاً دلكاً قليلاً ثم تصب قليلاً على ذلك المروخ ما كان رويداً رويداً لئلا يبرد،وتغم على عانته برفق ليبول ولا تزال تفعل ذاك به كذلك حتى يحمر بدنه كله ، فإذا أردت أن يحول الصبي على بطنه فتجعل الحاضنة إبهامها تحت لحي الصبي لئلاّ يميل رأسه إلى داخل الماء وتميل الحاضنة كل عضو من أعضائه إلى ماينبغي ، مثل أن ترد الرجل إلى خلفها واليدين إلى قدامها ، لأنها إن فعلت ذلك صيرت المفاصل في مواضعها حسنة جيدة الحركة ، وأن تسوي رأسه ويديه ورجليه وغيرها من سائر أعضائه وترفع الصبي إذا فرغت من تحميمه وتجعله الحاضنة على فخذه بعد أن تبسط تحته خرقة ناعمة وتنشفه وتحمّه أولاً ثم تضعه على بطنه ، ثم على ظهره ، وهي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل وبالأخرى من فوق ، وتمد ركبته وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً وتعدله إلى كل ناحية لتعد عروقه واسعة . وتعتاد مفاصله الالتواء ثم تشده بالخرق بعد أن تنشفه فهكذا ينبغي أن يحم الصبيان والأطفال» (٨٥ص٦٣) .

ويؤكد عريب والبلدي وغيرهما نفس القواعد والشروط وطريقة استحمام الطفل التي ذكرناها ، والتي هي في جملتها تعتبر قمة المعرفة والدقة العلمية في هذا الموضوع .

٥ ــ تغذية الوليد : يقول ابن سينا : «يكتفي بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثاً ، ولا يبدأ في أول الأمر في إرضاعه بإرضاع كثير على أنه يستحب أن تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه والأجود أن يلعق عسلاً ثم يرضع» (٧ج١ ٥١١) .

ويقول ابن الجزار : « وبعد أن يبتدأ في تدبيرهم ....فيتغذى باللبن ،فإن غذاءه الذي أعد له اللبن» .

ثم يقول: «وقال بعض الأطباء، لاينبغي ان ترضع الطفل أمه حتى تأتي له ثلاثة أيام أو أربعة، ويرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لايزاد عليها الى ان تستمرئه معدته ويقدر على الغذاء فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة» (٨٥ص٧٢).

بالنسبة لأرضاع الطفل من أمه خلال الثلاثة أيام الأولى هناك رأيان اليوم . رأي يؤكد ضرورة أرضاعه ليستفيد من أفرازات الثدي (اللباء: Colostrum) الحاوية على بعض عناصر المناعة ضد الأمراض وبعض المواد الغذائية التي لاتخلو من فائدة للطفل . أمـا الرأي الاخر فينصح أصحابه وهم قلة بعدم ارضاعه وذلك لأحتواء اللباء على هورمونات أنثوية مكثفة والتي قد تزيد في احتمال انحلال كريات الدم الحمراء وتؤدي بالنتيجة الى زيادة ترسب البيليروبين في الأنسجة وبالتالي تؤدي الى زيادة اليرقان الفسلجي الذي يحـدث لدى بعض الأطفـال . الا أننا على الرغم من ذلك نرجح الرأي القائل بضرورة اعطاء الطفل ثدي أمه منذ الأيام الأولى.

ويقول المجوسي: «ويغذى يومين بسكر مدقوق ناعماً مع دهن شيرج (٨٩ص٥٢) . ولاشك بأن غايتهم من اعطاء العسل هو تفريغ مادة الميكونيوم «العقي» من امعاء الطفل أولا وتغذيته لحين مجيء حليب الأم بصورة كاملة، ونحن اليوم نصف الكلوكوز (سكر العنب) مع الماء لنفس الغرض.

٦ — بكاء الطفل والعناية به من الناحية السايكولوجية (النفسية) : فسر ابن القيم الجوزية فائدة بكاء الطفل تفسيراً علمياً صحيحاً ودقيقاً فقال: « ولاينبغي ان يشق علـى الأبوين بكاء الطفل وصراخه ، ولاسيما لشربه اللبن اذا جاع ،فإنه يروض أعضاءه ... ويفسح صدره ويسخن دماغه...» (٢٩ص١٨٢).

وعن أسباب البكاء الأخرى وكيفية العناية بالطفل في حالة البكاء تكلم الأطباء العرب والمسلمون كلاماً رائعاً يعتبر الحجز الأساسي في تربية وسايكولوجية الطفل، على سبيل المثال يقول أبن الجزار «ولايمكن البكاء الكثير فإنه اذا كثر بكاؤه عرض له أبلمبسياً. فيجب أن يسكت كما ذكرنا بدء، وبكل شيء يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء، مثل أن يحمل على الأيدي حملا رقيقاً ليناً ، ويحرك كذلك ويرفع له ... أصوات لـذيذة ويحرك بالغدوات بالحمل ويحسن له النغم بالتبيين، وذلك ان الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الألتذاذ بها من غير تعب ومن أجل ذلك الأطفال أن نغم لهم نغمـة

حسنة يستلذونها سكنت طباعهم وهدأت وناموا من قريب ، ويقرب الى الصبي ما قد أعتاده من الأشياء التي تطربه وتفرحه ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان ، ويحذر سماع كل شيء له صوت... وأن يتقي عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان شبه البراقع، و الأشياء البشعة ، فإن هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظرة الشديدة (٨٥ص٦٨–٦٩).

ويؤكد ابن سينا هذه القاعدة المهمة بقوله «فإنه من الواجب ان يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحرك اللطيف والأخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقى أحدهما ببدنه . والأخر بنفسه» (٧ج١ ص١٥١) .

ويقول المجوسي : « وينوم ويستعمل معه التحريك بلطف ورفق ويلحن له لحون حسنة فإن يستلذ النغم الحسن الذي يكون من ايقاع كما يستلذ المستكملون ، ان كان الإنسان مجبولا على حب الحركة وحب اللحون فإنه يسكن ما يجد من وجع ويجلب له النوم (٨٩ص٥٣) .

أدوار حياة الطفل وتطوره الطبيعي : Growth and Development

من المميزات التي اتصف بها الأطباء العرب اهتمامهم بالناحية الأكاديمية في دراسة الطب ، هذه الناحية التي تسهل على طالب الطب والطبيب الإحاطة بدقائق هذا العلم الواسع لذلك نجدهم قد درسوا حياة الإنسان بصورة عامة وحياة الطفل ونموه وتكامله بصورة ، دقيقة فقسموا حياته الى ادوار وبينوا حدود كل دور وما يستجد من تطور لدى الطفل فيه وهم في تقسيمهم أدوار حياة الإنسان وأدوار حياة الطفل ساروا على منهج أبقراط مع إجراء التعديلات والتغيرات التي أقتنعوا بوجوبها ، وبذلك جاء تقسيمهم قريباً من تقسيمنا اليوم (*) على سبيل المثال نذكر التقسيم الذي أورده عريب بن سعد القرطبي (٨٢ص٨٥)

(*) هناك اختلاف بسيط بين المربين والمؤلفين اليوم حول تقسيم حياة الفرد وحدود كل دور والمعدل المتقارب في التقسيم الحديث هو كما يلي :

١ – مرحلة الوليد – اسبوعان الأولان من حياة الطفل .
٢ – مرحلة الرضاعة – من اسبوعين الى نهاية السنة الثانية .
٣ – مرحلة ماقبل المدرسة (الطفولة المبكرة) – من (٣–٤–٥) سنوات .
٤ – مرحلة الطفولة الوسطى – من ٦ – ٩ سنوات .

حيث يقول : « فأما الأسنان فتجزأ على أربعة أجزاء في قول عامة الأطباء ...» وخوف. الاطالة نلخص ماذكره :

١ — سن الصبا ، حتى ١٨ سنة من العمر.

٢ — سن الشباب ، حتى ٣٥ سنة من العمر .

٣ — سن الكهولة ، حتى ٦٠ سنة من العمر.

٤ — سن الشيخوخة ، حتى ان يفنى العمر.

أما مهذب الدين علي بن هبل البغدادي فيحدد ذلك بما يلي :

والطفل هو الذي لم تقو اعضاؤه ولم يستوكع للحركات

والصبي هو الذي لم يستوف سقوط الأسنان .

والمترعرع هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولم يبلغ.

والمراهق والغلام هو الذي قد راهق وبلغ الحلم.

والى منتهى الوقوف وهو الى خمس وثلاثين سنة والى الأربعين يسمى سن الشباب.

ومن الأربعين الى ستين سنة ويسمى سن الكهولة .

وما بعد فهو سن الشيخوخة .

وفي تقسيم أدوار حياة الطفل وتطور نموه وحركاته بالنسبة لكل دور ، سنذكر أيضاً تقسيم عريب ، الا اننا سوف نضيف الى اقواله مالم يذكره وذكره الأخرون مماله علاقة بالموضوع .

يقول عريب :« أما اسنان الأطفال فإن ابقراط فصلها على أربعة أجزاء :

الفصل الأول : وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء الى اربعين يوماً .

---

٥ — مرحلة الطفولة المتأخرة — من ٩ — ١٢ سنة .

٦ — مرحلة المراهقة وتقسم الى

أ — المراهقة المبكرة — من ١٣ — ١٦ سنة .

ب — المراهقة المتأخرة — من ١٧ — ٢١ سنة .

٧ — مرحلة النضج والشباب — من ٢٢ — ٣٠ سنة .

٨ — مرحلة وسط العمر (او الرجولة) — من ٣٠ — ٦٠ سنة .

٩ — مرحلة الشيخوخة — من ٦٠ سنة فما فوق .

فإنهم في هذا الحل تتغير أحوالهم دفعة واحدة في الهواء يكتنفهم ويستنشقونه بأنفاسهم والغذاء الذي يتبدل عليهم والفضول التي تخرج من أبدانهم وتنقل جميع أحوالهم في مداخلهم ومخارجهم...»«والأطفال في الأربعين يوماً الأوائل من ايام ولادتهم تلحقهم الأم كثيرة ويلقون أموراً صعبة.....» (٨٢ص٥٧–٥٨).

ويقول ابن القم الجوزية: « فيضحك عند الأربعين وذلك أول مايعقل نفسه» (٢٩ص ٢٢٨) .

الفصل الثاني: « هو من بعد استكمالهم الى وقت نبات اضراسهم ذلك يكون في الأسبوع الأول من الشهور على ماتقدم ذكره .

وفي هذا الجزء من السن يتحرك نمو الطفل وينهض في نشأته ويقوى على النظر الى الأشياء وعلى سماع الأصوات....» (٨٢ص٥٨)« تنبت الأضراس للأطفال على الأمر العام في الشهر السابع من ولادتهم وربما عجل نباتها لبعضهم في الشهر الخامس من ولادتهم وربما تأخرت الى عشرة أشهر» (٨٢ص٦٦).

ويؤكد ابن الجزار على تعويد الطفل على الجلوس في هذا الفصل فيقول: « وينبغي أن يجلس الصبي على الأرض ، اذ اشتد بدنه نعماً وصلبت اعضاؤه وقوى على حركة الجلوس» (٨٥ص٦٨).ويقول في انبات الأسنان «فتنبت الأسنان في سبعة أشهر ، ومنهم لأكثر من ذلك ، ومنهم من يبدأ انبات اسنانهم من أسفل فيكون ذلك أمارة لنباتها من فوق بلا وجع . فأما الأضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الأنياب (٨٥ص ١٠٦)

الفصل الثالث : «بعد أنبات اسنانهم الى وقت أثغارهم ، فإن حركاتهم في هذا الجزء. تقوى وفهمهم يتزيد تزيداً ظاهراً واذهانهم تميز الأشياء. وفي داخل هذا السن يكون الكلام والمشي والتنقل في الرضاع الى غيره من الغذاء» (٨٢ص٥٩). وفي كلام الطفل يقول: « ينبغي اذا قرب وقت كلام الطفل أن.... يتكلم بين يديه ويلقن لفظاً خفيفاً ويدرب عليه» (٨٢ص٧٤).

ويقول المجوسي في ذلك « فإذا كان وقت الفطام ابتدأ يتكلم وعلى الأمر الأكثر يكون بعد تمام سنتين» (٨٩ج٢ص٥٢). وفي مشيه يقول عريب: « اذا حان حبوهم بالأستقلال

بالمشي أعين على ذلك وعملت له دراجة من خشب على قدر قامته تجرى على فلك » (٨٢ ص٧٤).

أما ابن الجزار فيقول في مشي الأطفال : « ويكلف المشي مرة بعد مرة ويعلم أولا بجنب حائط ويحمل ايضاً وقتاً بعد وقت ، لا يدام عليه بصنف واحد من هذه الأشيـــاء (٨٢ص٦٨).

وقال ابن سينا في ذلك : «فإن أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي ان يمكن الحركـــات العنيفة ولايجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه اليه بالطبع فيعيب ساقيه وصلبه آفة والواجب في أول ما يقعد ويزحف على الأرض ان يحمل مقعده على قطــع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع أو يحمى عن التزلق من مكان عـال» (٧ج١ ص١٥٣ــ١٥٤).

ويقول البلدي : « وليس ينبغي ان يحمل الصبيان على المشي قبل وقتهم لكيلا يعرض في أرجلهم.... الأعوجاج فقد يدلك طلب الصبيان للحركة في هذه السن مبلغ مـلائمة طباعهم الرياضة فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه ويطفر بيديه .... فإن الطبيعة (*) قد بلغت في القدرة على أن جعلت في جميع الحيوان الحركات الموافقة لهم في صحتهم وسلامتهم ....» (٢٠ص٢١٥)

تجد في هذه الأقوال المتسمة بالوضوح والبيان لأبن سينا والبلدي ،التفاتة لم ينتبه اليهـا الأ حديثاً فقد كان الرضيع حسب العادات الموروثة يجبر على الجلوس والوقوف والمشي منذ الأشهر الأولى بعد ولادته للأعتقاد بأن في ذلك تمريناً لازماً لتعويد الطفل على ذلك وقد أثبتت الأبحاث النفسية والتربوية الحديثة بأنه لكي تنمو خاصية أو مهارة في ناحية معينة لابد لعامل النضج الذي يمكن الطفل من القيام بتلك المهارة .وان هناك ارتباط وثيقاً بين قيام الطفل بحركات الحبو والقيام والمشي وبين نمو جهازه العصبي، فعند تكــامل الأخير يستطيع الطفل تقليد من حوله سريعاًــ اذا لم يكن مصاباً بمرض يمنع ذلك كالكساح

(*) يتردد ذكر كلمة الطبيعة لدى البلدي وغيره من الاطباء العرب في عدة أماكن وهو خطــأ متوارث من الاطباء اليونانيين . والاصح ان يقال بدلها ارادة الله .

أو الشلل– ولو لم يكن قد سبق له أن حبأ أو أنتصب . وعند ذلك يمكن تناول هذه المهارات بالتمرين والتعليم والأفإنه لن يتاح لها أن تصل الى نهاية نموها الطبيعي ، بل على العكس قد يصيب رجليه بعض الأذى اذا أرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد أستعد الى ذلك .

الفصل الرابع : هو من بعد اثغارهم إلى وقت نبات اشعارهم وقرب بلاغهم.

«ان حركاتهم في هذا الجزء أقوى ..... بل واذهانهم فيه متزيدة ورغبتهم في الأمر وحفظهم للأشياء في غاية التمام. وفي هذا الفصل يضمون الى المؤدب ويحملون على تعلم شرائع الدين ويؤمرون بالصلاة ويوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب .... وهذه السن آخر اسنان الأطفال ثم تأخذهم بعد ذلك أحكام الرجال » (٨٢ص٥٩).

«أما أعدل الأسنان لتطهير الصبي ... مابين الثمانية أعوام إلى العشرة...» (٨٢ص٨١) ، نحن اليوم نؤكد على ضرورة الاختتان مبكراً وذلك وقاية من سرطان القضيب الذي يندر الإصابة به فيمن يختتن في الأيام الاولى .

أما ابن الجزار فيلخص أسنان الأطفال بهذه الكلمات : «إن الأطباء قد أبانوا في كثير من موضوعاتهم أن أسنان الصبيان تتجزأ إلى أربعة أجزاء منها :

سن الولدان : عند خروجهم من الأرحام ، وهي الدرجة الأولى .

سن الصبيان : عند خروج أسنانهم من بعد سن الولدان وهي الدرجة الثانية .

سن ابن سبع سنين : وهي الدرجة الثالثة ، ثم سن المحتلمين ، في أربع عشرة سنة ،وهي الدرجة الرابعة » (٨٥ص٨٦ — ٨٨) .

أما البلدي فإنه خرج عن تقسيم أبقراط وقسم حياة الطفل على شكل أسابيع ، فهي عنده ثلاثة أسابيع :

الأسبوع الأول : حتى سبع سنين .

الأسبوع الثاني : من بعد انقضاء سبع سنين إلى تمام أربع عشرة سنة .

الأسبوع الثالث: منذ انقضاء أربع عشرة سنة إلى تمام احدى وعشرين سنة

تغذية الطفل

أ ـ حليب الأم :

١ ـ أفضلية حليب الأم : لقد أجمع الأطباء العرب على أن حليب الأم هو أفضل أنواع الحليب للطفل تماماً كما نؤكده اليوم . يقول البلدي : «فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن فضلاً عن للطفل..»ثم يقول : «وقد نجد الطبيعة لم تقتصر على أن أعدت هذا الغذاء للطفل ولكنها غرست في الأطفال مع ذلك منذ أول الأمر قوى غريزية في استعماله» إلى أن يقول : «وفي سلامة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ لصحتها وصحته» (٢٠ص١٨٦) .

نجد هنا أن البلدي قد سبق أطباء اليوم في إثبات فائدة الرضاعة من الثدي بالنسبة للأم المرضع حيث ثبت علمياً بأن الرضاعة من الثدي تساعد انقباض الرحم في فترة ما بعد الولادة ، وبجانب ذلك فإنها ترضي غريزة الأمومة ومن ثم يقي الأم من إصابتها بسرطان الثدي .

ويقول ابن سينا : «فيجب أن يرضع ماأمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ماسلف من غذائه في الرحم أعني طمث أمه فانه بعينه المستحيل لبناً وهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه قد صح بالتجربة أن القامة حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع مايؤذيه» (٧ج١ص١٥١) .

نجد في قول البلدي السابق وقول ابن سينا بأن حليب الأم عظيم النفع للطفل في دفع مايؤذيه ، تأكيداً للحقيقة العلمية التي لاجدال فيها ، ألا وهي أن حليب الأم هو أفضل الوسائل لتغذية الطفل ... على الأقل في الأشهر الأولى وذلك لأن حليب الأم هو الغذاء الطبيعي للمولود ... وإنه لايحتاج إلى تعقيم أو غلي ثم تبريد... كما أنه يوفر الكثير من الجهد والمال أيضاً ، إضافة إلى ذلك أن الإسراع بإعطاء الأم ثديها لوليدها في الساعات الأولى من العمر ، كما ذكرنا سابقاً ، يكسب الطفل مناعة ضد الأمراض لاحتواء الحليب على بعض عناصر المناعة من الأمراض ، أخيراً هناك الفائدة العظيمة ، ففي رضاعة حليب الأم إعطاء

للطفل فرصة الاحساس بحنان الأم وعطفها، ومثل هذا الشعور ضروري للطفل لأنه يقيه العثرات والاختلاطات النفسية والعصبية فيشب متمالكاً توازنه النفسي لاتتملكه نوازع الخوف والقلق والاضطراب .

٢ ــ كيفية تكوين الحليب في الثدي وأسباب قلته : إن علاقة الهورمونات النسوية بمسألة إفراز الحليب والطمث حقيقة علمية نجد لها إشارات في أقوال ابن سينا السابقة وكذلك في هذا القول لعريب القرطبي : «إذا ولد الجنين ارتفع ماكان يتغذى به من دم أمه إلى الثديين يفيض فيهما، ويصير له قوام لأن الثدي عضو أبيض الباطن قد خلق شبيهاً لقبول ما يجتمع فيه من الرطوبة وتنضجه حرارة القلب .. فيصير لبناً بقدرة الله» (٨٢ص٥٤) .

ونجد في قول الأنطاكي إشارة صريحة إلى أن إفراز اللبن يكون بواسطة الغدد اللبنية حيث يقول في تعريف كلمة لبن : «لبن هو الكائن من ثاني المزاج المنوي لأنه من خالص الغذاء يستحيل في غدد اسفنجية رخوة دسمة قد حقنت حرارة غريزية » (١٤ص٢٥٥) .

أما تعليلاتهم لأسباب قلة الحليب فكانت صحيحة في أغلبها ، فمن جيد شرح الرازي لجفاف حليب الأم أن ينسبه إلى علة في الدم تجعله رقيقاً يطرح عن طريق الكلي فلا يتكشف لبناً سوياً فيقول : « متى كان اللبن ناقصاً فابحث عن الدم فإنه لايخلو في هذه الحال من أن يكون قليلاً في كميته أو رديئاً في كيفيته» (٤٧ص٨) .

ويؤكد ابن سينا قول الرازي مع شيء من التفصيل العلمي الدقيق والصحيح بقوله : «اعلم أن اللبن يكثر مع كثرة الدم الجيد وإذا قل فسببه بعض أسباب قلة الدم أما من جهة المادة واما من جهة المزاج والذي يكون بسبب المادة فأن يكون الغذاء قليلاً او يكون مضاداً لتولد الدم عنه ليبسه وبرده المفرط أو يكون قد انصرف إلى جهة أخرى من نزف أو ورم وأما من جهة المزاج فأن يكون البدن أو الثدي مجففاً للرطوبة ...» (٧ج ٢ ص٢٧٩) . ثم يصف العلاجات لكل حالة .

أما رأي ابن الجزار في ذلك فكان : «إنه قد يكون من النساء من يكون لبنها قليلاً بالطبع وقد يقل لبعضهن من أسباب شتى ، إما من قلة الغذاء ، وإما من أن تستعمل المرضعة أغذية حريفية يابسة فينشف لبنها رطوبات ، وإما من قبل تغير مزاج حرارة أو برودة أو يبس أو

من رطوبة محالة» ثم يقول : «وقلة اللبن العارض من قلة الأغذية بين معروف وذلك بأن تخبرك المرأةبأنهاقليلة الغذاء (٨٥ ص٧٩ — ٨٠). ثم يمضيهو الآخر في سرد العلاجات لكل سبب .

٣ — أوصاف الحليب الجيد وتركيبه : يقول ابن الجزار : «إنه ينبغي أن يكون لبن المرضع للصبي معتدلاً لا ثخيناً ولا رقيقاً ولا كثيراً ولا قليلاً والفرق بين اللبن المذموم واللبن المحمود أن اللبن المحمود لذيذ الطعم أبيض اللون طيب الرائحة مستوي بين الثخونة والرقة كما ذكرنا ، أما من كانت أحواله مضادة لهذه الإحوال فهو لبن رديء مذموم» (٨٥ ص٧٣) . إن هذا القول أكده معظم الأ طباء العرب علماً بأننا اليوم نعتقد نتيجة التحليلات المختبرية بأن تكوين الحليب عند كل الأمهات تقريباً واحد والفرق الوحيد هو في الكمية أما التكوين فيكاد يكون ثابتاً على الدوام .

وبجانب هذا القول لابن الجزار الذي لم نقره عليه نجد له قولاً في تركيب اللبن يعتبر مفخرة له وخاصة إذا تذكرنا بأنه لم يكن في عهده مختبرات لتحاليل الحليب بغية معرفـة تركيبه ، يقول : « وتركيب كل لبن من ثلاثة جواهر ، أحدهما الجوهر المائي اللطيف ، والثاني منها اللطيف الجبني ، والثالث الدهني الدسم . وليس مقدار ما في ألبان الحيوان من هذه الجواهر وبمستوى ، فلذلك حمدنا من اللبن ما كان معتدلاً في جميع جهاته» (ص٧٤).

٤ — كمية وكيفية الرضاعة من الثدي وأوقاته : لقد تكلمنا عن إرضاع الطفل في أيامه الأولى فلا نرى حاجة لتكرار ذلك ، وإنما سنذكر هنا مالم نذكره مما له علاقة بهذا الباب .

يقول ابن الجزار في طريقة إرضاعه وأحسن الأوقات لذلك ، قولاً علمياً صحيحاً نذكر هنا قوله : «وينبغي ألا يرضع الصبي بعقب الحمام إلا بعد أن تهدأ حركاته لئلاً تعرض له تخمة فيتولد في بدنه كيموس رديء . فإذا أرادت إرضاعه فتغمز حلمتها غمزاً رقيقاً ثم تضعها في فيه وتعصرها بعض العصر لئلاً يتعب الصبي من كثرة المص ولا ترضعه لبناً كثيراً في دفعة واحدة بل دفعات قليلاً قليلاً إذا علمت أنه يحتاج اللبن» (٨٥ص٦٤ — ٦٥).

ولابن سينا هنا ملاحظة لابد من التنويه بها حيث يقول : « ويجب في كل إرضاعة وخاصة في الأرضاع الأول ان يحلب شيء من اللبن ويسيل بالغمز لئلا تضطره شدة المص

الى ايلام الات الحلق والمريء ...ولاينبغي ان يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة بل الأصوب أن يرضع قليلا قليلا »(٧ج١ ص١٥١– ١٥٣) .

ويقول عريب: « فيجب أن يكون ارضاع الطفل بقدر مايكفيه وينعش بدنه ولا يسرف به عليه فيتمدد بطنه ويتقيأ ويصيبه من ذلك فتور وكسل وطول نوم وتقلب وبكاء» (٨٢ص ص٥٤) .

أما داؤود الأنطاكي فتجده ولأول مرة قد احتسب مقدار حاجة الطفل للحليب في الأربع والعشرين ساعة حيث قال : « قالوا وأقل ماير تضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهماً والأكثر فيما قالوا خمسمائة» (١٤ص١٣).

ولما كان الدرهم يساوي حوالي ٣غم فيكون مقدار مايجب أن يرضعه حوالي ٤٥٠– ١٥٠٠غم حليب في اليوم وهو قريب جداً لما نحدده في حساباتنا لحاجة الطفل اليومي من الحليب .

٥ – أسباب منع الرضاعة من الأم: سبق وان قلنا بأن الرضاعة الطبيعية من الأم هي المفضلة دائماً، أما اذا وجدت عوارض تحول دون ذلك ، فإن اللجوء الى مرضعة أخرى أو الى الرضاعة الصناعية يصبح أمراً غير أختياري . والعوارض التي تحول دون الرضاعة الطبيعية، قد يكون مبعثها أمراض تصيب الأم أو امراض تصيب الطفل . هذه الحقيقة جاءت في كتابات الأطباء العرب فأشاروا الى اسباب منع الرضاعة من الام بشكل جلي سواء الدائمة منها أو الوقتية نذكر فيما يلي بعضاً من أقوالهم .

يقول ابن سينا: « فإن منع عن ارضاع لبن والدته مانع من ضعف أوفساد لبنها» ثم يقول: « اذا عرض للمرضعة مزاج رديء او علة مؤلمة أو اسهال كثير أو احتباس مؤذ فالأولى ان يتولى ارضاعه غيرها الى ان تستقل وكذلك اذا أحوجت الضرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة» (٧ج١ص١٥٣). العلم الحديث يؤيد ابن سينا فيما ذهب اليه من كون بعض العلاجات (كالمسهلات وغيرها) تعبرعن طريق الحليب، الأمر الذي يستوجب يستوجب عدم ارضاعه حليب الأم لحين تركها تناول العلاج .

وأما علي بن العباس المجوسي فيقول : « فإذا دعت الضرورة الى ان يتغذى المولود بلبن غير والدته بسبب قلة لبنها او لسبب مرض لحقها أو غير ذلك من الأسباب المانعة فليؤتى له بمرضعة» (٨٩ج٢ص٥٦) .

٦ ـ صفات المرضعة : لقد أهتم الأطباء العرب منذ القديم بتغذية الطفل فحاولوا إيجاد وسائل وطرق لتغذية الطفل حين يحرم من أمه لسبب من الأسباب ، والوسيلة السهلة والوحيدة التي اتبعوها كانت استئجار مرضعة تقوم بإرضاعه مع طفلها ، الا انهم لم يستهينوا بذلك بل وضعوا للمرضعة شروطاً وصفات لابد من توفرها لكي يسمحوا لها بإرضاع الطفل ، وان هذه الشروط تكاد تكون جميعها مقبولة اليوم ، نوجزها فيما يلي :

ـ سنها : يحدد المجوسي سنها بقوله : « سنها خمسة وعشرون سنة الى اربعين» (٨٩ج٢ص٥٦) . في حين ابن الجزار يقول بما قاله جالينوس : « ان تكون شابة غير مسنة ، وكذلك قال جالينوس في كتاب السياسة وذلك ان الشابة تكون ابنة خمس وعشرين والكبيرة ابنة خمس وثلاثين سنة» (٨٥ص٧٠) .

ـ حسبها وأخلاقها : انه من الثابت تربوياً اليوم بأن للمرضعة بأعتبارها تقوم مقام الأم ، أثر بارز ودور كبير في غرس مبادىء الأخلاق الحميدة لدى الطفل فمتى كانت قدوة حسنة كان سلوكه كذلك والا كان العكس . وهذا ماأجمع الأطباء العرب عليه قديماً .

يقول ابن الجزار في ذلك : « وقد امر بعض الأوائل ان تختار المرضعة من أهل بيت عقل وأدب وعفة وصحة وسخاء ونجدة ، وكان يقول ، قد يعرض للطفل من أهل بيت المرضعة ما يعرض له من اهل بيت أبيه وامه (٨٥ص٧١) .

أما ابن سينا فيقول : «فإن تكون حسنة الأخلاق بطيئة عن الأنفعالات النفسانية الرديئة ، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدي بالرضاع» . (٧ج١ص ١٥٢) .

ويؤكد أحمد بن محمد الطبري نفس المعنى بقوله : « ان الأخلاق أكثرها من المرضعة فيجب أن تكون على نهاية الرضى والحمد في أخلاقها وطهارتها » (٦٤ص ٦٧) .

جسدها: يقول ابن سينا: «واما شريطة سحنتها وتركيبها فيجب أن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعة عضلانية صلبة اللحم متوسطة في السمنة والهزال» (٧ج١ص١٥١)
أما ابن الجزار فيشترط في ذلك «أن يكون صدرها واسعاً وثدياها وسطاً لا كبيرتين ولا صغيرتين ملستين غير رخوتين وتكون حلمتاهما لينتين واسعتي المري (العرق الذي يدر اللبن) لا صغيرة ولا كبيرة، لأن الكبيرة تمنع لسان الصبي من المص والأستدرار والصغيرة لايتمكن من مصها» (٨٥ص٧١-٧٢).

كيفية حليبها: اشترطوا ان يتصف حليبها بنفس صفات الحليب الجيد التي ذكرناها سابقاً.

مدة وضع المرضعة: يقول ابن الجزار «وينبغي أن تكون المرضعة قد ولدت ولدين أو ثلاثة من غير وجع ولا اسقاط وتكون مع أم الصبي الذي ترضعه» (٨٥ص ٧١-٧٢).

أما ابن سينا فيقول: «فيجب أن تكون ولادتها قريبة لا ذلك القرب جداً بل مابينها وبينه شهر ونصف أو شهران وأن تكون ولادتها لذكر وأن يكون وضعها لمدة طبيعية وألا تكون أسقطت ولا كانت معتادة الإسقاط» (٧ ج١ص١٥٣) نحن اليوم نقرهم في بعض ماذهبوا إليه هنا كاشتراطهم سلامة الأم من الأمراض ومدة الوضع. إلا أننا لانقرهم في مسألة أن تكون ولادتها للذكر، حيث أنه من الثابت مختبرياً بأن لافرق بين حليب الأم سواء كانت ولادتها لذكر أم أنثى.

العناية بصحة المرضعة وغذائها: يقول ابن سينا: (ويجب أن تؤمر المرضع برياضة معتدلة وتغذى بأغذية حسنة الكيموس ولا تجامع البتة، فإن ذلك يحرك منها دم الطمث فيفسد رائحة اللبن ويقل مقداره بل ربما حبلت وكان من ذلك ضرر عظيم على الولدين معاً. أما المرتضع فللانصراف للطيف من اللبن إلى غذاء الجنين ولقلة مايأتيه من الغذاء لاحتياج الآخر إلى اللبن) (٧ج١ص١٥٣).

طب الأطفال الحديث يتفق مع ابن سينا في ضرورة استعمال المرضعة الرياضة وحسن تغذيتها ولا يوافقه في بقية ماذكر، وإذا كان يخشى على المرضعة من الجماع فربما ذلك حفظاً عليها من احتمال الحمل الذي يؤدي بدوره إلى قلة في حليب الأم وليس لضرر فيه.

وعن العناية بصحة المرضع وغذائها يقول ابن الجزار :«ينبغي أن تغذي المرضعة للصبي بالأطعمة والأشربة الموافقة للبن ، المحمودة ، ويلزم أيضاً قيامها على نفسها ألا تجوع ولا تمتلىء ، ولا تستطلق بطنها ولا تيبس .

وتستعمل من التعب مقداراً كافياً ...وتلزم أعمال الايدي وتلعب بالكرة وتروض يديها في جميع ذلك رياضة معتدلة ،وتستعمل من الأطعمة ماكان مزاجه حسناً مثل خبز القمح المحكم الصنعة وما أشبه ذلك ،وتتناول مرة بعد مرة الأشياء المتخذة من الحبوب المحمودة الخلط والسمك الذي ليس بغليظ ،ومن اللحم الطري ومن أطراف الدجاج والطير وتشرب شراباً يمانياً مائلاً إلى الحلاوة ، فإذا نبتت أسنان الصبي ،فلتتناول من الاغذية اقوى مما وصفنا مثل لحم الجدي والحملان ، وأما أول ما ترضعه فتستعمل أغذية يسيرة ...وتجعل شرابها الماء بقدر كثير ... ولا تكثر من الشراب ، فإن الشراب الكثير رديء للمرضعة والصبي ... وتأكل من البقل خاصة الخس فإنه عمود الخلط ،وهو يلائم الطفل ،وتأكل الاوز فإنه يدر اللبن» (٨٥ ص٧٥–٧٦) .

لاشك بأننا نجد في أقوال ابن الجزار كثيراً من الأمور التي يقرها العلم الحديث وخاصة مسألة الرياضة وغذاء المرضعة .

ب – حليب الحيوانات :

لم يكتب الأطباء العرب في مجال إعطاء الطفل حليب الحيوانات شيئاً كثيراً ،مما يدل على عدم انتشار استعماله في إرضاع الأطفال بصورة واسعة ،ولم نعثر في كتبهم سوى على فقرات قليلة ، ففي تبيان جودة أنواع حليب الحيوانات كتب ثابت بن قرة :

«ومراتب الألبان ثلاثة ، لطيف جداً مثل لبن الأتن (والأتن انثى الحمار) ، وغليظ جداً مثل لبن البقر ، ومتوسط مثل لبن المعز» (٩) .

والعلم الحديث يقر بأن لبن الحمير أقرب أنواع الحليب للحليب الآدمي لولا صعوبة تعقيمه والحصول عليه .

وجاء في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي/قصة طفل عاش عدة أشهر وهو يرضع من كلبة بعد ان كان قد قضى الطاعون على كل اهل الدار ماعدا الطفل ، الذي عندما اشتد جوعه

ورأى جرو الكلبة يرضع ، قلد الجرو فلما ارضعته تعود على ذلك وامكنته الكلبة من لبنها »
(٢٤ ج٤ ص١٥٤) .

ويقول ابن سينا عن انواع وصفات لبن الحيوانات /

((لبن ـ الماهية ـ اللبن مركب من جواهر ثلاثة مائية ، وجبنية ، ودسومة ، وتكثر الدسومة في البقرى ، ولبن اللقاح (الأبل) اقل دسومة وجبنية وهو رقيق جداً . ولبن الأتن ايضاً قليل الدسومة رقيق . ولبن المعز معتدل . ولبن النعج غليظ دسم . ولبن البقر ادسـم واغلظ .

الأختيار ـ افضل الألبان للانسان لبن النساء واجود الألبان هو المشروب من الضرع او كما يحلب ، واجوده الشديد البياض المستوى القوام الذي يلبث على الظفر ولا يسيل منه ، ويكون رعي حيوانه نباتاً فاضلاً ، ولا يكون فيه طعم غريب الى حموضة او مرارة او حرافة ورائحته غريبة او كريهة ، ويجب ان يستعمل كما يحلب قبل ان يستحيل)) (٧ج١ ص٣٥٥)

ويقول الأنطاكي عند التحدث عن اللبن : «لبن ... يختلف باختلاف أصوله وما تناول من المراعي ، وأما ماهو في نفسه فلا شك أنه مشتمل على سمنية حارة يابسة وجبنية باردة يابسة في الأولى ومائية باردة رطبة في الثانية » ثم يقول : «وألذه لبن البقر وأحلاه لبن الأتن وأفتحه للسداد لبن اللقاح وأكثره نفعاً في الحمل والإنتاج لبن الخيل . وأكثره جبنية مااغتذى بالغليظ ولا توجد في لبن ذي حافر ولا خف وكذا السمن .. واللبن يمكن تناسبه لسائر الأمزجة والفصول لقبوله التعديل والطف ما استعمل حال حلبه لما فيه من الحرارة التي تفارقه إذا برد وإذا طال مكثه فلا يستعمل حتى يسخن» (١٤ ص٢٥٥) .

إن ملاحظة الأنطاكي حول ضرورة تسخين الحليب الذي طال مكثه قبل استعماله ملاحظة جديرة بالإعجاب حيث أن غلي الحليب حتى اليوم يعتبر من وسائل التعقيم المهمة والمتعارف عليها . ونجيز بذلك لأنفسنا القول بأن للأنطاكي كان فضل السبق في ذكر ذلك وإن لم يكن عارفاً بعلم الجراثيم ووسائل التعقيم .

ونجد للأنطاكي أيضاً إشارة مهمة أخرى حيث يؤكد احتمال انتقال بعض الأمراض عن طريق حليب بعض الحيوانات التي تتناول الجيف ، فيقول : «كما أن أجوده من باقي الحيوانات ماحسن مرعاه وطاب ماؤه وهواؤه وسلم من تناول الجيف..» (١٤ص٢٥٦).

ج- الغذاء الإضافي والفطام :

لقد أجمع الأطباء العرب على تغذية الطفل أغذية إضافية واشترطوا أن يكون ذلك بالتدريج

يقول ابن الجزار : « إن الطفل من بعد وقت اللبن يأخذ في استعمال المضغ فيستعمله من تلقاء نفسه كما يتعلم سائر الأعمال» . « وتؤمر المرضعة أن تنقص من لبنه وتعوده الطعام وتمرنه عليه كي لايضره الانتقال بغتة ويكون أول طعامه خبزاً ممضوغاً ويجعل في فيه» «وبعد أن يطعم الخبز المطعم ،ويجوز أن يطعم خبزاً نظيفاً قد بُلّ في ماء وعسل أو في لبن ويسقى في بعض الأحايين بماء وفي بعضها شراب قد مزج بالماء حتى رق وصفاً» (٨٥ص٦٦ — ٦٧) :

ويقول ابن سينا في هذا الباب : « واذا أشتهى الطفل غير اللبن أعطي بتدريج ولم يشدد عليه ثم اذا جعلت ثناياه تظهر أعطي شيئاً صلب المضغ ثم خبزاً بماء وعسل أو بشراب أو بلبن ،ويسقى عند ذلك قليل ماء وفي بعض الأحيان مع يسير شراب ممزوج به ولاتدعه يمتليء... واجود تغذيته أن يؤخر الى ان يمرخ ويحمم ثم انه اذا فطم تقل الى ماهو من جنس الأحساء واللحوم الخفيفة ويجب ان يكون الفطام بالتدريج لادفعة واحدة ويشغل ببلاليط متخذة من خبز وسكر»(٧ج١ص ١٥٣) .هذا الكلام القيم في تعويد الطفل الأغذية بالتدريج لاينقصه سوى تحديد الزمن الذي يبدأ به كل طعام .

وفي فطام الطفل ننقل قول عريب : « واذا بلغ الصبي مبلغ مايقدر على قدر شيء من الطعام وقرب وقت الفطام عملت له بلاليط مـن دقيق السميدولبن وسكر ودفعت اليـه ليمصها ويلوكها ويتدرج بذلك الى الأبتلاع ويعطي أيضاً من لحم صدر فروج رخو أو لحم فروج جملة فإذا استطاب ذلك ونال منه نزعته من الرضاع قليلا ثم درجته في ذلـك حتى يفطم . وفطام الصبي يكون بعد سنتين من ولادته أو بعد ثلاثين شهراً أن أطيل ارضاعه كما قال عزوجل (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ثم ينقل عن الرضاع بتدريج لطيف .ولايكون فطامه في زمان حار» (٨٢ص٧٢).

ان التأكيد من قبل الأطباء العرب على جعل الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة حقيقة علمية صحيحة تسجل لهم بكل فخر لأن الزام الطفل المفاجيء بطعام جديد وطريقة جديدة لتناوله يجعل الطفل يعزف عن الطعام متعرضاً بذلك لخطر جسيم خاصة اذا كان المناخ حاراً. كما ان الفطام المفاجيء يمثل عملية حرمان قاسية قد تسبب له مضاعفات انفعالية وصدمات نفسية.

الفصل الرابع

أمراض الأطفال ومعالجتها عند الأطباء العرب والمسلمين

أمراض الأطفال ومعالجتها عند الأطباء العرب والمسلمين

نعيش اليوم العقد الأخير من القرن العشرين ، في عصر طب الأطفال الحديث، وقد عاش أناس قبلنا في عصور مختلفة وفي كل يوم يوافينا الطب بالجديد والغريب . وآياته الباهرة تحيط بنا من كل جانب ،في علاج الأمراض المستعصية واكتشافات اللقاحات للوقاية من أمراض كانت مهلكة لأطفال من سبقونا .واذا كنا نعجب لحاضره ، فما أجدرنا أن نقف على ماضيه لأنه ممهد دون نزاع لهذا الحاضر وهما معاً يفتحان السبيل أمام المستقبل .

ومما لاشك فيه أن تقدم الطب يحل جديداً محل قديم ولكن يجب الأ يغيب عن بالنا أن بعضاً من ذلك القديم يبقى خالداً على الأيام بما فيه من أصالة . فقد وجدنا مما سبق في هذا الكتاب ، كما سنجد فيما سيأتي منه ، بأن قسماً من تراث عبقريات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال وبعض النتائج التي توصلوا اليها لاتزال تؤلف اجزاء أساسية من معارف طب الأطفال الحديث .

الدارس لكتابات الأطباء العرب والمسلمين من أمثال الرازي والبلدي وابن الجزار وابن سينا وغيرهم يخرج بنتيجة حتمية ، بأنهم سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح في تناولهم امراض الأطفال . فهم يبدأون أولا بتعريف المرض ثم يذكرون أعراضه وينتهون الى ذكر العلاج، وفي كل ذلك يذكرون أغلب ماجاء في كتب الأقدمين مستعينين بطريقتي التجربة والقياس، فكل حقيقة عن الأمراض والعلاجات وغيرها من المواد الغذائية والدوائية لايقتنعون بها ولاتثبت لديهم بالمشاهدة الصحيحة والتجربة منفعتها وصحتها يرفضونها مبينين رأيهم وسبب رفضهم بروح علمية وانتقاد نزيه، وكل ما أقتنعوا به نقلوه وسجلوه في كتبهم مشيرين الى صاحبه. كما نجد بعضهم لايكتفي بالنقل عن غيره بل يقوم بالتعليق على ماينقل ويضيف ماجادت به خبرته ونادراً مانجد من يذكر نصوصاً دون ذكر اسم صاحبها ودون ابداء رأيه فيها أو التعليق عليها .

تناول الأطباء العرب امراض الأطفال بصورة عامة ، ولأجل اعطاء فكرة مبسطة وشاملة رأينا ان نمضي في استعراضها حسب التقسيمات الحديثة لأمراض الأطفال .

أولاً : الجهاز الهضمي

شملت كتابات الأطباء العرب عن امراض الجهاز الهضمي في الأطفال مايلي :

أ ـ أمراض المرىء :

انطباق المرىء

ب ـ أمراض المعدة :

١ ـ الأمتناع عن شرب اللبن .

٢ ـ تغير اللبن في المعدة .

٣ ـ ضعف المعدة.

٤ ـ سوء المزاج الحار والبارد في المعدة :

٥ ـ الفواق .

٦ ـ القيء.

٧ ـ القراقر والرياح في المعدة .

ج ـ أمراض الامعاء :

١ ـ انتفاخ البطن.

٢ ـ استطلاق البطن.

٣ ـ الزحير ، المغص ، اللوي .

٤ ـ الحصر والأعتقال ، اعتقال طبيعة الصبي ، احتباس البطن ، وتعني كلها الإمساك

٥ ـ خروج المقعدة .

٦ ـ الديدان .

ومن خلال ما كتبوه نستخلص بعض الآراء التي تتفق ومفاهيمنا الحديثة في طب الأطفال.

فعن القيء في الأطفال يقول البلدي : « القيء الذي ذكره أبقراط أنه يعرض للأطفال فيما بين الولادة ونبات الأسنان وانما يعرض ذلك ، اما لكثرة مايتناولونه من اللبن ... واما

لرداءة اللبن وفساده في نفسه واما لضعف معدهم . وان كان هذا سبب القيء في الصبيان فينبغي ان يقلل رضاعهم ويؤخر عن أوقاته ... وتصلح البانهم واغذيتهم وتقوى معدهم ويدام حميتهم بالماء الحار عند خلو معدهم من اللبن » (٢٠ص١٤٩) .ثم يصف العلاجات التي تساعد على شفاء الطفل.

نقول بأن البلدي كاد ان يقترب من الحقيقة التي نؤكدها اليوم في تبيان أسباب القيء في الأطفال ،فقوله: (لرداءة اللبن وفساده) يقابل قولنا اليوم بأن بعض الأطفال يتقيؤون لحساسية لديهم من حليب الأم ،وقوله : (أما لضعف معدهم) يقابل قولنا أن بعضهم يتقيؤون لترهل ولادي في عضلات المعدة أو لتضيق ولادي في بواب المعدة .

أما أبن هبل البغدادي في كتاب المختارات فيقول: « وقد يعرض للأطفال القيء فيسقون شراب التفاح المز وشراب الرمان المز المنعنع أو يسقون ماء التفاح» وهذا هو نفس مانوصي به اليوم عند اصابة الطفل(الذي يرضع الحليب الصناعي) بحالة قيء نتيجة التهاب حاد في المعدة اذ اننا نؤكد على ان يمتنع الطفل من تناول الحليب لمدة ٢٤ ـ٤٨ ساعة (والتي تسمى احياناً بفترة الصيام) وان يتناول محلول الكلوكوز والملح أو الشاي أو الكولا أو أي شراب آخر .

وأما عن اسهال الاطفال فننقل هذا القول للرازي : « ويتكرر حدوث الأسهال في الأطفال من سبب ظهور الأسنان كما ذكرنا، أو من سبب البرد اثناء لفه بالقماط، او من سبب تعفن الحليب من الصفراء والبلغم،علامة كونه من الصفراء هو اذا كان لون براز الطفل ليمونياً ذا رائحة حادة ويخرج دون توقف .علامة البرد والبلغم هو كون البراز ابيض يخرج متقطع، واذا كان البلغم لزجاً فالخروج يأتي سريعاً »(٤٩). ثم يمضي في وصف العلاجات لذلك، ومن الأمور التي يؤكد عليها اعطاؤه عصير الفواكه وشراب الورد والنعناع اضافة لعلاجات أخرى .

وفي معالجة إستطلاق البطن (الأسهال) يوصي ابن سينا كما كنا نوصي الى عهد قريب بقطع الطفل عن الرضاعة لليوم الذي يحصل فيه الأسهال الا ان التجارب الحديثة أثبتت ضرورة اعطاء حليب الأم حتى في حالات الأسهال وذلك لأحتواء حليب الام على بعض عناصر المناعة التي تزيد من مقاومة الطفل للأمراض ومنها الأسهال .

فيقول : « ويحذر حينئذ من تجبن في معدته بأن يغذي ذلك اليومماينوب عن اللبن ... أو سويق مطبوخ في ماء» (٧ص١٥٤) .

ويحدد البلدي اسباب المغص العارض للصبيان بـ(ريح ، رطوبات، كثرة ازدراد اللبن) ومن نصائحه المقبولة وصفه الأستحمام لتهدئة الطفل المصاب بالمغص .

ويعلل البلدي ايضاً خروج المقعدة ونتوءها في الصبيان تعليلا صحيحاً فيقول : « قد يعرض خروج المقعدة ونتوءها في الصبيان كثيراً وانما يكون ذلك لاسترخائها وضعف العضل الماسك لها ...وقد يكون هذا في غير الصبيان أما لورم يكون في المقعدة أو لخلط حار يلذعها ويهيجها الى الخروج ، فأما مايعرض للصبيان فإنما يكون لضعفها وكثـرة رطوبتها ...» (٢٠ص١٥٧) .

أما كتاباتهم عن الديدان فكانت كثيرة ، سوف نتناولها بالبحث عند التحدث عن الأمراض المعدية .

ثانياً : الجهاز التنفسي

ان امراض الجهاز التنفسي التي تكلم عنها الأطباء العرب كانت :

١ ـ السعال والزكام .

٢ ـ سوء التنفس .

٣ ـ الربو .

٤ ـ الخرخر .

٥ ـ نفث الدم والرعاف .

٦ ـ السل .

تناول الأطباء العرب والمسلمون أمراض الجهاز التنفسي بالتفصيل الا ان اهم النقاط البارزة والجديرة بالذكر كانت كما يلي :

يقول عريب عن الربو قولا موجزاً وشاملا ورائعاً : « فأما الربو العارض للأطفال فهو نفس متتابع شديد وجرجرة في صدورهم وفي حلوقهم عند النفس وبلة عظيمة تكون في آلات الرئة وأنابيبها» (٨٢ص٧٥).

وأما ابن الجزار فيقسم علاجات السعال الى انواع مختلفة تدل على معرفة دقيقة فهي عنده علاج لسعال الأطفال ،وعلاج للسعال الذي معه صريرة في النفس .

وتقسيم الرازي لأنواع علاجات السعال كذلك تقسيم جيد حيث صنفها الى علاج للسعال الأعتيادي ،واخر لسعال البرد، وأخر اذا كان الصدر محتقناً بالسوائل وآخر اذا كان مع السعال استطلاق (اسهال) ان اشارته لأحتمال حدوث الإسهال كعرض جانبي لالتهابات الرئة اشارة صائبة.

ويحدد البلدي أسباب السعال ب:

١ — رطوبة تنحدر الى صدورهم .

٢ — برد يلحق برؤوسهم.

٣ — كثرة رضاعهم .

لقد كان صائباً في ذكره السببين الأولين الا انه لم يوفق في السبب الأخير ويقدم. البلدي نصائح لمعالجة المصاب بالزكام مازالت مقبولة علمياً حتى اليوم وهي الحرص على تدثيره واعطائه العسل لتخفيف السعال وادامة الحميم بالماء الحار .

ويتحدث أحمد بن محمد الطبري عن التهاب الحنجرة ويسميها الخرخرة فيقول : «مما يحدث في حلوق الأطفال الخرخرة والسبب في ذلك سببان :أما ترطب الرئة بأكثر مما يجب ولايكون ذلك متساوي الأجزاء فيقع التنفس فيما بين تلك الأجزاء فتقع الخرخرة» (٦٤ص٢٧) .

ويقدم الطبري ايضاً في موضع أخر عرضاً لمسألة نفث الدم، وهو في عرضه استطاع أن يفرق بين أنواع الدم الذي يخرج من الرئة والذي يخرج من الأنف وغيره فيقول : «متى نفث الطفل الدم ... فهو على وجهين أما دم ينزل من رأسه.... أورثته فإن كان مما ينفث من الصدر لايخفى على الطبيب الماهر ذلك لأنه يخرج بالسعال والتنحنح وان كان مما ينزل من الرأس فعلامته ان يخرج من مناخره.... وجميعاً يعتل الطفل لضعفه وضعف قوته عن احتمال ذلك (٦٤ص٤٩)

أما اراؤهم واقوالهم في مرض السل فإننا سوف نتكلم عنها عند الحديث عن الأمراض المعدية.

ثالثاً : الجهاز العصبي

لم تكن أغلب أمراض الجهاز العصبي معروفة لدى الأطباء العرب. الا ان ما كتبوه في بعض أمراض هذا الجهاز كان كافياً للتدليل على مبلغ علمهم بدقائق هذا الجهاز . ان ما كتبوه في هذا الباب شمل :

١ — تشنجات الأطفال ، والشلل ، والاسترخاء .

٢ — كبر الرأس وصغره .

٣ — بكاء الطفل وسهره .

٤ — الأحلام المفزعة عند الطفل .

٥ — مرض العطاس .

٦ — ورم اليافوخ .

والآن لنتناول كلاً من هذه الأمراض ولنبين أبرز ماذكره الأطباء العرب فيها .

تشنجات الأطفال ، والشلل ، والاسترخاء :

أعطى الأطباء العرب والمسلمون لمرض الصرع أسماء مختلفة فمن ذلك (ابليمبسيا ، علة الصبيان ، ريح الصبيان ، أم الصبيان) وتكلم عنه غالبية من كتب عن أمراض الأطفال. وفي ضوء ماجاء في كتاباتهم نورد هذه الخلاصة لأنواع ومعالجة هذا المرض.

١ — النوع الطبيعي : يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة وسوء مزاج بارد يغلب على الدماغ وشفاؤه يكون بانتقاله من هذه السن ومقاربته البلوغ وملاحظة غذائه وإذا لم تتحسن حالته فنهايته الموت .

٢ — النوع العرضي : ويحدث بعد الولادة نتيجة رداءة التدبير في الغذاء أو غيره ولا ينتظر شفاؤه بانتقال الطفل من السن الذي هو فيه ولكن يبادر إلى علاج ذلك بعلاج السبب.
فإن كان التشنج من فساد اللبن أصلح وينقل عنه إلى لبن غيره . وإن كان غذاء رديئاً لم يقدم له . وإن كان من فزع اعترى الطفل أبعد عنه السبب .

٣ — التشنج نتيجة الحمى .

٤ — التشنج نتيجة البكاء الشديد :

٥ — التشنج نتيجة الإسهال الشديد وفقدان السوائل :

٦ — صرع الكبار : ومثل هذه الحالة إن كانت في الكبار كان صرعاً ، ويعسر تحلله فيهم ولا يطمع في برئه .

نورد فيما يلي نصوصاً من أقوالهم للتدليل على ذلك ، يقول الطبري عن فسلجة الصرع : «إن الطفل يحدث به الصرع من الدماغ ويسميه العامة ريح الصبيان ، وعلة ذلك أن لبن المرضعة يكون غليظاً ثخيناً فاسد الكيفية مائلاً الى البرد فتعجز طبيعة الطفل عن هضمه فيتولد منه بخارات غليظة فيملأ بطون الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع» (٦٤ص٩) .

وفي الحاوي يحدد الرازي مرض الصرع بشكل واضح وقد ذكرنا آراءه حول ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس من الكتاب .

أما في رسالته عن أمراض الأطفال فإنه يؤكد على أن هناك نوعين من الصرع نوع خلقي وآخر عرضي فيقول : «الصرع يحدث في طريقتين ، إما أن يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة باردة في المزاج الطبيعي للدماغ ، أو أن يكون عرضياً لهؤلاء الأطفال . وعلامة كونه طبيعياً أن الطفل يولد مصاباً به ، وعلامة كونه عرضياً حدوثه بعد الولادة . وشفاء النوع الأول الولادي هو ملاحظة الغذاء لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يشفى منه ولكن إذا لم يتحسن فإن هذا البلاء يؤدي بالطفل للوفاة» (٤٩) :

ومن جملة ماذكره ابن الجزار عن هذا المرض قوله : «إذا كان ابتداءه مبدأ أول الولادة ، فالسبب فيه. سوء مزاج غالب على الدماغ ، اما بارد واما رطب و اما بارد ورطب فإن لم يكن ابتداؤه مبدأ أول الولادة فحدوثه امامن سوء التدبير واما بسبب آخر من خارج فإذا عرض فينبغي أن يعلم أن منهم من يحتاج إلى العلاج الطبي ومنهم من لايحتاج إليه. فأما من لايحتاجون إليه والذين حدث لهم هذا الداء في سنهم الأول ، وذلك أن برؤهم منه يكون بانتقالهم من سن الأطفال الى سن المراهقين ... فأما الصبيان المحتاجون إلى العلاج الطبي فهم الذين يحدث لهم هذا الداء بعد ولادتهم» (٨٥ص٩٧ — ٩٨) .

وبعد ذلك يؤكد عريب نفس المعنى بقوله : « فإن كان التشنج من فساد اللبن أصلح وتنقل إلى لبن غيره ، وإن كان من غذاء رديء أوفزع اعترى الطفل عولج ذلك من وجهته بقطع الأسباب المولدة لها ونفيها عن المولود» (٨٢ص٦٨)

ويقول ابن الجزار عن التشنج نتيجة البكاء الشديد وهو مانسميه (الغصة) بالعامية ونسميه علمياً(Breath—holding spells) :

«ولا يمكن من البكاء فانه اذا كثر بكاؤه عرض له ابليمبسيا» (٨٥ص٦٨).

أما أبن سينا فإنه يذكر بأن التشنج قد يحدث نتيجة البكاء ونتيجة الحمى والأسهال الشديد فيقول : «الصرع تشنج البدن كله ومنه مايعرض للصبيان لرطوبتهم وكثرة بكائهم يتشجنون أيضاً في حمياتهم وان كانت حمياتهم خفيفة » الى ان يقول : « اما جامن جاوز سبع سنين فلا يتشنج الا لحمى صعبة جداً ومن التشنج مايعرض للخوف». ثم يقـــول : «واما التشنج اليابس فمنه مايكون عقب الدواء المسهل وهو ردي ء جداً وكذلك عقيبب كل استفراغ ومنه مايكون عقب الحميات المحرقة» (٧ج٢ص٩٥–٩٦).

أما أهم فقرة ذكرها ابن سينا فكانت تقسيمة الصرع الى صرع كبير Grand mal وصرع صغير petitmal حيث دعاهما بالصرع الصعب والصرع السهل فقال : « وعلامة الصرع السهل ان تكون الأعراض اسلم وان يكون صاحبه يثوب اليه العقل بسرعة فينحدر كما يفيق ، وان تسرع الى افاقته(بالعطوسات والشموسات وبما يحرك القيء مما يدخـــل الحلق قاءأولم يقيء، وعلامة الصعب منه عسر التنفس وطول الأضطراب ، ثم طول الخمود أو يطول الخمود فيه ويقل الأضطراب» .

وفي معرض وصفه الصرع الكبير قسم هذا المرض الى :

مرحلة النسمة Aura

مرحلة الأرتجاج Clonic

ثم مرحلة الأسترخاء Stage of Relaxation

ونظراً لما في كتابات البلدي في هذا الباب من اهمية علمية خاصة واسهاب رأينا أن نوجز أقواله بما يلي :(٢٠ص٢٣٦–٢٥٩) التشنج والأسترخاء والتمدد والكزاز بمعنى واحد وهو سكون وحركة الأعضاء المحركة بإرادة حركة خارجة عن الطبيعة وسكون بغير ارداة والسبب في ذلك :

١ ــ الأمتلاء .
٢ ــ كثرة الخلط.
٣ ــ اليبس.
٤ ــ الأستفراغ.
٥ ــ الحميات الحادة .

وانواعه :

أولا: من امتلاء الدماغ :

١ ــ الذي يكون من أمراض الدماغ وامتلائه كان عنه السكتة .

٢ ــ الذي يكون من مرض مباديء العصب النابت من الدماغ وامتلائها كان عنه الصرع .

٣ ــ الذي يكون من امتلاء بعض الأعصاب لا كلها حدث عنه تشنج واسترخاء في ذلك العضو الذي تحركه تلك العصبة كالعين والشفة.

٤ ــ ان كان من عصب الحس والحركة معاً حدث عنه التشنج والأسترخاء مع بطلان الحس .

ثانياً :من امراض النخاع :

١ ــ ان كان في العصب الثابت من النخاع في مبدئه وأصله تبع ذلك تشنج جميع البدن واسترخاء دون الوجه .

٢ ــ وان كان ذلك في مبدأ العصب الاتي الى احد الجانبين من البدن حدث عنه فالج في ذلك الجنب .

٣ ــ وان كان في العصب الاتي الى قدام اولى خلف كان عنه تشنج واسترخاء من خلف أو قدام .

٤ ــ وان كان فيعصب آت الى عضو منفرد من البدن كان عنه تشنج في العضو دون غيره .

ثالثاً: من امراض العضل :

ويقول الطبري عن الأسترخاء : « ربما اصاب الطفل الذي لم يتغذ بالخبز والزهومة، الأسترخاء فينظر فإن كان ذلك وراثة مثل أن يكون بأبيه وامه استرخاء فلا حيلة فيه وان لم يكن بهما ذلك فلا شك من الأغذية الرديئة التي تتغذى بها مرضعة الطفل من فضول مجتمعة في بدنها رطوبية » (٦٤ص١٤) وفي هذا القول التفاتة جميلة ، حيث قسم الأسترخاء في الأطفال الى نوعين: مكتسب ووراثي. وربما قصد أيضاً بعض انواع التسمم بالغذاء بالغذاء والعناصر المعدنية والتي تؤثر على الجهاز العصبي ، كما نجد له اشارة ايضاً الى عدم امكان معالجة الأسترخاء الوراثي .

وقبل ان نختتم الحديث عن التشنج لابد من الأشارة الى ذكر داوود الأنطاكي في علاج مرض(أم الصبيان)تشريط الأذن واعطاء الطفل مغلاة الخشخاش(١٤ج١ص١٣). وان ذلك ربما يوحي – بمعرفة قسم من الأطباء العرب بما يشبه المعالجة بالوخز بالإبر الذي كان ولايزال يقوم به الأطباء الصينيون .

كبر الرأس Hydracepholus وصغره Microcepalus في الأطفال :

يقول الرازي في الباب الثالث من رسالته في طب الأطفال: « يلد بعض الأطفال برأس كبير وبعد الولادة يكبر أكثر بشكل غير طبيعي وقد شاهدت طفلا كبير الرأس من ناحية الطول والسعة لدرجة أن كان من الصعوبة على جسمه حمل رأسه . ولم يتوقف تضخم الرأس حتى توفي الطفل .

ان مثل هذا الانتفاخ في الراس يحدث اما من انتفاخ ينتشر في عظام الرأس أو من تجمع ماء محصور داخل الرأس لايجد له منفذاً للخروج (٤٩) .

بكاء لأطفال والسهر والأحلام المفزعة :

لقد كان تحليل الأطباء العرب لأسباب البكاء عند الأطفال تحليلا شاملا ولم يضف ، الطب الحديث الى ذلك شيئا جديداً .

يقول المجوسي عن اسباب البكاء عند الأطفال : « وقد ينبغي ان تتفقد الطفل اذ هو بكى ويبحث عما يؤذيه بالحدس والتخمين ممن قد ارتاض في تربية الأطفال فإن الطفل لايبكي

الا لشيء يؤذيه اذا كان ليس به استطاعة للشكوى، والأذى ينال الطفل اما من خارج واما من داخل ، اما من خارج فبسبب الحر والبرد اوالذباب اوالبق وماشبه ذلك . فينبغي ان يزال عنه ذلك السبب : واما من داخل فبسب الجوع والعطش اواحتباس البول والبراز او بسبب وجع في الأعضاء ، اما الجوع والعطش فينبغي ان يتعود بالغذاء واللبن وباسقائه الماء ، واما احتباس البول فينبغي ان يسقى لبن بزر البطيخ مع الجلاب ... وينطل على عانته الماء » (٨٩ ص٥٣) ، ثم يمضي في سرد العلاجات للاسباب الأخرى .

ويختصر الطبري اسباب البكاء في كلمات قليلة ذات معنى علمي كبير حيث يقول : «اذا بكى الطفل دائماً فهو لأحد اربعة اسباب ، اما لوجع في بعض اعضائه اولاحتباس اللبن في معدته اولشيء يؤذيه في مضجعه اولقلة الغذاء وجوعه » (٦٤ ص٢٣) .

ويهدىء ابن الجزار من روع الأبوين اذا بكى طفلهما بقوله : « وقد ينتفع بالبكاء اليسير ولاسيما قبل شرب اللبن وهو جائع فإن ذلك مما يرد اعضاءه ويوسع صدره ودبره» (٨٥ ص٦٥) . وهذا صحيح فالكثير من الأسناخ الرئوية تتفتح ويتسع القفص الصدري وتنشط الدورة الدموية . ويزداد التبادل الغازي في الرئتين ، وذلك بفعل الشهيق والزفير العميقين وبفعل الضغط والأحتقان المرافق لعملية البكاء ، والطب الحديث يؤكد ضرورة البحث عن اسباب البكاء فان نفينا السبب المرضى فلا قلق من بكاء الطفل ، وهذا ايضاً اكده ابن الجزار عندما تابع كلامه حيث قال : « فإن بكى الصبي بكاء دائماً ، فينبغي ان يحمل ويمشي به ويرد في المكان برفق . وقد يشتاقون الى البرودة اذا بلغت منهم الحرارة ، وقد يشتاقون الى الحرارة اذا بلغت منهم البرودة ، وقد يضجرون من كثرة الدثار والبسط واللحف ، التي تلقى عليهم اومن سوء ماتحتهم من الفرش ، فينظر في ذلك ماسبب ذلك منهم فيعنى باصلاحه على حسب مايوافقهم» (٨٥ ص٦٥) ، ويقول في موضع آخر :

«ولا يمكن من البكاء الكثير فانه اذا كثر بكاؤه عرض له ابلمبسيا ، فيجب ان يسكت كما ذكرنا بدءاً وبكل شيء يعلم انه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء ، مثل ان يحمل حملا رقيقاً ليناً ويحرك كذلك .. ويحسن له النغم .. وذلك ان الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب ومن اجل ذلك صار الأطفال ان نغم لهم انغام حسنة يستلذونها سكنت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب . ويقرب ايضاً الى الصبي ما

قد اعتاده من الأشياء التي تطربه اوتفرحه ، ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان ، ويحذر سماع كل شيء له صوت وجلبة رفيعة وان يتقي عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان شبه البراقع والأشياء البشعة ، فان هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظـــرة الشديدة » (٨٥ ص ٦٨ ـ ٦٩) .

ان هذا الرأي يقف معه بصلابة علماء النفس والتربية اليوم ، فكثيراً ماتفسر مشاكـل نفسية لدى الكبار بما يتعرضون له في مرحلة الطفولة من مشاكل وشدات سجلها عقلهم الباطن وانعكست بسوء على حياتهم كلها .

ويمضي ابن الجزار في وصف العلاجات للسهر العارض للصبيان ومن جملة ذلك يقول «انه معلوم مفهوم ان الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم ..وقد يعرض للصبيان الفزع في النوم » الى ان يقول : « فاذا عرض للصبي السهر فينبغي إذا أردت علاجـــه ان يبتديء فيسقى الصبي بشيء من دهن البنفسج ودهن الزعفران .. ويسقى الصبي من شراب الخشخاش ... وينبغي أن يعني بغذاء الصبيان لئلا تصيبهم التخمة ويناموا بعد الرضاع » (٨٥ ص ١٠٠ ـ ١٠١) .

مرض العطاس او وورم اليافوح

باستعراض ماكتبه الأطباء العرب عن هذا المرض يتبين أنهم ربما يقصدون بذلك مـــا نطلق عليه اليوم : (التهاب السحايا اوالتهاب الدماغ) . على سبيل المثال يقول الرازي : «العطاس يحدث من الدماغ اومن اغشيته . واعراضه ان تغور العين بافراط ويتبعه حمى» (٤٩) ويقول البلدي عن ذلك : « فإن الذي يحدث في الدماغ نفسه أعظم واشد خطراً واقوى أعراضاً مما يكون منه في الحجاب المغشي للدماغ » (٢٠ ص٢٣٤) .

وقبل ان ننهي امراض الجهاز العصبي نذكر كيفية معالجة طفل مصاب بـ (اللثغة) التي وان كان يظن كثير من الناس دون سند علمي انها حصيلة نقص فسلجي في اللسان اوالجهاز العصبي .

ذكر الرواة عن ابي الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قوله « حدثني ابي قال كنت ـ وانا صبي ـ لاأقيم الراء في كلامي واجعلها غينا . وكانت سني انذاك اربع سنين اقل او اكثر

فدخل ابوطالب الفضل بن سلمة اوابو بكر الدمشقي ، الى ابي وانا بحضرته . فتكلمت بشيء فيه راء فلثغت فيها فقال الرجل ياسيدي لم تدع هذا الصبي يتكلم هكذا ؟ فقال ابي ماصنع وهو الثغ ؟ فقال الرجل — وانا اسمع ماجرى واضبطه — ان اللثغة عادة سوء تسبق الصبي اول مايتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ .. وانا ازيل هذا عنه ، ولاارضى بتركك له عليه . ثم قال لي اخرج لسانك فاخرجته ، فتأمله وقال الجارحة صحيحة قال قل يابني راء واجعل لسانك في سقف حلقك فقلت ذلك فلم يستولي فما زال يرفق بي تارة ويخشن اخرى ، وينقل لساني من موضع الى موضع في فمي ويأمرني ان اقول راء فيه . فاذا لم يستولي نقل لساني الى موضع آخر من فمي دفعات كثيرة ، وطالبني بلفظ الراء منه ..... وهكذا حتى مرن لساني وذهبت عني اللثغة» .

رابعاً : الجهاز البولي والتناسلي

الأمراض التي تناولها الأطباء العرب في هذا الباب شملت مايلي :

١ — الحصى المتولد في مثانات الصبيان .

٢ — ورم الخصية .

٣ — رجوع القضيب حتى يصغر بعد ان كان كبيراً .

٤ — بول الحصاة والرمل

٥ — بول الدم .

٦ — خروج شيء يشبه المني

٧ — البول في الفراش .

لانرى حاجة للتحدث عما ذكروه في هذا الباب حيث اننا سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند التحدث عن جراحة الأطفال .

خامساً : الأمراض المعدية

ان مبدأ وجود العدوى في بعض الأمراض لم يبحثه اليونان ، وكان الأطباء العرب والمسلمون اول من بحثوا في ذلك ، الا ان عدم معرفتهم بعلم الجراثيم حدد معلوماتهم من ناحية الأمراض المعدية ، وعلى الرغم من ذلك فان كتابتهم عن بعض الأوبئة واثبات

العدوى وماذكروه عن بعض الأمراض المعدية تدل على عبقرية فذة في الملاحظة والتجربة والفهم الصحيح ويمكن لاي باحث منصف تلمس ملامح تلك العبقرية من استقراء النصوص العديدة في هذا المجال (*) .

ففي اقوال ابن الخطيب وابن خاتمة اثبات جلي لطبيعة مرض الطاعون المعدية ، وكان ابن التلميذ اول من نبه طلابه الى الأمراض الوافدة ، وفي وصف الدميري لمرض داء الكلب تأكيد على الأصابة بهذا الداء بواسطة العدوى ، واعتقد ابن سينا بأن حصول الأمراض يكون نتيجة شيء ماسماه (السبب) لعدم معرفته بالميكروبات ، وتوصل بفطنته الى ان حصول الأمراض يستوجب توفر نوع من الأستعداد البنيوي كما انه خمن مايحصل من صراع بين قوة الميكروبات (السبب كما سماه) وبين وسائل الجسم الدفاعية ، وعلى الرغم من عدم كون ابن خلدون طبيبا الا انه اكد بان الزحام والهرج هما سببان رئيسيان من اسباب سرعة انتقال الأمراض المعدية خصوصاً امراض الرئة ، اما ابن الأزرق في كتابه تسهيل المنافع نجده يؤكد بصراحة انتقال الأمراض بواسطة الهواء فيقول : « وينبغي للإنسان اجتناب الأمراض المعدية بواسطة الهواء الى مجالسة اصحابها كالجذام والجرب والرمد والسل فليحذر القرب من اصحابها وليتباعد عنهم الى فوق الرمح» ان تحديد المسافة بين الصحيح والمريض الى اكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين اسرة المرضى في المستشفيات .

من المعروف اليوم بأن من اسباب تضخم الطحال اصابة المريض باحد الأمراض الأنتانية كالملاريا والتيفوئيد واليشمانيا .. الخ وغير الأنتانية كذلك ، ان هذا ليس بجديد وانما ذكره الأطباء العرب قديما ، يقول ابن سينا قولا يدور حول هذا المعنى « هزال الطحال يدل على جودة الأخلاط وسمنه على رداءة الأخلاط وقد تؤول امراض الطحال الى حميات مختلطة كما انها قد تتولد عن تلك الأمراض قد يتولد كثيراً من الغب الغير الخالصة ومن الحميات الوباءة والحميات المختلطة واكثر امراض الطحال خريفية ..» (٧ج٢ ص٤١٠)

اما الأمراض المعدية والسارية التي يصاب بها الأطفال والتي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام :

(*) للمزيد من التفصيل وللاطلاع على النصوص يراجع مقال الأمراض المعدية عند العرب والمسلمين للمؤلف—مجلة المورد العراقية المجلد ٩ العدد ٤ لسنة ١٩٨١ . وكتاب الطب عند العرب والمسلمين ... تاريخ ومساهمات للمؤلف أيضاً .

اولا : الأمراض المعدية والتي عن الأحياء الدقيقة (الميكروبات) او (الرواشح الفيروسات) وهي :

١ ــ الجدري والحصبة والحميقاء :

ان اهم مايسجله التاريخ بفخر للرازي في هذا الباب هو كونه لأول مرة في تاريخ الطب وفي كتابه (رسالة في الجدري والحصبة) فرق بين المرضين ووصف كلا على حدة بصورة تفصيلية خلافا لمن سبقه من الأطباء العرب واليونان اذ انهم كانوا يعتبرون، المرضين مرضاً واحداً ،وقد جاء ذكر ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد عند التحدث عن مؤلفات الرازي .

ومن اضافاتهم الأخرى في هذا الباب تأكيد ابن سينا بأن الحصبة اكثر ماتكون عدواها في الربيع والخريف .

وكان البلدي اول من وصف مرض الحميقاء (الجديري = الجدري الكاذب) Chikinpox حيث ميزه عن الجدري والحصبة وسوف نذكر الدليل على ذلك بشكل مفصل عند التحدث عن البلدي .

ويعتبر البلدي ايضاً اول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الأمراض فقد اكد على ان المصاب بالجدري اوالحصبة اوالحميقاء مرة لايصاب بها مرة اخرى فنجده بعد ذكر علامات مرض الجدري وكيفية تفريقه عن مرض الحصبة يقول :«فأما مايخص من ذلك فسخونة البدن كله واشتعال لونه :؟ وحمرته .. ووجع الظهر خاصة.. فاعلم ان الذي يظهر بالعليل جدري وبخاصة ان كان لاتجدر سيما ان كان قد حصب وظهرت به الحميقاء » وعند التحدث عن مرض الحصبة يؤكد نفس الفكرة فبعد ذكر العلامات الفارقة بينه وبين مرض الجدري يقول «فاعلم انه يثور بالعليل حصبة ولاسيما اذا كان العليل لم يحصب وبخاصة اذأ كان قد جدر وظهرت به الحميقاء » (٢٠ ص٣٢٣)

٢ ــ شلل الاطفال :

يقول الرازي في ذلك : « يحدث الشلل في الأطفال اما في طرف واحد اوفي الجسم كله ويمنع الطفل من المشي او اي نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب علاج ذلك اذأ لم تكن من الولادة ... ان يوضع في حمام وان تدهن مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يومياً المعاجين التالية :.» (٤٩) ثم يمضي في ذكر المعاجين. وفي الحاوي يصف

الرازي ايضاً ضعف العضلات بالاسترخاء فيقول : « اذا وقع الأسترخاء بعقب مرض فأقصد اسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الأعصاب فإن فيها اخلاطا باردة » (٤٦ ص٧). وفي محل آخر يقول : « فإذا كان العضو عصب حسي وعصب حركي فربما حدثت الآفة بأحدهما » (٤٦ ص١٨). وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم على العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاما صائباً حيث ان ذلك معمول بـه الآن في علاج شلل الأطفال كما هو معلوم .

٣ ــ الكزاز : ــ يقول أحمد بن محمد الطبري عن هذا المرض :« يحدث في افهام الصبيان علة تعرف بالاصطكاك .. وهو ان تصطك أسنانه وتبرز عيناه ، في سائر بدنه ، شبيه بالاختلاج ولم أر طفلا حديثاً به هذه العلة نجا منها .. ذلك هو الكزاز ولايكاد يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراحة خفية اوظاهرة ((٦٤ ، ص١٣) . كما يقول عنه ايضاً :« علة في الطفل كثيراً وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة اطراف العضلات والأوتار ..» الى ان يقول : « واذا ما استحكم واصطكت اسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط وقلما يتخلص منه الطفل ..» ويذكر من اعراض الكزاز ايضاً : «العينان ناتئتان وان ترى العليل كأنه يبحث ويعرض له سهر وعسر بول واعلم ان كـل آفة يحصل في الوتر والنخاع والعضل .. ومايعرض له يعرض للدماغ ...» (٦٤ ص٥).

من الأعراض التي ذكرها ابن سينا لهذا المرض قوله((اما علامات الكزاز ... فأن يكون كالمخنوق مختنق الوجه والعين وريما خيل اته... معامتلاء العنق لايستطيع الالتفات وريما لم يقدر ان يبول ... وربما بال بلاارادة)) (٧ج ٢ص١٠٢) .

ان هذا الوصف الصحيح لأسباب واعراض وانذار هذا المرض لم يضف الطب الحديث اليه شيئاً يذكر سوى مسألة الوقاية منه .

ويذكر الرازي في الحاوي بأنه :« كان صبي اصابه نخس فيالجانب الأيسر من عضده في العضل فوضع الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات اخرى فتشنج الغلام ومات لان جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة »نستنتج من ذلك بأن الرازي يعزي سبب إصابة الطفل بالكزاز الى ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه ويؤكد ضرورة توسيـع فم الجرح وهذا ماينصح به الأطباء اليوم فيحالة مماثلة حتى اليوم (٣٥ ص٤١) .

٤ — السل :

مرض السل عندهم عبارة عن حدوث قرحة في الرئة يصعب برؤها ويفرقون بين الخراج وبين القروح ويصف ابن سينا هيئة المستعدين للسل وصفاً جيداً حيث يقول : « هؤلاء هم المجنحون الضيقو الصدر العريو الأكتاف من اللحم الطويلو الأعناق المائلوها الى قدام والسن الذي يكثر فيه السل مابين ثمان عشرة سنة الى حدود ثلاثين سنة كما وهي في البلاد الباردة اكثر .. وقد يعرض للمسلول ان يمتد به السل ممهلا اياه برهة من الزمان ، وأصحاب قروح الرئة يتضررون بالخريف » . ثم يميز بين السل وغيره ويذكر علامات السل بقوله : « السعال ، الذي كثيراً مايستبدبهم ويؤدي الى نفث الدم اوالسدة ، وحمى رقيقة لازمة تشتد عند الليل . ويفيض العرق منهم كل وقت ، ويأخذ البدن في الذبول والأطراف في الأنحناء والشعر في الأنتشار وتبطل الشهوة للطعام » . ومن ملاحظاته هنا ايضاً قوله «اقبل الأسنان لعلاج السل هم الصبيان » (٧ج ٢ ص٢٤٩) . كما ويقال بأنه اكتشف طبيعة السل المعدية لأول مرة . وكان الرازي اول من لاحظ تقوس الأظافر Clubbing في حالة الأصابة بالسل حيث يقول :

«فاذا وقع السل كمدت الوجنتان وذبل اللحم وتعقفت الأظافر » (٤٦ج ٤ ص٩٦) .

٥ — **الخناق** : يقول الرازي عن هذا المرض في الحاوي « رأيت في البيمارستان صبيانا حدث بهم خناق فكان صاحب الجراحات قد عرف ذلك فلا يداويهم بشيء اكثر من ان يجعل في الأنف شمعاً ودهناً وشنكارا حتى انه يذهب من ذات نفسه في اربعين يوماً وان لم يعالج » (٤٧ ص ١٧٩) .

٦ — **النكاف** : ولم نجد لدى الأطباء العرب شيئاً تحت هذا الأسم وانما وجدنا اشارات الىحدوث بعض الأورام خلف الأذن اوتحت الفك ربما قصدوا بذلك هذا المرض على سبيل المثال يقول مهذب الدين ابن هبل

«وقد يعرض للأطفال أورام في ناحية اوتار اللحيين .. خاصة عند نبات الأسنان » (٢١ ج١ص١٩٣) .ويقول في الأورام التي تحدث خلف الأذن « هذه من جنس الأورام التي تعرض في اللحوم الرخوة ويسمى هذا الورم الحادث في هذا الموضع بارطوس وبنات الأذن وهذا الورم قديشتد المه كما يشتد الم الورم الحادثفيباطن الأذن» (٢١ج ٣ص١٥١) .

٧ ــ الجذام :

اول من اشار الى احتمال انتقال العدوى في الجذام للطفل كان علي بن ربن الطبري حيث قال في كتابه فردوس الحكمة « .. وربما جرى ذلك في النطفة فلا يسلم لذلك الولد من الجذام » (٦٥ ص٣١٨) .

وقد اكد ذلك المجوسي في كتابه كامل الصناعة الطبية حيث قال « حتى ان هذه العلة تقوي النسل فتحدث بالاولاد . » (٩٠) .

٨ ــ الطاعون :

كان ابن القيم اول من اكد بأن سبب مرض الطاعون شيء آخر غير الأورام والخراجات الظاهرة وان مكروب الطاعون لايحتمل الحرارة الشديدة .

حيث ذكر ذلك في كتابه الطب النبوي فقال« والطواعين خراجات وقروح واورام رديئة حادثة في المواضع المتقدم ذكرها (المراق والأبط والعنق) قلت هذه القروح والأورام والخراجات هي آثار للطاعون وليست نفسه ولكن الأطباء لما لم تدرك منه الا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون » .

وفي موضع آخر يقول «وان كان اكثر حدوثه في اواخر الصيف وفي الخريف غالبا لبرد الجو رداءة الأبخرة والفضلات التي كانت تحلل في زمن الصيف » .

ولاشك ان سر هذا الداء ظل دفيناً الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حيث توسعت الأكتشافات العلمية والطبية واستخدمت الأجهزة الحديثة التي بواسطتها امكن رؤية هذه المخلوقات المتناهية في الصغر والتي تدعى البكتريا » (٣) .

ويقول ماكس مايرهوف ، وصف المؤرخ والطبيب ابن الخطيب الغرناطي (١٣١٣ ــ١٣٧٤م) عدوى الطاعون سنة ٧٤٩هـ في رسالته الشهيرة (مقنعة السائل في المرض الهائل) نذكر منها هذه الفقرة : « وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والأستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان ... ووقوع المرض في الدار اوالمحلة فالثوب او الأنية حتى القرط اتلف من علق بأذنه واباد البيت باسره ووقوعه وفي المدينة في الدار

الواحدة ثم اشتعاله منها في افراد المباشرين ، ثم في جيرانهم واقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق »

واكد ابن خاتمة نفس الكلام .

٩ ـ داء الكلب :ـ

جاء ذكر هذا المرض لدى اغلب الأطباء العرب من امثال علي ابن العباس ، ابن سينا ابن النفيس ، الدميري ، وغيرهم ووصفوه وصفاً دقيقاً سبقوا به باستور الذي يعتبر اول من اكتشفه ووصف اللقاح للتحصين منه .

١٠ ـ الرمد : لقد كان عبدالله بن قاسم الحريري من اوائل الأطباء العرب الذين أكدوا طبيعة هذا المرض المعدية حيث قال في كتابه : « نهاية الأفكار (٢) القسم الأول ص ٩٥ ـ ٩٦) . ومن امراض العين مايعدي ويتوارث ومنها مايعدي ولايتوارث .. الأول كالسبل والثاني كالرمد ولاسيما الى عين من ينظر اليه» واكد ابن الأزرق ذلك في كتابه تسهيل المنافع .

١١ ـ الأمراض التناسلية

لم اجد ذكراً للامراض التناسلية في كتب الطب العربية سوى ماجاء في تذكرة داود الأنطاكي في مادة الزئبق حيث يقول عنه بأنه يفيد في علاج الحب المعروف بالافرنجي ، (١٤ص١٦٩) مما يدل على ان هذه الأمراض لم تكن معروفة اومنتشرة لديهم وربما انتقلت الى البلاد العربية بعد الحروب الصليبية .

ثانياً : الإمراض المعدية التي تتسبب عن الطفيليات وهي :ـ

١ ـ الجمرة الخبيثة :

كان ابن سينا اول من اشار الى هذا المرض ووصفه في القانون بقوله : « فصل في الجمرة والنار الفارسية هذان اسمان ربما أطلقا على كل بثرة اكال منفط محرق محدث خشكريشة... وربما اطلق اسم الفارسية من ذلك على ماكان هناك من جنس النملة اكال محرق منفط فيه سعي ورطوبة .. قليل السواد قليل التعقير .. واطلق اسم الجمرة على مايسود المكان ويفحم العضو من غير رطوبة ويكون كثير السوداوية غائصاً ..» (٧ج ٣ص ١١٨) .

٢ــ مرض النوم : ان احمد بن محمد القلقشندي (٧٥٦ ــ ٨٢١هـ) كان اول من اشار الى مرض النوم عندما تحدث عن احد ملوك مالي في كتابه صبح الأعشى .

١٢ــ الجرب :

ان اول من اشار لطفيلي الجرب من الأطباء العرب هو ابو مروان عبدالملك ابن زهر وهو ثاني طبيب يشير الى ذلك بعد الأسكندر الترالي (٩٧) حيث وصفه تحت اسم الصوائب في الورقة ١٢٠ من التيسير بما يلي : ــ

«ويحدث في الأبد ان في ظاهرها شيء يعرفه الناس بالصواب وهو حكة في الجلد ويخرج اذا قشر الجلد عن المواضع منه حيوان صغير جدا يكاد يفوق الحس » وهو قول مطابق تماما لما هو معروف اليوم من ان الأفة حكة في الجلد وانه لايمكن رؤية الحيوان المختبيء الابازالة القشور عن المواضع الحاكة وان الحيوان متناه في الصغر ولاتكاد العين تحس به اوتراه.الا ان البعض يقول بان احمد بن محمد الطبري كان الاول حيث جاء في كتابه المعالجات البقراطية مانصه :

« اعلم ان الجرب انواع كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد واكثر حدوده الرأس ، شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور » . (٦٤ ص٥) .

ولو دققنا النظر في قول الطبري لوجدنا انه انما يشير الى بيوض القمل (الصئبان) وليس حشرة الجرب اذ من غير الممكن رؤية حشرة الجرب بالعين المجردة كما وانه من المعروف بأن حشرة الجرب لاتصيب فروة الرأس :

١٣ــ حبة بغداد :

وتسمى ايضاً « حبة بلخ : او البلخية» : ان اقدم من وصف هذا المرض ، واعطى اعراضه بصورة دقيقة وواضحة كان ابو منصور بن نوح القمري البخاري (احد اساتذة ابن سينا توفي سنة ٩٩١م) . وممن اشار الى حبة بغداد ابن سينا وقد ذكرها باسم قرحة او حبة بلخ . وايضاً ممن اشار الى هذا المرض ابو الفضائل اسماعيل بن الحسن الجرجاني.

(والذي يسمى غالبا سيد اسماعيل والمتوفي سنة ١١٣٧م / ٥٣١ هـ) ، حيث ذكر ان حبة بلخ — أي حبة بغداد — كانت ولاتزال متوطنة في بلخ وانها كانت موجودة في خانات دهستان ، حيث يطلق السكان في قصبة بلخ اسم عضة البعوض (بيش غازبيداجي) على الحبة . انه من المناسب هنا ان ننبه الى ان الناس في البدء ربطوا بين المرض وبين عضة البعوض(علماً بان ناقل هذا المرض حشرة تشبه البعوض وليس البعوض) (١٥ص٣٦٩) وعثرت مؤخراً في مخطوط لكتاب « الأسباب والعلامات »المستنسخ سنة ٥٩٤هـ=١١٧٩م، لمحمد بن علي عمر المتطبب المتوفي سنة ٦١٩هـ=١٢٢٢م ، على نص يؤكد ان ناقل المرض هو حشرة تشبه البعوض يقول :—

«البلخية — هي قروح مع بثور وخشكريشات وسيلان صديد وهي من جنس السعفة الردية ، وربما كان سببها لسع دويبة مثل البعوض الخبيث ..» (ورقة ٩٣ — مخطوطة مكتبة اوقاف الموصل رقم ١ /٢٠ خزانة الأحمدية . وقد يكون ذلك من أقدم الإشارات الى حدوث او انتقال مرض مستديم بعد عضة البعوض اوبكلمة اخرى حشرة ما .

ثالثاً : الديدان

ان تعرض الأطباء العرب والمسلمين لموضوع الديدان اعتمد اساسا على شكل الديدان البالغة كما تبدو للعين المجردة ، وما كان لهم ان يذهبوا الى ابعد من ذلك حيث انهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب هذه الديدان واطوار نموها كالبويضات واليرقات . وللسبب نفسه لم يوفقوا في فهم مصدر هذه الديدان وقالوا انها تتولد في الأمعاء من البلغم اذا كثر العفن مستندين بذلك على نظرية الأخلاط الأربعة . (٣٤ ص٧١ — ٧٣)

ولكن عدم معرفتهم بطبيعة الديدان ودورات حياتها لم تمنعهم من وصف اعراضها وصفا دقيقاً فقالوا انها كثيراً ماتتولد في الأطفال والصبيان وهي تهيج عند المساء ووقت النوم اكثر ،ومن اعراضها الجوع والخفقان الشديد والغثيان والمغص والأسهال وانتفاخ البطن ، واذا اشتدت العلة والوجع سقطوا اوتشنجوا والتوا كأنهم مصروعون دون فقد عقولهم وربما تأذت الرئة والقلب بمجاورتها فحدث سعال يابس وخفقان في البطن ،

ويعرض لبعضهم يرقان . ومن علاماتها سيلان اللعاب . اما الصغار فيدل عليها حكة المقعدة ولزوم الدغدغة عندها ويعرض صراخ وتململ .

والمبدأ العام في علاج الديدان : « ان يمنعوا من المادة المولدة لها من المأكولات الرطبة اللزجة مثل الفواكه والبقول والألبان واللحم الخام . وان تنقى البلاغم التي في الأمعاء التي منها تتولد ، وان تقتل بأدوية هي سموم بالقياس لها ... ثم تسهل بعد القتل ان لم تدفعها الطبيعة بنفسها ولا يجب ان يطول مقامها في البطن بعد الموت ثم يصفون عشرات الأدوية كالشيح والترمس وبذر الكرفس والثوم وقشر الرمان وورق الخوخ. واما حب القرع فانها تحتاج الى اقوى من الأفسنتين كالسرخس اما المحمولات فهي اولى بأن تخرج من ان تقتل الاما كان في المستقيم من صغار الديدان فهذه قد يقتلها احتمال الملح والأحتقان به ، واقوى من ذلك احتمال النفط الأبيض اوالقطران . والتعب والرياضة الشديدة قد تسهل خروج الديدان . اما اهم الديدان التي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها الى نوعين : —

أ ـ الديدان المعوية وهي :

١ ـ الديدان الطوال العظام (الحبات) :

وهي تشمل الديدان من صنف الاسكارس .

٢ ـ الديدان الصغار (دود الخل) :

وهي تشمل الأكزويورس .

٣ ـ العراض (حب القرع) :

الديدان الشريطية : يقول البلدي عنها بانها ان خرجت كلها تخلص المريض منها وان انقطعت تولدت ثانية ، وهذا قول صحيح لاشك (٢٠ — المقدمة) .

٤ ـ الديدان المستديرة :

ذكرها ابن سينا ويقال بأنها دودة الأنكليستوما ، وقد اكد ذلك الدكتور محمد عبدالخالق عام ١٩٢١ م وقد أقرت مؤسسة روكفلر الأمريكية ذلك فسجلت ان ابن سينا عرف مصدر

هذا المرض قبل ان يعرفه الطبيب الايطالي (دوبيني) الذي ينسب اليه الكشف عن هذا المرض .

ب- داء الخيطيات(داء الفيلاريا Filariasis مما ذكروه من أنواعها :

١ - داء الفيل : Filaria Bancrofli

يقول ابن سينا عن هذا الداء : « هو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو مايعرض في عروض الدوالي فيغلظ القدم » . وعن علاجه يقول : - « اما داء الفيل فخبيث قلمـا يبرأ ويجب ان يترك بحالة ان لم يؤذ فإن أدى الى تقرح وخيفت الأكلة لم يكن الاالقطع من الأصل » (٧ج ٢ص ١١٦) .

٢- العرق المدني (دودة المدينة)

Medina Worm-Ginea Worm-Dracancula-Medinensis

لايكاد كتاب من الكتب الطبية العربية يخلو من ذكر العرق المدني ، الا اننا لانظـن أحدا وصف هذه العلة حتى عصرنا هذا بأكثر مما قاله الرازي عنها وقوله فيها صواب كله والمعروف انها سميت كذلك نسبة الى المدينة المنورة(يثرب) اوعلى الأقل نسبة الى الجزيرة العربية (٣٥ ص٣٩٧ - ٣٧٩) يقول الرازي : « العرق المدني قد يكون في البلاد الحارة بسبب شرب المياه الرديئة .

ويقول : «ويحدث في البلاد اللطيفة الهواء والحارة وفي الأبدان الرطبة المترفة. اذا انتقلت اليها» (٣٤ ص٢٩٣-٢٩٤) ويتولد في الهند ومصر ويعرض في الأعضاء العضلية مثل المحصمين والساقين والفخذين واما في الصبيان فقد يعرض في الجنبين ،وكونها تحت الجلد ويخرج منه طرف العرق فإن مد عرضت عنه أوجاع شديدة وخاصة انانقطع» (٤٦ج ١١ص٢٩١) .

أما عن طريقة التخلص من هذه الدودة فنذكر قول الزهراوي حيث تكلم هو الاخر كلاماً يستوجب الأعجاب .يقول في سل العرق المدني : « هذا العرق يتولد في الساقين في البلاد الحارة كالحجاز وبلدان العرب وفي الأبدان الحارة القضيفة القليلة الخصب

وربما تولد في مواضع أخرى من البدن غير الساقين ... وعلامته ابتداء حدوث هذا العرق ان يحدث في الساق تلهب ثم تنفط الموضع ثم يبتديء العرق يخرج من موضع ذلك التنفط كأنه أصل نبات أو حيوان» وبعد ذلك يقول : «فإذا ظهر منه طرفه فينبغي ان يلف على قطعة صغيرة من رصاص تكون زنتها من درهم الى درهمين وتعقده وتترك الرصاص معلقاً في الساق، فكلما خرج منه شيء الى خارج لففته في الرصاص وعقدته فإن طال كثيراً فأقطع بعضه ولف الباقي ولاتقطعه من أصله قبل ان يخرج كله لأنك انقطعته تقلص ودخل فياللحم فأحدث ورماً وعفناً في الموضع وقرحة رديئة فلذلك ينبغي أن يداري ويجر قليلاقليلاحتى يخرج عن آخره ولايبقى منه شيء في البدن ،وقد يخرج من هذاالعرق في بعض الناس مايكون طوله خمسة أشبار وعشرة... فإن أنقطع لك في حين علاجك له فأدخل مروداً في الثقب وبطه طويلا مع البدن حتى يفرغ كل مافيه من مادة وحاول تعفين الموضع بالأدوية أياماً ثم عالجه بعلاج الأورام، وقد يكون هذا العرق ذا شعب كثيرة ولاسيما اذا ظهر في مفصل الرجل أو الرجل نفسه فيحدث له أفواه كثيرة ويخرج من كل فم شعبة فعالجه كما ذكرنا في التقسيم وبما يقدم» (٥٢ص٦٠٣) . ان طريقة العلاج هذه هي الطريقة المستعملة للتخلص من الدودة حتى اليوم.

٣ ــ الدود المتولد تحت الجلد Loiasis (*):

خصص الزهراوي لهذه الدودة فصلا خاصاً تحت اسم «الشق على الدود المتولد تحت الجلد ويسمى علة البقر» فقال: « هذا المرض يسمى في بعض البلدان عندنا علة البقر من أجل أنه كثيراً ما يعرض للبقر ،وهي دودة صغيرة واحدة تتولد بين الجلد واللحم وتشب في الجسم كله صاعدة وهابطة تتبين للمس عند دبيبها من عضو الى عضو حتى تخرق حيث ماخرقت في الجلد وتخرج وتكونها من عفونة بعض الأخلاط»الى ان يقول: «وانما يتوقع من أذيتها أنها اذا دبت في الجسم وارتفعت الى الرأس وبلغت العين فربما فتحت فيها وخرجت فأبطلت العين ويعرض ذلك كثيراً فإذا أردت علاجها واخراجها فإنما يكون ذلك عند دبيبها وظهورها للمس فينبغي ان تشدما فوقها وتحتها برباط شداً جيداً ثم تشق عليها وأخرجها، فإن غاصت في اللحم ولم تجدها فأحمل على الموضع الكي بالنار حتى تحرقها »(٥٢ ص٦٠٥).

(*) اعتقد أنهم يعنون بهذا المرض الذي يتسبب عن دودة (Loa-Loa) .

سادساً : الأمراض الجلدية في الأطفال :

لقد تكلم اغلب الأطباء العرب عن الأمراض الجلدية في الأطفال ولكن بشكل موجز ومتفرق ضمن مؤلفاتهم الطبية ويمكن تصنيفها في مجموعات متماثلة (٥٨).

١ ـ المجموعة الأولى :

وهي الأمراض الجلدية التي تدخل في مباحث الأمراض العامة الطبية والجراحية كالجدري والحصبة والحميقاء والسرطان والجذام والسل (داء الخنزير).

٢ ـ المجموعة الثانية :

هي الأمراض الجلدية الخمجية ، ومنها المتقيحة كالسعفة والقوباء والقروح والبثور والدمامل وتعفن اصول الأفخاذ والبلخية والنواسير والجرب والقمل، ومنها غير المتقيحة كالحمرات والدوالي والعرق المدني .

٣ ـ المجموعة الثالثة :

وهي الأمراض الجلدية العارضة ، كالحكة والشرى والنملة (الأكزيمة) والنار الفارسية والحصف .

٤ ـ المجموعة الرابعة :

وهي امراض اضطرابات تلون الجلد كالبرص والبهق الأبيض والبهق الأسود والبلق والنمش والكلف والبرش.

٥ ـ المجموعة الخامسة :

هي امراض الأغشية المخاطية كالقلاع والسلاق وامراض الشفتين وامراض الجهاز للتناسلي المذكرة والمؤنثة وامراض المقعدة .

٦ ـ المجموعة السادسة :

وهي امراض لواحق الجلد (الشعر والأظفار ومنها / داء الثعلب وداء الحية والهبرية والشيب وامراض الأظفار»

ولاعطاء فكرة عامة عن آراء الأطباء العرب فيهذا الباب نورد بعض الأمثلة عن بعض الأمراض الجلدية/

السعفة :

من المعروف اليوم بأن السعفة مرض جلدي يصيب فروة وشعر الرأس ، يكثر في الأطفال ونادراً يصيب الأنسان بعد البلوغ .

يقول الرازي في ذلك

«تظهر السعفة في الأطفال في الوجه والرأس تتولد نتيجة الدم والرطوبة في الجلد علامته أصابة صغيرة ينضح فيها ماء ، تنتشر في الوجه والرأس ويصحب ذلك حكة وصراخ وسهر مما يدفع الى تمزيق جلده» (٤٩).

ان هذا الوصف ينطبق على أكزيمة الرضيع أكثر مما ينطبق على داء السعفة التي نعرفها .

ويقول ابن زهر في ذلك /

«ان من علل الرأس القروح التي تكون فيه ، وخاصة بالأطفال وقليلا ماتكون بين أسن» (٨ورقة ٤ظ) .

ودعاها (داء القرع) وهي تسمى ببعض البلاد العربية بهذا الأسم حتى اليوم .

وخير من تكلم عنها علي بن العباس المجوسي الذي قسمها الى اربعة انواع فقال (٨٩ ج١ص ٣١٤) «واما السعفة فهي قروح تعرض في الرأس لها خشكريشة»

وهي انواع /

فمنها نوع يقال له الشهدي / وعلامتها انها قروح يثقب معها جلد الرأس ثقوباً دقيقة ويكون فيها رطوبة تشبهه بالشهد (وهي التي نسميها السعفة المتقيحة Tenia suppurativu أو Kerion وسماها البلدي بالعسلية) :

ومنها نوع يقال له التيني/ وهي قروح مستديرة صلبة تعلوها حمرة وجوفها فيه شيء شبيه بحب التين (وهي السعفة المتقيحة التي في طور الفجاجة) ؛

ومنها نوع يسمى أجرد / وهي قروح يكون معها في الرأس ثقوب دقيقة الا ان ثقوبها أقل من ثقوب السعفة الشهدية وتخرج منها رطوبة شبيهة بمائية الدم (وهي مانسميها (Tinea Tonsurans)

ومنها نوع يابس/ أبيض اللون شبيه بالشروج ينتشر منها قشوراً بيض» « وهي السعفة القرعية (Tinea Favasa)

ومن جملة العلاجات التي يصفها الرازي لهذا المرض مرهم الرصاص يقول «خذ مرهم، الرصاص الأبيض (أوكسيد الرصاص) من كل واحد ٥ دراهم ، من ماء رماد الكرم ٣ دراهم، دهن الورد فنجان (أونس واحد) ، شمع ١/٢ فنجان : يذاب كالشمع مع دهن الورد ثم يدق ويسحق مع العلاج ويخلط مع بيضتين مطبوختين ويدهن به رأس الطفل» (٤٩).

ومع علمنا بأن مرهم الرصاص قد يؤدي الى التسمم بالرصاص احياناً فأن المؤرخين لتأريخ العلاجات يذكرون بأنه كان أول من استعمل مرهم الرصاص في الأمراض الجلدية ، كالسعفة والبرص والذي استمر حتى اليوم، وكان هذا المرهم يسمى بأسمه في القرون الوسطى (٣١ص١٨٨).

كما وان الرازي هو أول من ادخل الزئبق ايضاً في المراهم (٤٤ص١٩٢). بعد قيامه بتجربة تأثيره على القردة .

الجرب / يقول الرازي في الجرب في الأطفال

«ان الجرب نوع من البثور في هذه الحالة يظهر في الأصابة نوع من القشور ويكون الجلد مخدشا نتيجة للحكمة الشديدة ومن هذه التقرحات ينضح نوع من الأفرازات التي تشبه العسل » (٤٩) ويصف لمعالجة ذلك مرهم الرصاص ايضاً .

وهذه الأقوال صائبة وتنطبق على النمط المتقيح من الجرب .

ووصفه علي بن العباس المجوسي وصفاً سريريا جميلا فقال /

وعلامة الجرب هو بثور يبتديء احمر . ثم ينفتح ، ويكون معها حكة شديدة ، واكثر ماتعرض بين الأصابع وفي المرفقين وفي العصعص ومايليه ، وربما صار في سائر الجسد » . (٨٩ج١ص٣١٢)

ويعزي سببه الى قلة الأستحمام ، وهذه الأقـوال صـائبة وتنطبق عـلى النمط المتقيح من الجرب .

واما بالنسبة لمسألة اكتشاف حشرة الجرب فقد سبق ان تحدثنا عن ذلك في قسم الأمراض المعدية .

التهاب منطقة الورك والشري في الأطفال /

يقول الرازي عن التهاب منطقة الورك .

«تحدث في الأطفال في منطقة الورك من حدادة البول واحيانا تحدث على جسم الطفل نتيجة فساد الحليب نفسه ، قسم من هذه البثور بيضاء ، بعضها احمر ، بعضها اسود بعضها مؤلمة جدا ، بعضها غير مؤلمة اطلاقا . اذا كان النوع الأسود مصحوباً بارتفاع ، الحرارة فان ذلك ينذر بالموت(٤٩) ولمعالجة ذلك يصف استحمامه ببعض المحاليل والأدوية ويؤكد عدم استعمال المراهم .

وعن ذلك يقول احمد الطبري /

«في تعفن اصول افخاذهم حتى ربما يعفن .. واكثر مايحدث ذلك من كثرة ترطيبه بالبول وتغافل المرضعة عنه ، وتقميطه وهو رطب ، معالجته بان .. يمسح كلما يرطب وتذر عليه ورق الآس المسحوق والمنخول مع الورد المسحوق فانه .. بذلك لايحدث فيه التعفن » (٦٤ ص٥٢) .

واما عن الشرى فيقول علي ابن العباس : /

«فاما الشرى فهو بثر بعضه صغار و بعضه كبار مبسوطة عراص الرأس ، تبتديء بحكـة شديدة » ثم يصف نوبة الشرى الحادة فيقول « ويكون لونه احمر ، فيهيج اكثر ذلك في النهار ، ويصيب العليل معه حرارة ووهج ، ويكون نبض صاحبه عظيما ، فيه سرعة » الى أن يقول « ومنه مايكون ابيض واكثر مايهيج بالليل ومنه مايكون ليس بالشديد الحمرة »

(٨٩ج١ ص٣١٢) .

ويقول ابن سينا « الشرى بثور صغار مسطحة كالنفاخات الى الحمرة وفي اكثر الأمر تشتد ليلا ويشتد كربها وغمها » (٧ج٣ص ١٢٠)

ان قوله حول ازدياد الكرب والغم ليلا في الشرى جاء مطابقاً لما نعرفه اليوم .

وللرازي رأي واضح حول كيفية حدوث جميع انواع الطفح في الأطفال وكذلك الحصبة والجدري، الأكزيما ، التهاب الجلد ، حيث يعلل ذلك بحدوث التخمر في الدم والذي ينتج بدوره مواد غريبة تقذف للخارج .

من خلال مسام الجلد في شكل طفح ، انه اشتق نظريته هذه من ملاحظته لكيفية تخمر الخمر ، ان هذه النظرية تطورت فيما بعد واصبحت اساساً للفكرة الحديثة من الخمائر والأنزيمات (٤٩).

البهق والبرص :

وهما يعنيان ابيضاض الجلد في بعض مناطق الجسم. وفرق الأطباء العرب بينهما فقالوا عن البهق يكون في سطح الجلد بينما البرص يكون نافذاً في الجلد واللحم حتى العظم يقول ابن سينا/«ان البهقين في الجلد،وان كان غور فقليل جداً والبرص نافذاً في الجلد واللحم الى العظم» (٧ج٣ص٢٨١).

أن وصف ابن سينا للبرص ينطبق على بعض انواع الجذام الذي يخلف وراءه بعد أحداث التخريبات والتآكلات بقعاً بيضاء وعن البرص ايضاً يقول احمد الطبري /

«في البرص الذي يظهر في وقت الرضاع قد يحدث بالطفل برص في وقت الرضاع ولا يكون مولوداً معه فينظر الى الأبوين والجدين وان لم يكن بهم ذلك ولاشيء منه ، طمع في برئه واصلح لبن المرضعة واحميت المرضعة من الأطعمة الغليظة ....فأنه ربما هلك، واما اذا كبر الطفل فلا طمع في برئه وقد حدث به في حال الطفولة» (٦٤ص٥٣) :

سابعاً : أمراض الفم والأنف والأذن والحنجرة في الأطفال

كتب الأطباء العرب عن الأمراض التي تصيب فم الطفل وأنفه واذنه وحنجرته بشيء من التفصيل، نذكرها بأختصار :

(١) أمراض الفم : وتشتمل على :

١ ــ لذع اللثة.

٢ ــ القروح العارضة في أفواه الصبيان وهي على أنواع :

أ ــ القلاع .

ب ــ السلاق.

ج ــ القروح .

د ــ الحر.

هـ ــ البثر .

٣ ــ اورام تعرض لهم في اللثة عند نبات الأسنان .

٤ ــ جفاف اللسان .

(٢) أمراض الأنف :

١ ــ حكاك المنخرين.

٢ ــ انتفاخ الأنف.

٣ ــ سدة الأنف.

٤ ــ الزوائد اللحمية في الأنف .

(٣) أمراض الأذن :

١ ــ حكاك الأذن.

٢ ــ سيلان الرطوبة من الأذن .

٣ ــ خروج الصديد من الأذن .

٤ ــ وجع الأذن .

(٤) أمراض الحنجرة والبلعوم :

١ ــ ورم الحلق.

٢ ــ الخوانيق.

٣ ــ التهاب اللوزتين .

٤ ــ اورام تعرض لهم عند أوتار في ناحية اللحيين وتشنج فيها.

٥ ــ الضفادع (مانسميه تورم العقد اللمفية)

وبعد تعدادها نذكر فيما يلي اهم وابرز ملاحظاتهم في هذا الباب : —
يقول الرازي عن التقرحات الفم عند الأطفال : —

«تحدث التقرحات في فم الطفل في الجزء الأول من أدوار حياته من رداءة الحليب اوغلظه . ان هذه التقرحات اماتزداد بصورة مادة مطردة اوتبقى كما هي . علامة النوع الحاد هو احمرار مع الم شديد وجريان اللعاب ، وعلامة النوع البسيط هو ان التقرحات تنقلب الى لون ابيض . وقليلة الألم وان السوائل التي تجري داخل الفم تكون كثيرة »(٤٩) :

ويقول ابن الجزار في ذلك : « وقد يعرض للصبيان في الدرجة الأولى ، من اسنانهم قرح في الفم يسمى القلاع ، وانما يعرض لهم لأ ن اللبن يخرج ويلدغ اللسان ، لأ ن فيه رطوبة ذابية حارة ليست باليسيرة واللثات من الطفل لاتحتمل ملاقاة اللبن لها فيحدث فيها قرح لغاية مابينا » (٨٥ ص١٠٨) : ثم يمضي بوصف العلاجات الموضعية لالتهاب الفم بعضها من ابتكاره .

من المعلوم اليوم بان التهابات الأذن الوسطى تقسم الى حادة ومزمنة ولكل من هذين النوعين اشكال مختلفة ، فيقول ابن سينا في ذلك « ومنها قريبة العهد ، ومنها مزمنة» (٥ج ١ص ١٤٨) . الا انه لم يستطع التمييز بينهما بشكل بين عندما حاول وصف المرض .اما البلدي فانه يصف الألتهاب الحاد والمزمن ضمن قولـه « قـد يعرض للاطفال والصبيان كثرة الرطوبة المنحدرة الى آذانهم وانصبابها اليها وبخاصة اذا كانت حادة ان تورم منهـا الأذان ، واستدلالك على ذلك بالانتفاخ والحمرة التي تظهر في آذانهم وماقرب منها وشدة الأضطراب وكثرة البكاء فيما يعرض لهم من ذلك الم وصعوبة وخلط .. » « وان كان كثيراً والقلق والبكاء شديداً فقطر ذلك وهو حار » .. ثم يقول«وليكن ما يقطر فاترا بمقدار مايستلذه العليل ويسكن معه الألم والشيء . البارد خاصية في ضرر الأذن » (١٤) ص٢٦٢ — ٢٦٤) . ان وصفه السابق ينطبق على الألتهاب الحاد المصطحب بارتكاس غشائي . وتأكيده استعمال المقطرات الساخنة قول صحيح .

وعن سيلان الرطوبة من الأذن يقول الرازي —

«تحدث هذه العلة في الأدوار الأولى من الحياة من رطوبات الدماغ ، وعلاج ذلك يكون بوضع فتيلة من السلك القديم في أذن هؤلاء الأطفال وعندما تتشرب ارمها وأبدلها

بأخرى ، لحسن الحظ ربما تشفى نهائيا بذلك ، واذا لم تشف خذ الشب وذوبه في الخمر وشبع به الفتيلة وادخلها في الأذن فإنها تشفى » (٤٩) .

اما عن جريان السم من الأذن فيقول الرازي : —

«يحدث ذلك للأطفال من جراحة اوقرحة في الأذن لذلك يكتفي بتقطير عسل مغلي مع الماء وذلك لأنه ينظف السم» (٤٩)

ولمعالجة امراض الأذن استعملوا ايضاً القطرات الساخنة المستحضرة من النباتات مثل زيوت الأزهار والورد (من البنفسج) ودهن اللوز وزيوت أخرى مثل زيت البط . او محاليل تحتوي على المواد الكيمياثية مثل الخل ، الشب ، الزنجار ، كما استعملوا حليب المرأة والعسل والبول :

لقد اثبت الطب الحديث ان اليوريا من العناصر المهمة في البول مفيدة في قطرات الأذن لالتهابات الأذن المزمنة ، واتفقوا في جميع المراجع الطبية على انيكون كل مايقطر في الأذن حار فاتر وكل ما يغسل به الأذن لابارد ولاحار » (٧٣) .

ويعلل البلدي اسباب الرعاف المتكرر والنزيف في اي مكان في الجسم تعليلا علمياً قريباً لما نذكره اليوم فيقول ، انه أما لكثرة الدم ، اوفساد في كيفيته . كما وان طريقته بوضع الفتائل في انف الطفل ووضع الكمادات الباردة على الجبهة بين العينين لمعالجة الرعاف لاتزال مستعملة حتى اليوم .

اما عن التهاب اللوزتين فيقول عريب : —

«لأن الصبيان اذا نطقوا وقوي كلامهم وكثرت حركة السنتهم بالنطق سخنت اللوزتان في أصل اللسان ويصفيان الرطوبة من فضل الدم .. (٨٢ ص٧٥) . وفي الجملة الأخيرة لا شك نجد اشارة من عريب الى وظيفة اللوزتين . وهي ملاحظة مهمة يقرها العلم الحديث .

ثامناً : أمراض العين :

ان امراض العين التي ذكرها الأطباء العرب بالنسبة للأطفال كانت : —

١ — سلاق في الجفن .

٢ — الحول .

٣ — الرمد .

٤ — انتفاخ العين .

٥ — بياض في الحدقية .

٦ — الرماد في العين .

٧ — تناثر الأشفار .

٨ — الغموض .

٩ — في انطباق الأجفان .

١٠ — في الدمعة وعلاجها .

١١ — الجرب .

١٢ — السبل .

١٣ — البثور .

قبل الخوض في تفصيل النقاط البارزة هنا لابد من ذكر تقسيم عبدالله بن القاسم الأشبيلي لأمراض العين لأهميته العلمية حيث يقول : —

«ومن امراض العين .

١ — مايعدي ويتوارث .

٢ — ومنها مايعدي ولايتوارث

٣ — ومنها مايتوارث ولايعدي

٤ — ومن امراض العين مالايعدي ولايتوارث

الأول كالسبل. والثاني كالرمد ولاسيما الى عين من ينظر اليه والثالث كالشعر الزائد والرابع اكثر الأمراض كالبياض والبثور وغير ذلك» (٢٣ ص٩٥ ج١) .

يقول محققا كتاب الأشبيلي « السبل : هو انحدار اوعية دقيقة من الملتحمة الكروية فوق القرنية وهو اختلاط من اختلاطات الرمد الحبيبي كما هو معروف الأن. وقد عدوه مرضاً مستقلا . اما عدواه فهي حقيقة . اذ ان الجرب اي الرمد الحبيبي يعدي ويؤدي الى احداث السبل ولذلك اعتبروا السبل مرضاً معدياً .

اما الثاني فهو الرمد وهو التهاب الملتحمة الحاد فانه حقاً يعدي ولايتوارث كما ذكروه

اما النوع الثالث من امراض العين فهو الشعر الزائد لايتوارث كما ذكروا وانما هـو اختلاط من اختلاطات الرمد الحبيبي في دوره المتأخر .

واما مايتعلق بالنوع الرابع فقد جاء صحيحا فأمراضه لاتعدي ولاتورث كالبياض والبثور (٢٣ ص ٩٦ ج١) .

في التهاب وتورم الأجفان يقول الرازي : —

«تحدث امراض مختلفة في اعين الأطفال من بينها انسداد الأجفان الورمي ، يحدث ذلك بالصدفة من تأثير المواد التي تضعها الأم على رأس الطفل مثل الحناء وماشابه ذلك لأن قسماً من الفضلة تسيل الى الأسفل من الرأس الى العين . اوبالصدفة ايضاً نتيجة جريان القيح الساخن اوالبارد الى العين (٤٩) .

اقتطف مايلي من كتاب الأستبصار لأ بن سينا (لقد اكتشف العرب في عصر ابن سينا اوبعة اشكال من الحول) .

١ — الحول الناجم عن شلل احدى العضلات كأن يقع مرض في الدماغ اوسقطـة على الرأس اوضربة اونزف ينتج عنها حول في العين

٢ — حينما تصاب العين بالحول اصابة ثانوية نتيجة لتلف البصر حينما تضطرب طبقات العين. فالعين مصابة اصابة عضوية بالغة (Organic) والبصر تالف ولذلك فالعين ، حولاء حولا ثانوياً (. Secandary Strab) .

٣ — الحول المتوافق (Concamitant Strab) هنا العين سليمة حيناً وحولاء حينا آخر وهو اصعب حينا اخر وهو اصعب اشكال الحول تفسيراً والعرب ظنوا ان هذا الحول ناتج من تشنج بعضلات العين او اصابة باقمصة الدماغ .

٤ — وصفوا الحول المترافق برأرأة (Nystagmmus) الحول الذي تهتز بـه العينان (٣٩) اما عبدالله بن القاسم الحريري فيعلل اسباب الحول تعليلا جميلا « وقــد يكون الحول — عن يبوسة كما يعرض في الأمراض الحادة وقد يكون من تشنج بعض العضل فتميل الى المقلة ... وكثيراً مايحدث الحول بعد عطل دماغية مثل الصرع والسدر ، وقرانيطس ونحو ذلك » (٢٣ق٢ص١٠١) .

«اما ما كان منه في الأطفال فكما قلنا للين اعصابهم ولكثرة رطوباتهم الغريزية . فيتواتر النظر الى خلاف الجهة وحصره وتسوية المهد ووضع السراج لينظر اليها . وكذلك قد يربط خيط ابريسم احمر لشيء يقابل ناحية الحول ، او يلصق بشيء احمر عند الصدغ المقابل للحول اوالأذن » (٢٣ ص١٠١ ج٢) . ثم يمضي بوصف العلاجات للأنواع الأخرى الى ان يقول «والحول قد ينجع فيه العلاج نادرا وقد لاينجع »(٢٣ ص١٠٢ ج٢) .

ان الطب الحديث يؤكد بأن المداخلة الجراحية هي العلاج الوحيد للحول الا أنه في معالجة حول الأطفال يمكن الأستفادة من النظارات اوغلق العين السليمة واستعمال العين الحولاء وما الى ذلك .

يقول الحريري ايضاً في الدمعة وعلاجها : ـ

«الدمعة رطوبة مائية ترطب العين وربما سالت . ومنها مايكون مع الولادة ومنها مايكون بالعرض وقد تكون لازمة في حال الصحة وقد تكون تابعة لمرض » (٢٣ ص٥ج٢) . وقوله صحيح في اغلبه حيث ان الدمعة عرض من اعراض كثير من الأمراض التي تصيب العين ولكن قد يكون المرض في الغدة الدمعية اوالغدد الأخرى المنبثة في حافة الجفن او ان يكون هناك ضيق القناة الدمعية يحول دون نزول الدمع الى الأنف كالعادة ويكون هذا الضيق اما ولاديا او مكتسباً .

تاسعاً : الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية

اولاً / ماجاء ذكره من التشوهات في كتبهم /

لقد وضع ابن سينا في فصل (في امراض التركيب) الخطوط العريضة لأ مراض الخلقة بشكل موجز وشامل ، يقول « وامراض الخلقة تنحصر في اجناس اربعة .

امراض الشكل : / وهو ان يتغير الشكل عن مجراه الطبيعي فيحدث تغيره افة في الفعل كأعوجاج المستقيم واستقامة المعوج وتربع المستدير واستدارة المربع ، ومن هذا الباب مسقط الراس اذا عرض منه ضرر وشدة استدارة المعدة :

والثاني امراض المجاري : / وهي ثلاث اصناف لأ نها ، اما ان تتسع : / كأنتشار

العين وكالسبل وكالدوالي . اوتضيق كضيق نقب العين ومنافذ التنفس والمري . اوتنسد / كأنسداد الثقبة العنبية وعروق الكبد .

والثالث : – امراض الأوعية والتجاويف : – وهي على اربعة اصناف ١ – اما ان تكبر وتتسع كأتساع كيس الأنثيين ٢ – او تصغر وتضيق كضيق المعدة وضيق بطون الدماغ ٣ – اوتنسد وتمتليء كأنسداد بطون الدماغ . ٤ – اوتتسع وتخلو .

ورابع – امراض صفائح الأعضاء ، اما بأن يتلمس مايجب ان يخشن كالمعدة والمري اذا تلمست اويخشن مايجب ان يتلمس كقصبة الرئة اذ خشنت » (٧ج ١ص ٧٤ – ٧٥) ثم يتكلم عن امراض العدد فيقول « واما ان يكون من جنس الزيادة وتلك اما طبيعيـــة كألسن الشاغبة والأصبع الزائد ..» (٧ج ١ ص٧٥) .

وجاء ذكر بعض انواع التشوهات الخلقية البسيطة والكثيرة الحدوث لدى اغلب الأطباء العرب من ذلك / ١ – شقاق الشفة . ٢ – الرباط تحت اللسان . ٣ – سدة الأذن ٤ – تشوهات الأصابع : ٥ – المقعدة غير المثقوبة ٦ – انسداد مجرى البول الولادي . ٧ – الخنثى . ٨ – تجمع الماء في رؤوس الصبيان . ٩ – امراض العين الحول ، انسداد مجرى الدمع ، الشترة . ١٠ – صغر الرأس الولادي .

وقد خصص الجاحظ كتابا كبيراً لذكر ذوي العاهات والعيوب سماه « كتـــاب البرصان ، والعرجان والعميان والحولان » جاء فيه ذكر لعدد هائل من ذوي العاهات ومن بينهم عدد ولدوا بها وقصد في تأليفه الكتاب « ان يجلو صورة ناصعة مشرقة لذوي العاهات الذين لم تكن عاهاتهم لتحول بينهم وبين تسنم الذرى» (٢٦ مقدمة المحقق) .

ومن الحالات النادرة لتشوهات الولادة التي جاء ذكرها في كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود : لعريب بن سعد القرطبي قوله « فمن ذلك تؤمان ولدا ملتصقين بطونهما ووجوههما بعضهما الى بعض وصبي ولد برأسين» (٨ ص ٣٤) .

ويروي ابن ابي اصيبعة عن الرازي انه اول عهده دخل البيمارستان ورأى صبيا مولود بوجهين ورأس واحد ، فسأل الأطباء عن سبب ذلك فأخبره به فاعجبه ماسمع » (٥ج٢ص ٣٤٣) .

ويروي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ) في نشوارا المحاضرة حالة اخرى نذكرهـا باختصار وتصرف يقول — « حدثنا جماعة من اهل الموصل انه سنة نيف واربعين وثلاثمائة ارسل صاحب ارمينية الى ناصر الدولة في الموصل رجلين للأعجوبة فيهما .

وكان لهما نحو ثلاثين سنة ، وهما ملتزقان من جانب واحد ومن ناحية الخصر الى تحت. وان اباهما حدثهم انه لما ولدا ، اراد ان يفرق بينهما ، قيل له انهما يهلكان لأ ن التزاقهما من جانب الخاصرة .

وجمع ناصر الدولة الأطباء وطلب منهم الفصل بينهم . وبعد توجيه اسئلة لهما استنتجوا ان لهما جوف واحد ، وسرة واحدة ، ومعدة واحدة ، وكبد واحد ، وطحال واحد ، وليس في موضع الألتصاق اضلاع فعلموا انهما ان فصلا هلكا ووجدوا لهما ذكرين واربع بيضات .

وبعد مدة خرجا الى بلادهما فاعتل احدهما ومات وبقي اياما حتى انتن . واخوه حي لايمكنه التصرف الى ان لحق الحي علة فمات ايضاً فدفنا جميعاً » (٢٤ج ٤ ص٢٤٠) .

يمكن اعتبار هذان التؤمان من اقدم الحالات في التاريخ حيث ان الحالات الشبيهة سميت فيما بعد (التؤامين السيامين) نسبة الى تؤأمين ولدا بسيام في جنوب شرق اسيا سنة ١٨١١م لأبوين صينيين .

وجاء ذكر حالتين غريبتين جداً في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني (توفي في ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) في (ج٢ص ٣٨٩ — ٣٩٣) يقول عن الأولى « حدثني بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد ، وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل في زماننا انسانا طوله تسعة اذرع وهو بعد صبي مابلغ الحلم وكان يأخذ بيد الرجل القوي فيرميه خلفه ، واراد صاحب الموصل ان يستخدمه فذكروا له انه في عقله خبلا لايصلح لذلك »

اما الحالة الأخرى التي ذكرها القزويني فهي « ومنها ماروى عن الشافعي رضي الله عنه قال ، دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها انسانا من وسطه الى اسفله بدن امرأة ومن وسطه الى فوقه بدنان مفترقان باربع ايد وراسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان ، ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل لي احسن الله عزائك في اجد

الجسدين توفي وربط من اسفله بحبل وترك حتى ذبل ثم قطـع ، فمهدي بالجسد الأخر في السوق ذاهباً وجائيا ».

ثانيا اسباب التشوهات الخلقية وتغيرات الشكل والهيئة /

علل الأطباء العرب والمسلمون حدوث التغيرات في شكل وهيئة الفرد وكذلك حدوث التشوهات الخلقية تعليلا فيه القليل مما لانقبله اليوم على سبيل المثال /

١ – تأثير النجوم على الجنين داخل الرحم / حيث اعتقدوا بان الجنين في كل شهر يقع تحت تأثير نجم معين مثل القمر والمريخ والزهرة ..

٢ – الأختلال الحاصل بين مكونات عناصر الجسم حسب نظرية الأخلاط الأربعة (الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء) .

اما تعليلاتهم المقبولة علميا اليوم فهي /

١ – الأسباب الوراثية : –

من الثابت اليوم ان في كل خلية في جسم الأنسان (وعددها ملايين الملايين)نواة وفي هذه النواة تتركز عناصر مهمة جداً تسمى الجسيمات الملونة اوالصبغيات (الكروموسومات (CHROMOSOMES) (وعددها في كل خلية ٤٦ صبغياً ، اثنان وعشرون زوجاً من هذه الصبغيات مسؤولة عن بنيان الجسم وصفاته واحد منها فقط مسؤول عن تعيين الجنس ، ذكر ام انثى وهي في مجموعها تحمل اسرار الأنسان مختزلة ومختصرة . وكل واحد من هذه الصبغيات مكونة من احماض امينية ترتبط ببعضها على هيئة سلالم حلزونية ملتقية حول محورها ، وتشكل كل ثلاثة احماض اواربعة جسيما يسمى الناسلة (الجين) وكـل ناسلة تحمل صفة من صفات الوراثة كالطول اوالقصر ، لون العينين كما تحمل الأسرار التي تجعل هذه الخلية تفرز الهرمون اوتلك المادة الهاضمة او تجعلها تفرز المادة الصلبـة التي تكون العظام .. الخ . كما انها تنقل الصفات والملامح والطبائع الحسنـة والسيئة والأمراض الوراثية ومنها التشوهات الخلقية من الأباء الى الأبناء جيلا بعد جيـل وامة بعد امة .

ان هذه الحقيقة العلمية اكدها الرسول (ص) قبل اربعة عشر قرنا كما ذكرنا سابقـا في فصل الأسلام والطفل .

وهناك تأكيد من الرسول (ص) على ان المسخ لايتناسل حتى لو عاش فقد ورد ان عائشة (رض) سألت رسول الله (ص) هل القردة الموجودة من نسل بني اسرائيل مسخهم الله قردة فكان جوابه (ص) «ماجعل الله لمسخ من نسل»

ونحن نعلم ان الأجنة التي تولد ممسوخة اما ان تولد ميتة او تعيش لبضعة ايام ثم تموت واذا كانت الأصابة اخف فانها تعيش ولكنها لاتتناسل مثل حالة ترنز Tuner او كلاينفلتر اوحالة Kleinfelter Syndrome

ويعزى ابن سينا اسباب التغيرات والتشوهات في اعضاء الأنسان الى التغيرات الحاصلة في مني الرجل وذلك حسب رايه بأن مني الذكر يفعل بقوته كالخمائر (الأنفحة) الفاعلة باللبن، وان فيه قوة مصورة تنزع الى شبه ما انفصلت عنه وهي التي يصدر عنها تخطيط الأعضاء وتشكيلها .

فيقول «فأما القوة المصورة في مني الذكر فتنزع في التصوير الى شبه ماانفصلت عنه الا إن كان عائق ومنازع ، والقوة المتصورة في مني الأنثى تنزع في قبول الصورة الى ان تقبلها على شبه ما انفصلت عنه» (٧ج٢ص ٥٣٣)

وينفي أبن سينا رأي ابقراط في مصدر المني حيث يقول «وانا ارى ان المني ليس يجب ان يكون الدماغ وحده...بل يجب ان يكون له من كل عضو رئيس عين وان تكون الأعضاء الأخرى ترشح ايضاً الى هذه الأصول وبذلك يكون الشبه ولذلك يتولد من العضو الناقص عضو ناقص ...».

وفي موضع آخر يذكر بان مني الرجل المصاب بامراض في اعضائه لايكون منيا سليما يقول «ومني موؤف الأعضاء قلما يولد سليما» (٧ ج ص٢ ٥٣٤ — ٥٣٦) .

ان ذكر المشاركة بين كل جزء من اجزاء الجسم وبين المني قول صحيح ودقيق يدعو للاعجاب ، حيث استطاع ادراك ذلك على الرغم من عدم معرفته لتركيب الحيامن المنوية وجهله بعلم الكروموسومات والجينات . وقد دلل الجاحظ في كتابه «البرصان والعرجان والعميان والحولان» على مسألة الوراثة بالنسبة لبعض الأمراض والتشوهات الخلقية بأفراده فصلا «في ذكر العرج أذا عمّ اهل البيت وجرى بالقوم منه على عرق اوغير ذلك من العلل والآفات) .

ومن الأمثلة التي ذكرها « كان بنو الحدّاء عرجا وكانت ارجلهم معوجة شديدة الأعوجاج » .

«وبنو بن حرقوص صلعائهم كثير » (٢٦ ص٣٦٧ – ٣٧٢) :

٢ – عمر الوالدين : –

تؤكد الأبحاث الطبية بان نسبة الأطفال المشوهين والمعوقين تزداد تبعا لأ زدياد عمر الأم وخاصة بعد سن (٤٥) :

وقد تنبه العلماء العرب والمسلمون لذلك فحسب رأي ابي الحسن البصري الماوردي «ان انجب الأطفال خلقاً وخلقاً من كان سن امه بين العشرين والثلاثين ، وسن ابيه بين الثلاثين والخمسين » .

واماالشيخ ابو الفرج بن الجوزي فيتول في صيد الخاطر « ويؤثر هكذا في الولد ، فانه اذا كانا شابين .. كان الولد اقوى من غيرهما » .

وكما مرسابقاً في شروط المرأة المهيأة للحمل نجد البلدي يقول .

«وتكون من ابناء خمسة عشر سنة والى تمام الأربعين » (٢٠ص١٠) .

٣ – مسألة الهورمونات :

نجد في اقوال عبداللطيف البغدادي في مقالته عن الحواس ، اشارات لعمل بعض الهورمونات وعلاقتها بتغيرات الشكل والتشوهات الخلقية من ذلك (القوة النامية) التي تشبه عمل هورمون النمو (والقوة الغاذية) التي تقابل عمل الهورمونات الأبتنائية (والألتحاء) الذي يوازي عمل هرمـون الجنس يقول /

«ان القبح انما هو عدم تناسب الأعضاء ورداءة السحنة وقلة النضارة . واما القماءة فهي محق الخلق ونقصان النمو والحسن، واما الجمال فهو عظم الصورة لتناسب الأعضاء وتمام حسنها وقد يعرض لبعض الصبيان القبح لعدم التناسب ورداءة للسحنة وقلة النضارة ،وتعرض له القماءة لضعف النمو ، فاذا راهق والتحى حصل له باللحية اعتدال تناسبت وسترت من الأعضاء ما كان سيئاً وسبب القبح ثم حصلت له النضاره بحسب سن الشباب . فانها سن من

شأنهـا ان تولد الدم وتغلب فيها الحرارة وتقل الرطوبة ويحدث الجمال بالنمو الكائن عنـد الأنبات ، مضافا الى التناسب الحاصل باللحية مع النضارة .

وبعض الصبيان يكون معتدل الشكل حسن الصورة ، فاذا التحى اختل التناسب ، ونقص الأعتدال ، وتعرض له القمأة لفتور من القوة النامية ، ونفاذ من المادة القابلة » .

ويضيف البغدادي « واعلم ان كثيراً ماتجدد الحسن والجمال عند الأنبات وبعده لسببين سوى ماتقدم ، احدهما ان تكون امراض ممكنة في بعض الأعضاء اوفي المزاج نفسه ، فاذا نهضت عند البلوغ وتنبهت قويت على شفاء تلك الأسقام وتصحيح تلك الأعضاء فعاد البدن حينئذ الى اعتداله ، فحسنت لذلك حاله » (٢٢ص ١١٩ – ١٢١) .

والأختلاف بين القوة الغاذية والقوة النامية واضح في ظواهر يذكرها عبداللطيف البغدادي فيقول (٢٢ص ٩٦) « انك ترى هذه الأختلافات في الذين وقف بهم النشيء واستمر فيهم فعل الغاذية وفي الذين خارت فيهم القوة الغاذية واستمر فيهم النمو ، بحيث ترى الواحدة منها قوية والثانية ضعيفة او بالعكس . نرى مثلا الصبيان المعلولين اوالمبطونين يطولون والشيوخ يخصبون ، ونرى القروح تندمل و الجراح تلتئم ، والعظام تتجبر في ابدان المسلولين) .

«ونحن نطلع على هذه الاراء ، لابد ان نعترف بأنها تنم عن تحليل دقيق لعمليات . النشيء. والنمو والتطور وكأننا نطلع الى آخر ماعرف من اشتراك الجينات الممثلة لكـل جزء من الجسم في تركيب كروموسومات المني ، وعلى آخر ماعرف عن هـورمـون النمو وعن تباين افعاله عن الأفعال التي لاترمي الا الى مجرد زيادة الحجم أو الوزن واستقلالها الى حد بعيد عن الحالة الغذائية ، بل عن اتجاه هذا الهورمون احياناً اتجاهـاً عكسياً . مثلا في الأقزام البدان المصابين يتوقف وظيفة الفص الأمامي من الغدة النخامية أو بخلل في المراكز العصبيه السيطرة على هذه الغدة او بقلة افراز الغدة الدرقية.

وبأختصار فأننا نرى الغذاء يتحول الى مني في الأنثيين اي الغدد الجنسية بفعل القـوى العاملة على بقاء النوع ، وبالتحديد بفعل القوة المولدة ، ثم تفصل القوة المولدة أجـزاء

المني التي استمدتها من جميع اعضاء الجسم الى امزجة تلائم امزجة الأعضاء عضواً عضواً ثم تسلط عليها القوي النفسانية والطبيعية والحيوانية لتحويلها الى معدتها ،ومن ثم تقع هذه الأمزجة تحت تأثير القوة المصورة الطابعة المخدومة من القوتين الغاذية والنامية والتي تخطط الأعضاء وتشكل الأشكال والتجاويف والأوضاع والمشاركة والملامسة والخشونة» (٧٧) .

٤ ـ الأسباب الأخرى /

جمع ابن سينا الأسباب المرضية التي تؤدي الى فساد الشكل وسوء الخلقة في الأطفال في ارجوزته (الأبيات ٢٦٩–٢٧٦) بشكل موجز ودقيق وشامل وكانه يتكلم بلسان اطباء اليوم فمن بين ذلك ذكر الأسباب التي تؤدي الى التشوهات الولادية هي .

أ ـ التغيرات في غذاء الحامل.

ب ـ التغيرات المرضية في تركيب الرحم.

جـ ـ اصابات الولادة :

يقول «والسبب المفسد للأشكال ..... يكون في اعداد ذي الأمثال
بسبب في رحم ردي ..... أوقـــل الأنقياد مـــن مني
أومن ولاد ساء في الخروج ..... يحدث سوء الشكل بالتعويج
والظئر اذتسيء في القماط ..... او رضاع منه او انحطـــاط
أوربما كثرت الطعامـــاً ..... أو ربما أساءت الفطـــامـــا»

وقبل ان نختتم هذا القسم لابد من ذكر تفسير أخر طريف لسوء الخلقة ذكره ابن سينا في القانون معتمداً على علم الجمال اذ عرفه بأنه انعدام التعادل بين الأعضاء، يقول فـــي فصل «علامات من ليس بجيد الحال في خلقته».

«هذا هو الذي لايتشابه مزاج اعضائه بل ربما تعاندت اعضائه في الخروج من الأعتدال فخرج عضو منها الى مزاج والأخر الى ضده فإذا كانت بنيته غير متناسبة كان رديئاً حتى

في فهمه وعقله مثل الرجل العظيم البطن القصير الأصابع المستدير الوجه العظيم الهامة أو الصغير الهامة، لحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين وكأنما وجهه نصف دائرة فأن كان فكاه كبيرين فهو مختلف جداً وكذلك ان كان مستدير الرأس والجبهة لكن وجهه شديد الطول ورقبته شديدة الغلظ في عينيه بلادة حركة فهو ايضاً من ابعد الناس عن الخير» (٧ج١ص١٢٠) .

عاشراً : جراحة الأطفال

جراحة الأطفال عند العرب والمسلمين احد المواضيع التراثية المتعلقة بالطفولة، والتي على ما أعتقد لم تبحث بشكل مستقل واف حتى الان. نحن حاولنا هنا جمع شتات ما جاء بالكتب الطبية العربية في هذا الباب بغية سد هذا النقص قدر المستطاع، ولاندعي اننا أحطنا بالموضوع من كل جوانبه لقلة مصادر البحث أولا ولأن الكمال في مثل هذه المواضيع صعب المنال .

مما لاشك فيه أن هناك امراضاً وعمليات جراحية يشترك فيها الكبار والصغار على حد سواء، ذكرها الأطباء العرب بصورة عامة دون تخصيص تماماً كما يفعل أطباء اليوم ومن بين ذلك «الخراجات ،والجراحات .واخراج الأجسام الغريبة من الأنف والأذن ، إخراج العقد التي تعرض في الشفتين، وورم اللهاة، اللحم النابت في الأنف ،الثآليل النابتة في طرف الأنف. خياطة الأنف والشفة والأذن، شق الحنجرة ،قلع الأسنان، علاج أغلب انواع الكسور والخلوع، بعض أمراض العين، كالثآليل ،انقلاب الجفن،سيلان الدمع، الشعر الناخس في العين، الظفرة ..... » .

الا انه لم تقف عنايتهم عند هذه المواضيع الجراحية العامة بل نجد بين ثنايا كتبهم ذكراً لبعض الأمور التي اختصت بجراحة الأطفال بشكل متميز، ولكي تبرز مساهمات الأطباء العرب والمسلمين في حقل جراحة الأطفال فإن هذا يقتضينا ان نقسم الموضوع الى ثلاثة أقسام تشكل في مجموعها الصورة النهائية للبحث :

اولاً : جراحة التشوهات الخلقية

نستنتج من قصص التوائم التي ذكرناها فيما سبق والتي جاء ذكرها عند التنوخي والقزويني بأن الأطباء العرب والمسلمون كانوا يقومون في بعض الحالات بأجراء عملية فصل التوائم الملتصقة التصاقاً بسيطاً كما وانهم كانوا على دراية تامة في اية حالة يمكن أجراء عملية الفصل وفي ايها يستحيل ذلك. الا اننا لم نعثر لديهم على ذكر اية حالة فصل فيها تؤمان وعلى الأثنان سالمين بعد ذلك.

وبجانب ذلك نجد لدى الكثيرين منهم محاولات جراحية لمعالجة بعض التشوهات الخلقية البسيطة واهم هذه التشوهات كانت /

١ ـ **شقاق الشفة:** يعد الرازي من أوائل الذين أشاروا الى الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة فقد تكلم عن كيفية تعديل التشوه في الشفة في الجزء السادس من الحاوي حيث يقول: «قشر الوسط وأكشر الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي عنه كشطنا ماقد صلب منه وارم به ثم خط الجلد من غير أن يكون يتخلص منه شيء ويلحمه فيكون العضو يرجع الى طوله لذهاب ذلك المقلص من وسط الجلد» .

ويقول الزهراوي عنه: « كثيراً مايحدث شقاق في الشفة يسمى شعرة ولاسيما في شفاه الصبيان فإن كثيراً مايحدث (٥٢ص٦١) ويذكر أن علاج ذلك هو الكي .

٢ ـ **قطع الرباط** الذي تحت اللسان ويمنع الكلام Tonguetie يقول الزهراوي في كتابه «التصريف» حول هذا الموضوع : «قد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان ، اما طبيعياً يولد به الإنسان . واما ان يكون من جرح قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل ورأسه في حجرك وترفع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط بالعرض حتى ينطلق اللسان من أمساكه ...واحذر ان يكون الشق في عمق اللحم فيقطع شرياناً هناك فيعرض النزف ، ثم ضع تحت اللسان فتيلة من كتان يمسكها العليل كل ليلة، لئلا تلتحم ثانية فإن حدث نزف فضع على المكان زاجاً مسحوقاً فإن غلبك الدم فأكو الموضع .....» (٥٢ص٢٩٧).

٣ ــ **سدة الأذن**: نورد بعضاً من أقوال الزهراوي في ذلك حيث يقول: «قد يخرج الأطفال من بطون أمهاتهم ومسمع آذانهم غير مثقوب .... وقد يعرض أيضاً لبعض الناس سد في مجرى الأذن... وعن جرح أو لحم نابت فيها وهذا السد يكون في عمق الأذن لايدركه البصر وقد يعرض الى خارج الثقب قليلا ويدركه البصر... فإن رأيت السد ظاهراً فأفتحه بمبضع لطيف» (٥٢ص٢٠١).

٤ ــ **تشوهات الاصابع**: عن الأصبع الزائد يقول الزهراوي: «واما الأصبع الزائد التي تتولد في بعض أيدي الناس فربما كانت لحمية كلها وربما كانت في بعضها عظام» ...« فما كان منها لحمياً فقطعه يسهل وذلك ان تقطعه عند أصله ....واما التي نباتها في أصل المفصل فعلاجها عسر، واما التي تنبت في الأصبع عند أحد السلاميات فينبغي أن تقطع أولا لحمها مستديراً ثم تنشر العظم» أما عن التحام الأصابع فيقول: «واما الألتحام الذي يعرض للأصابع بعضها ببعض فكثيراً مايعرض ذلك مما يولد به الأنسان ويكون عند اندمال جرح أو حرق نار ونحو ذلك. فينبغي ان تشق ذلك الألتحام حتى ترجع الأصابع على هيئتها الطبيعية ثم تضع بينها فتلا أو خرقاً مشربة في دهن الورد لئلا يلتحم سريعاً .....» (٥٢ص٥٩٣).

٥ ــ **المقعدة غير المثقوبة Imporforate Anus** في الفصل التاسع والسبعين من كتاب التصريف للزهراوي نجد هذا الكلام العلمي الصحيح حيث يقول: «في علاج المقعدة غير المثقوبة ؛ قد يولد كثير من الصبيان ومقاعدهم غير مثقوبة ، قد سدها صفاق رقيق ، ينبغي للقابلة أن تثقب ذلك الصفاق باصبعها ، وإلاّ فتبطه بمبضع حاد وتحذر العضلة لاتمسها ثم يوضع عليها صوفة مغموسة في الشراب والزيت وإن خشيت أن ينسد فاجعل في الثقب أنبوبة رصاص أياماً كثيرة وتنزع متى أراد الطفل البراز وقد يعرض سدة المقعدة أيضاً من اندمال جرح أو ورم فينبغي أن يشق ذلك الاندمال ثم يعالج بما ذكرنا من العلاج والرصاص» (٥٢ ص٥٠١) .

٦ ــ **انسداد مجرى البول الولادي**: عن علاج الأطفال الذين يولدون ومواضع البول منهم غير مثقوبة أو يكون الثقب ضيقاً أو في غير موضعه يقول الزهراوي: «قد يخرج

بعض الصبيان من بطن أمه وكمرته غير مثقوبة فينبغي ان يبادر بثقبه من ساعة يولد بمبضع رقيق جداً....ثم تضع في الثقب مسماراً رقيقاً من الرصاص وتربطه وتمسكه ثلاثة أيام أو أربعة فمتى اراد البول نحي عنه وبال ثم رده ...والذي يكون ثقبه ضيقاً فيعالج بالرصاص كما قلنا ... والذين يكون منهم الثقب في غير موضعه وذلك ان منهم من يولد والثقب عند نهاية الكمرة فلا يقدر ان يبول الى قدام حتى يرفع الأحليل بيده الى فوق ولايولد له من قبل أن المني لايقدر على الوصول الى الرحم على استقامة وهي علة قبيحة جداً» (٥٢ص ٣٨٩)ان ملاحظاته هنا جاءت وكأنها من نتاج عالم معاصر في الطب حيث أنها صحيحة في جملتها. ففي حالة الثقب في العجان لا يمكن ان يصل المني ونتيجة لذلك لايحدث الإنجاب

٧ ــ **الخنثى** . يقول ابن سينا : «ممن هو خنثى من لاعضو من الرجال له، ولاعضو النساء ومنهم من له كلاهما لكن أحدهما خفي واضعف والأخر بالخلاف، ويبول من أحدهما دون الأخر ومنهم ،من كلاهما فيه سواء ....وكثيراً مايعالجون بقطع العضو الأخفى وتدبير جراحته» (٧ج٢ص٥٤٩) .

٨ ــ **تجمع الماء في رؤوس الصبيان** / يفرق الزهراوي بين حالتين من ذلك فيقول «وهذه الرطوبة اما ان تجتمع بين الجلد والعظم (Meningocele) واما ان تجتمع تحت العظم على الصفاق ». « وان كانت تحت العظم علامته ان ترى خياطات الرأس مفتوحة من جهة (Hydrocephalus) ثم يقول « ولم ارى هذه العلة في غير الصبيان وجميع من رأيت منهم اسرع اليه الموت فلذلك رايت ترك الطفل به» (٥٢ص١٧١ــ ١٧٣). الا انه على الرغم من ذلك فأنه يشرح كيفية التخلص من هذا الماء جراحياً .

واما ابن سينا فأنه يقول عن ذلك «اذا كان في رؤوسهم ماء وأكثر مايكون هذا في الصبيان فيجب ان يتعرف هل هو كثير وهل هو مندفع من خارج الى داخل اذا قهر فأن كان كذلك فلا يعالجوان كان قليلا ومستمسكاً بين الجلد والقحف فأستعمل اما شقاً واحداً في العرض واما ان كان كثيراً شقين متقاطعين او ثلاثة شقوق متقاطعة او كان أكثر وتفرغ مافيه ثم تشد وتربط» (٧ج٢ ص٥٢) .

ويقول الرازي في ذلك«يولد الصبيان برأس كبير وبعد الولادة يزداد في الكبر أكثر ممايجب،وقد شاهدت طفلا كبير الرأس طولا وسعة لدرجة ان كان من الصعوبة حمل

الرأس على الجسم ولم يتوقف تضخم الرأس حتى توفي الطفل.ان مثل هذا الكبر يعرض في الرأس اما من ريح في عظم الرأس أو من تجمع ماء محصور داخل الراس لايجد له منفذ للخروج » (٤٩) وجاءت كتابات ابن القف عن ذلك أكثر تفصيلا وكانت تعليلاته لاسباب حدوثه وكيفية التفريق بين انواعه المختلفة وعلاج كل نوع ، قريبة مما يؤكده العلم الحديث ،يقول ((هذه المرض ينقسم الى ثلاثة انواع/

أولهما – ان يكون الماء المتجمع بين الجلد والسمحاق ؛

ثانيهما – ان يكون اجتماعه بين السمحاق والعظم :

وثالهما– ان يكون اجتماعه بين العظم والأم الجافية.

وسبب اجتماع هذا، اما شدة ضغط القابلة للرأس عندما تروم تسويته وتعديله، واما انه عند خروجه يسقط على الأرض على راسه فمالت اليه رطوبات بدن الطفل لضعفه وقبوله. واما لضربة تقع فيه من عروقه ويجتمع مافيه في المواضع المذكورة ويستحيل الدم هناك الى مادة فجة.

واعلم ان الذي يرجى برؤه بعمل الحديد النوع الأول والثاني واما النوع الثالث فلا للجرائحي ان يقدم على معالجته» (١٠ج٢ص ١٨٨–١٨٩) .

٩ – الشتره قصر الجفن Ectropion) ليس من المبالغة ان نقرر ان الزهراوي كان رائداً من الرواد الأوائل في جراحة التجميل فالالات الجراحية العديدة التي اخترعها مازلنا نستخدم معضمها حتى اليوم، وان كان يطلق على الكثير منها اسماء جراحين أتو من بعده بقرون عديدة .

والتعليم بالمداد قبل اجراء العملية الجراحية شرط جوهري لتحقيق الدقة التي تميز هذا التخصص المدقيق وتشكل هذه الخطوة جزءاً روتينياً في العديد من جراحاته .

وفضلا عن هذا وذاك فهناك وصف دقيق لكثير من العمليات الجراحية التي اصبحت. مع شيء من التطوير والأضافة–جزأ من الممارسة اليومية لهذا التخصص على سبيل المثال/ يتناول الزهراوي في الفصل الرابع عشر من التصريف العلاج الجراحي للشترة أو قصر

الجفن فيقول / «وهذه الشترة التي تكون من أسفل ، هي التي تسمى بـالحقيقـة شترا وتكون طبيعية وتكون عرضية. فالعرضية تكون من جرح اوشق أو كي ونحو ذلك .

وطريقة العمل فيها / ان تأخذ ابرة فيها خيط مثنى وتغرزها في اللحم وتنفذها من المآق الأيمن حتى تصير الخيط في طرفي اللحم ثم تمد اللحم الى فوق بالأبرة وتقطعه بمبضع عريض، فأن رجع شكل الجفن على ماينبغي، والأفتأخذ مروداً وتضعه على موضع الشق وتقلب به الجفن وتشق شقين في الجانب الداخل من الجفن وتكون اطراف الشقين من زاويتي القطع حتى تلتقي فتكون منها زاوية حتى اذا أجتمعت يصير شكلها شبيهاً بهذا الشكل (٨) .وهو حرف اللام اليوناني، ثم تنزع ذلك اللحم بقدر ما يكون الجانب الحاد منه اسفل مما يلي الجفن، ثم تجمع الأجزاء المتفرقة بخياطتين تخيطه بخيط صوف ثم تعالجه بما ذكرنا من الأدوية المرخية حتى يبرأ ......» .

في هذا الفصل يتناول الزهراوي حالة بالغة الدقة وهي انقلاب الجفن السفلي للخارج ويبدأ بالقول بأنها تكون طبيعية او عرضية وهو قول مدهش حقاً، لأنه من المعروف انها قد تحدث خلقيا، الاان ذلك نادر للغاية ولايكاد يدري بذلك المتخصصون ، ومع ذلك فالزهراوي على علم به، فإذا تابعنا تفاصيل عمليته الجراحية وجدنا انفسنا امام جراح فذ ورغم ان المبدأ الأساسي لهذه العملية يبدو سهلا وبسيطاً وهو استئصال مثلث تتجه قمته نحو قبوة العين، الا ان هذا المبدأ على بساطته من أهم مبادىء جراحة التجميل والأصلاح، ومع اضافة بسيطة ، فأن هذه العملية معروفة بأسم عملية كونت – زيمانوفسكي في مراجع جراحة التجميل «٩٣» .

١٠ – الرتقة : (Atrasid)

ويبدع الرازي ايضاً في الكلام عن الرتقة وعلاجها ، فيقول « واما ان تكون في الخلقة او علاج قرحة . فأفتح قبل المرأة فأنك تجد فم القبل قد غطاه شيء شبيه بالعضلة ، هذا اذا كان اللحم في القبل واما اذا كان في فم الرحم فأنه لايخاف عليه حتى تبلغ الجارية الحيض، فأنه يحتبس فلا ينزل فتلقى من ذلك اذى شديـد أو تهلك عاجلا متى لم تعالج ، وذلك ان الدم يرجع الى بدنها كله ويسود ثم يختنق به ....

ثم يقول. وهذا اللحم اما ان ينبت في فم القبل وهذه لايقدر الرجل ان يجامعها ولا تحيض ولا تعلق اذا كان من فم الرحم فأنها تجامع لكن لاتحبل. وربما كان اللحم سادا للموضع كله ، وقد يكون فيه ثقب صغير يخرج منه الطمث وربما علقت هـذه وهلكت هي والجنين اذ لامخرج له»(٤٨ص٢١) وليس هناك نص في التراث أو كتبنا العصرية افضل من هذا القول .

ثانياً : الجراحة العامة وجراحة المجاري البولية :

ان اهم المسائل التي جاء ذكرها لدى الأطباء العرب والمسلمين في هذا القسم كانت:

١ – ختان الصبيان : Circumcision لقد تكلم أكثرهم عـن ذلك إلا أن الزهراوي بعد ان عدد الطرق المعتادة في الأختتان ذكر طريقة خاصة له من ابتكاره أطلق عليها : « التطهير بالمقص والرباط بالخيط »وعدد مزايا طريقته ووصفها في كتابه التصريف فقال : « ثم يقوم بين يديك منتصب القائمة ولايكون جالساً ، واخف المقص في كمك أو تحت قدمك حتى لايقع الصبي عليها البتة ولا على شيء من الالات ثم تدخل يدك الى احليله وتنفخ في الجلدة وتشيلها الى فوق حتى يخرج رأس الاحليل ثم تنقيه مما يجتمع فيه من الوسخ ثم اربط الموضع المعلم بخيط مثنى ثم اربط منه قليلا رباطاً ثانياً ، ثم تمسك ابهامك والسبابة موضع الرباط أسفل امساكاً جيداً وتقطع بين الرباطين ، ثم إرفع الجلدة الى فوق بسرعة واخرج رأس الأحليل، ثم تنظفه بخرقة رطبة ثم تذر عليه من رماد القرع اليابس المحرق....» (٥٢ص٣٩٩) . نجد في هذه الفقرة نقطتين علميتين في غاية الروعة الأولى مسألة أخفاء المقص لكي لاتقع عين الصبي عليه، والأخرى تأكيده على تنقية رأس الأحليل مما يجتمع فيه من الوسخ قبل القص .

٢ – الفيلة المائية : Hydrocele يتكلم الزهراوي عن ذلك في باب الشق على الأدرة المائية بقوله: «الأدرة المائية اجتماع الرطوبة في الصفاق الأبيض الذي يكون تحت جلدة الخصي المحيطة بالبيضتين ويسمى الصفاق. وقد تكون في غشاء خاص تمد به الطبيعة في جهة من البيضة حتى يظن انها بيضة أخرى وتكون بين جلدة الخصي وبين الصفاق الأبيض الذي قلنا». وهذه ما نسميها بأسم Spermatocele :

« وتولد هذه الأدرة من ضعف يعرض للأنثيين، وقد يعرض عن ضربة على الأنثيين وهذه الرطوبة تكون ذات الوان كثيرة اما ان يكون لونها الى الصفرة، واما ان تكون دمية حمراء. واما ان تكون سوداء، واما ان تكون مائية بيضاء وهي أكثر ماتكون والعلامات التي يعرف بها حيث اجتماع الماء ، فإن كان الصفاق الأبيض الذي قلنا فالورم يكون مستديراً الى الطول قليلا بشكل البيضة ولاتظهر الخصية لأن الرطوبة تحيط بها من جميع النواحي Hydrocele وان كانت الرطوبة في غشاء خاص بها فإن الورم يكون مستديراً لجهة من البيضة ولهذا يتوهم الأنسان انها بيضة أخرى Spermato cele . واما اذا أردت معرفة لون الرطوبة فأسبر الورم بالمدس المربع. فما خرج في أثر المـــدس حكمت عليه» (٥٢ص٤٢٥) :

هذا التفريق الكلينيكي بين القيلة المائية والكيس المنوي يعتبر رائعاً ولايمكن ان نزيد عليه في وقتنا هذا، ثم ان استعمال المدس يشابه مانعرفه بالبزل (٣٤ص١٢٥) .

٣ ـ الحصى المتولد في الأطفال : لقد تناول الأطباء العرب موضوع الحصى المتولد في الأطفال بطريقة علمية ، حيث تكلموا عن اسباب حدوثه وكذلك عن أسباب اصابة الذكور به أكثر من الأناث ، كما ذكروا اعراض الأصابة به حسب مواضعه وكيفية تفريقه عن الأمراض الأخرى بصوره رائعة، وكذلك طرق التخلص منه بالعلاج ومارسوا عملية استئصال حصاة المثانة جراحياً نذكر فيما يلي بعضاً مما قالوه في هــذا الباب :

يقول ابن الجزار في الحصى المتولد في مثانات الصبيان : «وتولد الحصى مرض خاص للصبيان الذين في الدرجة الثانية ...فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة فينحدر من أعلاها شيء في البول الى المثانة فتصبح مادة تولد الحصى في المثانة ...لأن عنق المثانة منه تكون ضيقة فيعوق المادة الغليظة من النفوذ» «وقد يتبع المتولد في مثانات الصبيان أعراض لازمة منها عسر البول، وشدة الوجع ويجد الصبي حكة في أحليله، ويقوم من أدنى سبب وربما كان قائماً ابداً». «واعلم انه لايتولد الحصى في الجواري كما يتولد في الغلمان، وانما ذلك لان المادة المولدة لا تحدث في الجواري، وانما صارت المادة التي يتولد منها الحصى

لاتجتمع في الجواري لأربعة أسباب. أحدها أن رقبة المثانة فيهن قصيرة، والثاني أنها واسعة المجرى. والرابع انهن اقل شرباً للماء من الغلمان »(٨٥ص١٣٠-١٣١).

ان تصور ابن الجزار لتكون الحصى من نواة يتراكم عليها أملاح مختلفة تصور صحيح وقد أجمع عليه معظم من كتبوا في هذا الموضوع من الأطباء العرب كالرازي وعريب وابن سينا وغيرهم .

أما تعليله لأسباب حدوث الحصى في الصبيان أكثر من البنات تعليل علمي في أغلبه وخاصة ذكره الفرق التشريحي بين مجرى البول في البنات عنه في الذكور مما يدل على معرفة عميقة بعلم التشريح.

ولابن سينا ملاحظة مهمة حول تكون الحصى في البلاد الحارة : « واعلم أن حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصاً الصبيان» (٧ص٥٠٩ج ٢) .

(وتأكيد الرازي بأن المريض اذا ما أحس الرغبة في التبول وحبس البول فإن المثانة تتمدد ويكون الحصر ملاحظة جيدة ومقبولة وذكره تفاصيل دقيقة عن العلاج الجراحي للحصاة ومضاعفات هذه العملية يدل على علم جيد بهذا الموضوع (٣٥ص٩٦)

وعن علاج الحصى يقول الرازي : « وعلاج ذلك في الحمام، حمم الطفل يومياً بماء حار واعط العلاج التالي، علاج مدرر ومفتت الحصى » (٤٩) واستعمال الأفيون بإذابته وتشريبه بخرقة وجعل الخرقة في الدبر في علاج الام المثانة يشبه استعمال الاقماع . المتحوية على الأفيون لنفس الغرض في الوقت الحاضر .

وفي الفصل الستين من التصريف يتكلم الزهراوي عن إخراج الحصاة فيفرق بين حصاة الكلية والمثانة بشكل بين ومن بين أقواله في هذا الباب : « ويسهل برء الصبيان منها الى ان يبلغوا اربع عشرة سنة» (٥٢ص٤١١) . ثم يصف العملية الجراحية لأخراج الحصاة مؤكداً بأن الشق فقط يكون على حصاة المثانة او قناة مجرى البول ومن وصفه يتضح لنا أنه كان يستخرج حصاة المثانة عن طريق الشق على العجان أو مانسميه نحن Perineal Urethrotomy ونجده يحذر من أن يكون القطع كبيراً والا أدى الى سلسل البول Incontinence ونصح في حالة ما اذا كانت الحصوة كبيرة بتكسيرها

بالكلاليب واخراجها قطعاً ، وهذا أول وصف في الجراحة لعملية تفتيت الحصوة التي نعرفها بأسم Litholopaxy وكذلك ففي علاج حصاة قناة البول ، ذكر وصفاً أخر لتفتيها لم يسبقه الى ذلك أحد (٣٤ص١٢٣—١٢٤).

أما في الفصل الثامن والخمسين فقد تكلم الزهراوي عن علاج البول المحتبس في المثانة ومن جملة ماذكره: « اذا اشتد الأمر على العليل فينبغي ان يستعمل أخراجه بالالة التي تسمى قساطير Catheter وهي تصنع من فضة وتكون رقيقة ملساء مجوفة» (٥٢ ص ٤٠٣) ثم يصف طريقة إدخال هذه القساطير وصفاً ممتازاً مازالت طريقته هي المتبعة حتى الان في ادخال القساطير والممدات ومنظار المثانة .

ونجد للزهراوي في كتابة أيضاً وصفاً لالة هي اشبه ماتكون بالآلة التي تستعمل اليوم لحقن المثانة حيث يقول في الفصل الخاص ب« كيف تحقن بالزراقة وصورة الآلات التي تصلح لذلك » « اذ عرض في المثانة قرحة أو جمد فيها دم ، أو احتقن فيها قيح واردت أن تقطر فيها المياه والأدوية يكون ذلك بآلة تسمى الزراقة» (٥٢ص٤٠٢) .
ويعود لهأيضاً فضل أكتشاف المحقنة الشرجية Bulbe-syringe فهو أول من وصف محقنة شرجية مربوطة عليها جليدة واستعملها لحقن الأطفال .

٤ — **الفتوق** : ان خير من تكلم عن أنواع الفتوق وعلاجها كان الزهراوي، فقد عقد الفصل الخامس والستين للتكلم عن علاج الأدرة المائية ، ويعني هنا الفتق الاربي الذي ينزل الى الصفن ، يقول« تحدث من شق يعرض في الصفاق الممتد على البطن في نحو الأنثيين من أطراف البطن ، فتنصب المعي من ذلك الفتق الى احد الأنثيين. وهذا الفتق يكون اما من الصفاق واما من امتداده ويحدث هذان النوعان من أسباب كثيرة ، اما من ضربة واماوثبة أوصيحة أو لرفع شيء ثقيل ونحو ذلك، وعلامته اذا كان امتداد الصفاق ان يحدث قليلا قليلا في زمن طويل ويكون الورم مستوياً الى نحو العمق من قبل ان الصفاق يعصر المعي .

وعلامته اذا كان من شق الصفاق انه يحدث من أوله وجع عظيم وقعه، ويكون الورم مختلفاً ظاهراً تحت الجلد بالقرب ، وذلك لخروج المعي الى خارج الصفاق .

وقد يخرج مع المعي الشرب فتسمى هذه الأدرة معوية ثربية وقد تحبس في المعي الزبل ويحتبس هناك فيكون معه هلاك العليل، لأنه يحدث وجعاً صعباً وقرقرة ولاسيما اذا عصره» (٥٢ ص٤٠٧) . وهذا يشبه مانسميه في الطب الحديث Incarceration وهو دخول الأمعاء الغليظة في داخل غشاء الفتق ويكون عاملا مساعداً لحدوث الأنسداد التام ويعتبر هـذا من أنواع الأنسداد الخطرة اذا لم تعالج جراحياً .ثم بعد ذلك يصف طريقة إجراء العمليـــة ويبين في ذلك طريقة استئصال كيس الفتق وطريقة تشريحه من البيضة والكيس المحيط بها وبعد ادخال الأمعاء الى البطن يصف طريقة ربط عنق الكيس ربطاً مزدوجاً ، بعدها يقص الكيس واخيراً يشق جلد الصفن من أسفله لخروج الدم عندما يحدث الألتهاب Drainage (٣٤ ص١٢٨).

وفي الفصل السابع والستين يتكلم عن الفتق الذي يكون في الأربية ويقصد هنا مانسميه بالفتق الأربي المباشر Direct Inguinal Hernia فيقول : « قد يعرض الفتق في الأربية ، فيفتق الموضع ولاينحدر الى الأنثيين من المعي. وان انحدر كان ذلك يسيراً ويرجع في كل الأوقات ولكن اذا طال الزمان زاد الفتق في الصفاق حتى ينحدر المعي أو الثرب في الصفاق ويعرض ذلك من امتداد الصفاق الذييكون في الأربية كما قلنـا ، وذلك ان يمتد الصفاق ثم يسترخي» (٥٢ص١٢٩) مع علمنا ان حدوث ذلك في الأطفال نادر جداً الا ان سياق الحديث دفعنا الى ذكره .

ثم يذكر العملية اللازمة في علاج هذا النوع من الفتق وهو هنا لايستأصل كيس الفتق ، بل يكتفي بدفعه الى الداخل بواسطة المرود ثم يخيط المنطقة الضعيفة التي برز منها كيس الفتق من خلال جدار البطن وهذه اول محاولة في تاريخ الجراحة لعمل الرتق الجراحي للفتق الأربي Hernial Repair (٣٤ص١٢٩) والأبحاث الحديثة تؤكد قول الزهراوي في عدم استئصال الكيس في حالة الفتق المباشر.

وعن تورم السرة وبروزها يقول الرازي: « بروز السرة فيالأطفال يحدث عند بكائهم بكثرة أو عند العصر ، أو من السعال الشديد أوصدفة أوربما يحدث من حادثة أو ضربـة عمداً» (٤٩). ومن علاج ذلك يقول: « اذا كانت من النوع التي تصغر عند الدفع أكو السرة حول الحلقة وليس في البقعة التي تصغر منها بسبب رقة الجلد »(٤٩).

ان الطريقة التي ذكرها الرازي وغيره لمعالجة فتق السرة وبقية انواع الفتق كانت الغاية منها عمل ندبة متليفة لسد الفتق وهي وإن تركت الان علمياً الا انها مازالت مستعملة في بعض بقاع العالم . وجاء ذكر العملية الجراحية لفتق السرة في الحاوي مع ذكر خطورتها ومضاعفاتها .

وعن نتوء السرة أيضاً يقول الزهراوي : « يكون نتوء السرة من أسباب كثيرة ، اما من انشقاق الصفاق الذي على البطن فيخرج منه الثرب Omento cele أو المعاء على مايعرض في سائر الفتوق وإما من دم ينبعث من وريد او شريان Hemangioma (٥٢ص٣٧٧) ثم يعطي العلامات الفارقة بين هذه الأنواع ويصف العملية الجراحية لفتق السرة مع ذكر طرق معالجة كل نوع .

٥ ـ الثآليل : يقول الزهراوي في ذلك : « وأما الثآليل اليابسة فالواحدة منها هو نتوء صغير خشن متلبد مستدير فوق سطح البدن وكثيراً مايعرض في أيدي الصبيان وعلاجه ان تمد الثلول وتقطعه او تحزمه بخيط حرير أو بشعرة حتى يسقط وان شئت كويته على ماتقدم بالنار أو بالدواء الحاد» (٥٢ص٥١٧) .

ثالثاً : جراحة الرأس والرقبة والفقرات :

١ ـ إخراج العظم وغيره مما ينشب في حلق الصبي إذا بلعه : يقول البلدي في ذلك : « وان كان ماينشب في الحلق شوكة أو عظم يحتال . في ان يبلع الصبي لقماً كباراً مرة بعد مرة فإنه ربما نزل الشيء الذي نشب في حلقه ... وأدخله الحمام وجرعه بعض الأدهان الحارة دفعات ثم اطعمه لقماً كباراً فإنه ينزل ذلك الشيء» الى أن يقول : «والا فأنزل في الحلق الالة التي تدفع بها مثل ذلك الى اسفل وهذه الالة تتخذ من رصاص في شكل السكينة الا انها طويلة ولها تعقيف (٢٠ص٢٨٧) .

٢ ـ أنواع كسور الرأس : في الفصل الثاني من الباب الثاني من التصريف يتكلم الزهراوي عن «الكسر العارض في الرأس» ونجده يفرق بين أنواع الكسر مثل: الكسر القدومي كما يفعل القدوم في الخشبة. Dpressed F. والكسر الشعري Fissuredf٠

Fracture والكسر النافذ قرب الغشاء الذي تحت العظم ، والتقعير الذي يحدث في رؤوس الأطفال Pond Fracture

ومن جملة مايذكر قوله: « ومنه كسر يكون من سقطه أو صكة حجر ونحوه، يدخل صفحة العظم الى داخل ويصير للموضع تقعير كما يعرض لقدر النحاس اذا اصابتهـا ضربة فيدخل جزء منها الى داخل وأكثر مايكون ذلك في الرأس الرطب العظم كرؤوس الصبيان» (٩٣ص٦٩٦).

كما تميز الزهراوي بوصف الخطوات العملية لجراحة الجمجمة وما يجب على الجراح تحضيره من أدوات خاصة لكل نوع من الأصابات فقال« فإن كان كسر العظم قد بلغ الغشاء الخشبي على الدماغ وكان مع هشم ورض فينبغي أن تقطع الجزء المتهشم المرضوض على ماأتي وصفه لك ،وهو ان يحلق رأس العليل المجروح فإن عرض لـك عند الكشف على العظم نزف دم فأنتظر حتى يسكن الورم وتأمن النزف، ثم تأخذ في تقويم العظم وذلك يكون على أحد وجهين من العمل فإما الوجه الواحد فهو ان تقطـع العظم بمقطع ضيق الشفرة وهذه صورته فإن كان العظم قوياً «صلباً» فينبغي ان تثقب حوله قبل استعمالك القاطع بالمثاقب التي سموها « غائصة » وهذه المثاقب تسمى اليوم TREPHINE

ولقد أتى عبد اللطيف البغدادي بشاهد حي على أزدهار جراحة الجمجمة وممارستها في أيامه عكس ما قاله الكثيرون ان العرب نقلوا للجراحة ولم يمارسوها فقد ذكر أن عدداً من المرضى عولجوا من كسور الجمجمة وتحسنوا فقال: «ولقد رأيت من أخذ من رأسه قطع من العظام وسلم ورأيت أنساناً قد أخذ من قحفه قطعة عظيمة وصار في رأسه حومة اذا صاح أو استرق النفس على الموضع من القحف كان كالرمانة العظيمة » .

٣ ـ **الخنازير** : يقول الرازي في ذلك: « الخنازير تكون في الصبيان أكثر منها في سائر الأسنان» (٤٦ج ٢ص ١٢٣). ويشير الى ان الغدد الدرنية تتصل اتصالا وثيقاً بالأنسجة التي حولها وتغور فيها . كما أنه يصف طريقة الفحص المعروفة الان بالتموج Fluctualtion وكيف يميز بها محتويات الخنازير والخراجات المختلفة» (٣٥ص ٣٩٤). «ويقول ابن سينا عن ذلك

«واسلم الخنازير ماتعرض للصبيان واعسرها ماتعرض للشباب» (٧ج٣ص١٤١).
ونحن نعلم الان بأن مقاومة الصبيان لسل العقد اللمفية جيدة جداً وشفائهم العضوي من هذه الأصابة وارد دوماً وابداً .

ويتكلم الزهراوي عن الشق على الخنازير التي تعرض في العنق كثيراً Tuberculus Lymphadenitis فيقول :

«تعرض هذه الأورام في العنق وتحت الأبطين وفي الأربتين وتكون كثيرة وتتولد بعضها من بعض، وكل خنزيرة منها تكون في داخل صفاق خاص. وانواع هذه الخنازير كثيرة منها متحجرة ومنها خبيثة لاتجيب الى العلاج » (٥٢ص ٣٣٣) . وخلاصة قوله في علاج الخنازير قوله أنه كان يستأصل الغدد الليمفاوية من الرقبة، وان كانت ماتصقة في الوريد الودجي أو الشريان السباتي فإنه يربطها ويبقها ويتركها حتى تسقط ، أما اذا كانت تحولت الى خراج بارد فيكتفي بأن يشق عليها ليستخرج الصديد »(٣٤ص١١٦)

٤ ــ **درن الفقرات :** يقول الرازي في الحاوي : « من اصابته حدبة من ربو أو سعال قبل نبات العانة فإنه يهلك لأن كل من تصيبه حدبة بلاضربة ولاسقطة ولاسبب ظاهر انما يكون ذلك لخراج داخل يجذب خرز الصلب، وهذا الخراج متى كان من خلط غليظ غايه الغلظ لاينضج البتة فإن يقتل على هذه الجهة. فإنه اذا حدث في هذا الوقت منع الصدر ان يتسع ويبلغ مقدار مايحتاج اليه الرئة والقلب في التنشق فيقتل لذلك بضيق النفس. وان نضج زعم انه وقت سيلانه يقتل صاحبه (٤٦ص٨٨ج١١).

لوأننا نقلنا هذه الفقرة الى لغة الطب الحديث لظهر لنا مافيها من معلومات صحيحة رائعة فهي تقرر ان درن الفقرات متى كان في الصبيان فإنه يقتل وتقرر أيضاً أن الحدبة التي ليس لها سبب ظاهر تكون من خراج داخلي بارد يسمى تجنساً Cold Abcessوهذا لايبرأ البتة، وزاد على ذلك أنه اذا سال الصديد من الخراج البارد open T.B. Abcess فإنه يقتل صاحبه (٣٥ص٣٩١) .

أما الزهراوي فإنه يعالج نتوء خرزة الظهر بالكي وعلى الأغلب يقصد بذلك الحدبة الناتجة عن تدرن الفقرات (٥٢ص١٢٩) .

حادي عشر : الناحية العلاجية الخاصة بالاطفال

لم يقتصر اهتمام الأطباء العرب على كيفية العناية بالطفل ونموه وتربيته فحسب وانما اهتموا بالناحية العلاجية الفارماكولوجية على حد سواء. ودليلنا على ذلك مايلي :

١ ــ تأكيدهم على اختلاف علاج الأطفال عن الكبار من الناحية الكمية :

يقول أحمد بن محمد الطبري : «فأما الأدوية التي تستعمل في الكبار فلا تصلح للأطفال البتة ولا تحتملها معدهم ولاامزجتهم» (٦٤ص٣٣) .

ان تأكيد الطبري حول الدقة عند تقدير العلاجات Dosages لأجل تجنب الأخطاء الخطرة والتسمم العرضي ملاحظة مهمة جداً في تأريخ الصيدلة والعلاجات (٣٧ص٧٢)

ويؤكد نفس المعنى ابن جزلة البغدادي في كتابه تقويم الأبدان في تدبير الإنسان حيث يقول : «وينبغي ان يراعي في وقت المداواة لكل مرض نوع ذلك المرض وقوة المريض ومزاجه الخارج عن الطبع وسن المريض» .

ويقول ابن هبل البغدادي في نفس المعنى أيضاً : « واعلم أن معالجات الأطفال والصبيان لأمراضهم الخاصة بهم متنوعة من جملة علاج الأمراض وانما يقتصرون من الدواء مما تملكه قواهم وتراكيبهم الضعيفة» (٢١ص١٩٦) .

ولابن سينا بيت شعر في ارجوزته بهذا المعنى اذ يقول : « مالشيخ في مزاجه كالطفل .... كلا ولا الصبي كالكهل ».

وكان الرازي حذراً في استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الأطفال بل ميالا الى استعمال المعاجين من الخارج بخلاف الكبار يقول في رسالته : « في ديدان الأطفال ليس من الصواب اعطاء علاجات قوية ليشربها ويتخلص من هذه الافات ولكن يجب ان نختار من بينها تلك التي تستعمل خارجية» (٤٩) .

وللبلدي ملاحظة ذكية حول اختلاف تأثير العلاجات المختلفة بالنسبة لشدة المــرض وعمر المريض يقول : «وهذه وصية يجب ان تستعمل في الأطفال والصبيان في كل مرض فتقيس بين من أبتدأ يأكل الطعام وبين من لم يبتدي ء بأكله بعد ، وبين من هو

أقوى من المبتدىء بأكل الطعام كثيراً وقسماً بين من سعيه أكثر وأقل، وبين من هو منهم أقوى واضعف»(٢٠ص ٢٧٢).

٢ ــ لقد أنفرد البلدي في تأكيده على اختلاف العلاجات بأختلاف الأشخاص كما أكد على ضعف تأثير العلاج على الشخص نفسه بمرور الأيام لتعوده عليه. يقول :

«وان تغير الأدوية علــى العليل أصلح آن تكون معالجته بها وهذا لأن الطبيعــة اذا اعتادت الدواء الواحد وألفت قوته على نفعه لم يؤثر فيها أثراً حسناً كثيراً ، ولأن كـل واحد من الناس ربما كان في طبعه يداوم لدواء من الأدوية دون غيره فينتفع ولاينتفع بغيره وان كانت قوة الدوائين واحدة في العلة الواحدة بعينها. وذلك ان الأدوية لاتسري قواهـا في نفسهـا لأختلاف مابينهـا في طبائع اشخاصها ومايختص بشخص شخص منها. ولا يسري فعلها في الناس كلهم في العله الواحدة لأختلاف أشخاص الناس أيضاً» (٢٠ ص ٢٩١):

ان هاتين الملاحظتين مهمتان جداً في تأريخ الصيدلة والعلاجات وهما جديرتان بالإعجاب، والعلم الحديث توصل مؤخراً الى ذلك .

٣ ــ يظهر جلياً من استعراض الوصفات والعلاجات المركبة التي استعملوها فـي معالجة كثير من أمراض الأطفال على أنهم استعملوا الأوزان الصغيرة جداً ولا شك بـأن أستعمال مثل هذه الأوزان الصغيرة دليل على حرصهم ودقتهم في وصف العـلاجـات للأطفال .

عقد عدد من المؤلفين مقارنة بين الأوزان التي استعملها الأطباء العرب مع معدلاتها بالغرامات الا ان هذه الجداول جاءت مختلفة نذكر فيما يلي نماذج من هذه الجداول/

الوزن	القاموس المحيط	كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب/ لأبن الأكفاني تحقيق صالح مهدي عباس	كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لأبن الجزار القيرواني تحقيق محمد الحبيب الهيلة
الحبة	$\frac{١}{٤٨}$ درهم		٠,٠٦٨٩ غم
القيراط	٤ حبات	٤ حبات قمح =١/ ٢ دانق =٢٠ سنتغرام تقريباً	$\frac{١}{٢}$ ٢حبة= ٠,١٦٤٧غم
الدانق	٢ قيراط	٨,٢ حبات قمح= $\frac{١}{٦}$ درهم=٠,٥٣١غم	$\frac{١}{٦}$ درهم=٠,٥١٤٣
الدرهم	٦دوانق	٤٩,١حبة=١٢قيراط = ٣,١٨٦غم	٠,٠٨٩٨ غم
الأوقية	$\frac{٢}{٣}$ مثقال		٣٣,٠٣٩٠غم
المثقال	$\frac{٣}{٧}$ درهم	$\frac{١}{٢}$ ١ درهم =١٨ قيراط	

وكمثال للوصفات الطبية التي كانوا يصفونها نورد مايلي :

وصفة لأبن سينا ذكرها لمرض القلاع (التهاب الفم) :

عروق وقشور الرمان	
الجلنار	لكل منهم ستة دراهم
السماق	
العفص	أربعة دراهم
الشبت	درهمان

يدق وينخل ويذر :

وصفة للرازي ذكرها لسعال الأطفال :

الخشخاش الأبيض	
كثيراء بيضاء	من كل واحد نصف درهم
قثاء مقشور	درهم واحد

وصفة للبلدي لإزالة اثار الجدري من الجسد :

دقيق الحمص	من كل واحد ثلاثة دراهم
دقيق الباقلاء	
بذر البطيخ	خمسة دراهم
المرد اسنج المبيض	درهمان
أصل القصب اليابس	ثلاثة دراهم

يسحق الجميع ويطلى بعد الاستحمام

٤ ـ معالجة الطفل وعدم الأكتفاء بمعالجة المرضع :

يؤكد أحمد الطبري في مقدمة كتابه كلام بعض الأطباء من كون معالجة الأطفال من مقام الجزئيات من الأمراض . وعدولهم عن معالجة الأطفال الى معالجة المرضعات حتى يخلص الى حقيقة علمية نسجلها له بفخر وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الأكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على ماأعتقد يعتبر طفرة في حقل علاجات الأطفال لم يسبقه بها أحد ،حيث يقول :

«وهذا أمر لم يتكلم فيه واحد من الأوائل كلاماً شافياً واعتمدوا في ذلك على ان الطب عام وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم.... وذكر بعض الأوائل من الفلاسفة أن معالجة الأطفال هو من مقام الجزئيات من الأمراض وان استخراج معالجتهم على الطبيب ...» الى ان يقول: « فلا بد من مداواة الأطفال» (٦٤ص٤).

٥ ــ انتقال العلاجات عن طريق الحليب للطفل :

ان تأكيد الأطباء العرب على حمية المرضعة وتعديل غذائها واعطائها العلاجات في أغلب الأحيان عند تمرض الطفل دليل على اعتقادهم القوي بأنتقال بعض العلاجات عن طريق الحليب من الأم للطفل ومن بين الأسباب الوقتية التي اشترطها ابن سينا لمنع الرضاعة من الأم أخذها العلاجات حيث كان على ثقة من انتقال البعض منها عن طريق حليب الأم للطفل، وهذا ما أثبته العلم الحديث ويقول ابن سينا عند ذكر أسباب ارضاع الطفل من مرضعة غير أمه «وكذلك اذا أحوجت الضرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة» ٧ج ص١٥١) .

٦ ــ طعم علاجات الأطفال :

ملاحظة ابن الجزار حول وجوب كون طعم العلاجات التي تعطى للأطفال ، عذبة الطعم تستوجب الذكر ، فيقول مثلا في معالجة السعال« فإذا أردت علاجهم من السعال العارض لهم فينبغي الأ تقاربهم الأدوية القوية جداً ، لأن ابدانهم لاتقوى على ذلك لضعف في قوتها ورخاوة لحمها ، لكن ينبغي لنا أن نعالجهم بالأدوية التي تشبه الأغذية وتكون عذبة الطعم لئلا يكرهها الصبي قبل منفعته بها» (٨٥ص١١١).

الفصل الخامس

مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال

مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال

يتفق أغلب مؤرخي تأريخ الطب (من أمثال رادبل ، جوستاف لوبون ، سيغريد هونكة ....الخ) على ان الرازي كان اول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلا مستقلا بذاته عندما الف رسالته في طب الأطفال في حدود سنة ٩٠٠م.

لقد الف الرازي رسالته هذه بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والأطباء العرب واليونانيين، حيث تناول أمراض الأطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له ، بتقسيم أمراض الأطفال حسب أعمارهم أو كما سموه أسنان الطفل. ان هذه الرسالة لاتوجد منها على علمنا أية نسخة باللغة العربية الان ولانعلم على وجه التحديد فيما اذا كان الرازي الفها باللغة العربية ام الفارسية كما يقول رادبل (٤٥ص٣٧٠). وان كنا نميل الى كونها الفت باللغة العربية لأن المعروف عن الرازي أنه لم يؤلف اي كتاب طبي بأية لغة غير العربية .

ان الجزء الخاص بعلل الأطفال والذي كتبه أحمد بن محمد الطبري في كناشه المعالجات البقراطية والذي لايزال مخطوطاً ، وكتاب عريب بن سعد القرطبي «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين » ، كتبا في زمن متقارب ولانعلم بالتحديد ايهما الأسبق. وهما في غاية الجودة ويمكن اعتبارهما أقدم ما وصلنا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال باللغة العربية (على اعتبار عدم وجود الأصل العربي لرسالة الرازي) .

ثم كتب ابن الجزار القيرواني كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم الذي يبدو وكأنه أكمل تأليف في طب الأطفال حتى زمانه سلك فيه في مؤلفه مسلكاً تخصصياً الا انه لم يحط بالموضوع من كل جوانبه.

وجاء بعده أحمد بن محمد البلدي وألف كتابه تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض المعارضة لهم ، والذي نعتبره القمة التي وصل اليها طب الأطفال عند العرب والمسلمين ،وذلك لكونه اشمل من كل ما كتب قبله وبعده في هذا الموضوع حيث انه يحتوي اضافة لمسألة العناية بالطفل من الناحية الجسمية النفسية والتربوية أمراضاً لم يذكرها غيره من الأطباء (٢٠ المقدمة) .

وكتب ابن سينا ايضاً فصولا جيدة عن تربية الطفل وكيفية العناية به ومعالجة أمراضه الا ان كتابته جاءت متفرقة في القانون وغيره. وفي تراثنا الطبي العربي غيرما ذكرنا العديد من الكنوز الدفينة ،والتي تستوجب منا الغور في بحورها درساً وتمحيصاً وتقييماً وتحقيقاً . نذكر فيما يلي جميع ما استطعنا العثور عليه من المؤلفات في طب الأطفال وحسب التسلسل الزمني لمؤلفيها مع استعراض بسيط للبعض منها حسب مايقتضيه المقام.

علي بن سهل الطبري

هو ابو الحسن علي بن سهل بن الطبري. ولد في مدينة مرو من أعمال طبرستان سنة ٧٨٠م أو سنة ٧٧٠م .

أشهر كتبه في الطب كتاب «فردوس الحكمة» الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب من كتب العرب ، وهو مقتبس عن الكتب الطبية اليونانية والهندية.

خصص الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة للتحدث عن تربية الأطفال وحفظ الصحة وتربية الصبي اذا ترعرع ، وهي بمجموعها منقولة من جالينوس ذكرنا بعضاً منها عند التحدث عن جالينوس. ومن أقوال الطبري التي لم نذكرها والتي جاءت في فردوس الحكمة قوله عن الحصاة في الصبيان فيه الكثير من الصحة والقيمة العلمية.

«وأكثرما تعرض الحصاة للصبيان من قبل غلظ اطعمتهم ...فإن رأيت في البول دماً مختلطاً دل على ان ذلك في الكلية وان كان الدم غير مختلط بالبول فالقرحة في المثانة.. وان وجد الوجع في الأنثيين فالحصاة في الكلية وان وجد في السرة فالحصاة في المثانة».

ولم يوفق الطبري كغيره من الأطباء الذين قبله والذين عاصروه في التفريق بين مرض الجدري والحصبة وتكلم عنهما كمرض واحد. وله قول في انواع الألبان جدير بالذكر وان لم يكن مصيباً في بعض ماذكر يقول :

«حليب البقر رأس الألبان وافضلها ... ولبن الجاموس بارد فيه منافع لبن البقر ..... لبن المعز جيد ... لبن الضائنة أوضع الألبان وهو حار غير ملائم للبدن ..... ولبن كل كل ذي حافر خفيف ...وخير اللبن ماشرب حاراً حين يحلب».

وعن فسلجة الأحتلام والطمث يقول:

«علة ذلك أن الصبي اذا بلغ وتولدت فيه مادة الزرع واستحكمت وقويت حرارة البدن واتسعت مجاري عروقه تحركت الطبيعة لأخراج تلك المادة اذا كثرت فيه فتخرجها بالأحتلام .فأما الصبيان فإن عروقهم دقيقة ضيقة ممتلئة رطبة وحرارتهم غير مستحكمة فإنهم لايحتلمون والطمث في الإناث كالأحتلام في الذكران»(٦٥ص٥٤) .

يوحنا بن ماسويه

ولد سنة ١٦١هـ/٧٧٧م توفي سنة ٢٣٤هـ/٨٥٧م. له مقالة في الجنين وكونه في الرحم رتبها على فصول .لهذه المقالة أهمية تأريخية من حيث كونها أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية.

علماً بأنها مقتبسة في مجموعها عن كتاب الأجنة لأبقراط وآراء جاليوس في هذا الموضوع . وهناك نسخة خطية منها في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ــ ضمن مجموع برقم (١٣٢١٢) . كتبت سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. ناقصة قليلا من الوسط، عدد صفحاتها ثمانية تبدأ بهذه الجملة: « قال ان أول ابتداء الأنسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة » ومن أقواله الأخرى فيها «وللجنين ثلاثة أغشية تشمل عليه ...» .

«ووقت تمام خلقة الجنين اذا كان ذكراً ثلاثون يوماً وان كان أنثى فأربعون يوماً..»

«ووقت تحرك الجنين الذكر في الجنين الأنثى عند تمام أربعة أشهر :...» .

ثابت بن قرة

توفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م. مؤلفاته التي ذكرها ابن أبي اصيبعة (ص ١٩٨) في طب الأطفال ثلاثة هي :

١ ــ جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢ ــ رسالة في الجدري والحصبة.

٣ ــ مقالة في صفة كون الجنين (وهي من التآليف الضائعة).

لم يتيسير لنا الأطلاع على أي من هذه الكتب وكل ما اطلعنا عليه فصل في كتاب «الذخيرة في علم الطب عن اوصاف الحليب» سبق ذكره .

حنين بن اسحق

ولد بالحيرة عام ١٩٤هـ/ ٨٠٩ــ ٨١٠م مؤلفاته في طب الأطفال :

١ ــ كتاب المولودين (أو كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريقة المسألة والجواب). جاء ذكر هذا الكتاب لدى المؤرخين بأسماء مختلفة حقق عن نسخة ميونيخ الوحيدة، يقع في ٢٤ صفحة مطبعة الشعب ــ بغداد ١٩٧٨). والكتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب وقد اعتمد في تأليفه على كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر وان كان ليس ترجمة حرفية له. حاول فيه تعليل سبب عدم امكانية عيش المولودين لثمانية أشهر بشكل منطقي بالنسبة لزمانه ، الا ان العلم الحديث لايوافقه فيما ذهب اليه.

٢ ــ مقالة في كون الجنين، مجمع من أقوال جالينوس وابقراط.

٣ ــ كتاب في اللبن أو مقالة في اللبن.

٤ ــ المولود لسبعة أشهر.

الرازي

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ،ولد في الري (جنوب طهران) في حدود سنة ٢٥٢هـ/٨٦٥م وتوفي فيها سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م. من أعظم أطباء القرون الوسطى ،ألف . أكثر من ٢٢٤ كتاباً ؛

مساهماته في طب الأطفال :

اولا: كتاب مختصر في اللبن ذكره ابن أبي أصيبعة (٥ص ج١ ص٣٢١). ولم نطلع عليه.

ثانياً: الحاوي: على الرغم من كون الحاوي سجلا لمشاهدات الرازي ليس الا فإننا نجد فيه تدويناً للملاحظات السريرية لأول مرة في تأريخ الطب ونجد بين تلك الملاحظات فقرات تبحث عن أمراض الأطفال ، ذكرنا بعضاً منها فيما سبق وأبرز مالم نذكره :

١ – الصرع / :

يحدد الرازي مرض الصرع بشكل واضح حيث يقول – « الصرع تشنج في جميع البدن الا أنه ليس بدائم لان علته تنقضي سريعاً ومايناله من الأعضاء التي في الرأس على جميع الجسد من المضرة يدل على ان العلة انما هي في الدماغ ، ولانها تنقضي سريعاً ينبغي ان يعلم ان الخلط الفاعل له خلط غليظ يسد منافذ الروح فان فعله في بطون الدماغ خاصة ، وان مبدأ العصب فاصله هو الذي يحرك نفسه حركة ارتعاشية ، ويرتعد بشدة كيما يدفع عنه ذلك الشيء الذي قد بلغ في الابدان » (٤٦ ص١١٧) .

وبعد ان يفرق بشكل دقيق بين الصرع الناتج عن افة محددة في الدماغ والذي تطول مدته عادة ، وبين الصرع الذي ينقضي والذي ينتج برأيه عن خلط غليظ ، ينتقل الى الحديث عن اصناف الصرع حيث يشير بوضوح الى الصرع الجاكسوني والذي يعزى فيه الرجفات الى مادة ما اوما كانت تدعى بروح باردة تصعد الى الدماغ من اعضاء البدن يقول : –

« لي – الصرع ثلاثة اصناف اما ان يكون الخلط الفاعل له مستكنا في الدماغ واما ان يكون بمشاركة المعدة واما ان يكون صعوده من عضو ما من اعضاء البدن » (٤٦ ص ١١٨)

وذكر الرازي ايضاً المرحلة التي تسبق النوبة الصرعية والتي تسمى اليوم بالنسمة (Aura) والتي من اوصافها انها تترافق بشعور خفي لايستطيع المريض تمييزه في اكثر الأحوال ومن المعروف ان هذه المقدمات قد تبدأ في اليد اوالقدم وان شد العضو فوق هذا المكان قد يوقف العلة يقول : – « قد يحس بعض المصروعين شيئا كالروح البارد يصعد من بعض اعضائه اما من اليد واما من الرجل

واما من عضو اخر حتى يبلغ الرأس ، ثم ؛ يخرون والشد فوق هذا العضو الذي منه يصعد نافع لذلك » (٤٦ ص١١٨) .

ثم بعد ذلك يبين الرازي الأنذار لهذا المرض حيث يقول «من اصابه الصرع قبل انبات الشعر في العانة ، فانه يحدث له انتقال وقت انباته ، فمن اصابه وقد اتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فانه يموت وهو به» اي ان الصرع في الصبيان من الممكن ان يشفى عند البلوغ (١٦) .

٢ ــ شلل الاطفال :

يطلق الرازي الأسترخاء على عدم قدرة العضلات لاداء اعمالها نتيجة اصابة الأعصاب المحركة لها بخلل كالشلل الدائمي او المؤقت فيقول : ــ

« اذا وقع الأسترخاء بعقب مرض فاقصد اسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الأعصاب فان فيها اخلاط باردة » (٤٦ص٧) .

وفي محل اخر يقول : / « فان كان العضو عصب حسي وعصب حركي فربما حدثت الأفة باحدهما (٤٦ ص١٨) .

وفي قسم اخر من الكتاب نفسه يتكلم عن العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاماً صائبا حيث ان ذلك معمول به الان في علاج شلل الأطفال كما هو معلوم . يقول / « قوة العضو تقوى بالتدليك المعتدل في الكمية والكيفية والحركة الموافقة والدم ينجذب اليه . ويصب الماء الحار عليه بقدر معتدل وبتحريكه ودلكه فـ ان الدلك والتحريك مع تقويتها القوة يجذبان الدم » .

٣ ــ الكزاز :

يذكر الرازي حالة طفل اصيب بمرض الكزاز نتيجة لجرح نخسه ويعزى ذلك الى ضيق فتحة الجرح وحدوث التقيح في عمقه ، وينصح بضرورة توسيع فم الجرح وهو مايؤكده الأطباء اليوم في هذه الحالات / فيقول : /

«كان صبي اصابه نخس في الجانب الأيسر من عضده في العضل ، فوضع عليه الطبيب دواء امتحنه في جراحات اخرى فتشنج الغلام ومات ، لان جراحته لم تكن واسعة لكن

كانت نخسة . ويجب ان تعني بالنخسة الضيقة ان يكون الجرح ابدا مفتوحاً ليكون الصديد يسيل بعضه ويتحلل البعض »

٤ ـ الجراحة التجميلية :

يعد الرازي من اوائل الذين اشاروا الى الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة فقد تكلم عن كيفية تعديل التشوه في الشفة حيث قال « قشر الوسط وإكشط الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي عنه كشطنا ماقد صلب منه وارم به ثم خط الجلد من غير ان يكون يتخلص منه شيء ويلحمه فيكون العضو يرجع الى طواله لذهاب ذلك المقلص من وسط الجلد » . (٤٦ج ٦ ص١٦٤) .

٥ ـ الرتقة (Atrasid) :

يبدع الرازي ايضا في الكلام عن الرتقة (النوع الخلقي والذي يحدث فيما بعد) وعلاجها فيقول : / « وأما ان تكون في الخلقة اوعلاج قرحة . فافتح قبل المرأة فانك تجدفم القبل قد غطاه شيء شبيه بالعضلة ، هذا اذا كان اللحم في القبل واما اذا كان في فم الرحم فانه لايخاف عليه حتى تبلغ الجارية الحيض ، فانه يحتبس فلا ينزل فتلقى من ذلك اذى شديد اوتهلك عاجلا متى لم تعالج » . (٤٨ ص٢١ .

٦ ـ العرق المدني :

يقول الرازي عن تواجده «قد يكون في البلدان الحارة وبشرب المياه الرديئة » (٤٦ ج ١١ص ٢٩٢) ويذكر ايضاً « بولس ـ قال : ـ يتولد بالهند ومصر ويعرض في الأعضاء العضلية مثل المعصمين والساقين والفخذين ، واما في الصبيان فقد يعرض في الجنين ، وكونها تحت الجلد وتتحرك حركة بينة حتى اذا ازمنت ينتفخ الموضع الذي يكون فيه طرف هذا العرق وينتفخ الجلد ويخرج منه طرف العرق فان مد عرضت منه اوجاع شديدة وخاصة ان انقطع » (٤٦ج ١١ ص٣٩١) .

ثم يذكر مثالا لطريقته في علاج مريض انقطع فيه العرق ـ يقول « لي ـ رايت في المارستان شيئاً انقطع فبططناه ولم نلتفت الى طلب العرق لكن فتقنا الجرح بالاصبع فتقا نعما فعالجناه فبرأ برأ تماما » (٤٦ ج ١٠ ص٢٩٢) .

٧ – روماتيزم المفاصل :

يقول « قد رأيت خصيانا اصابهم النقرس ،واما صبيانا فما رأيت احد اصابه ، وان كان يصيبهم فانما يصيبهم انتفاخ في مفاصلهم »(٤٦ج ١١ ص١١٠) .

على الرغم من عدم تسمية الروماتيزم الا اننا نجد في القول السابق اشارة له وكونه مرض يصيب الأطفال اكثر من غيرهم .

٨ – درن الفقرات :

يؤكد الرازي بان درن الفقرات متى كان في الصبيان فانه يقتل ، كما ويقرر با ن الحدبة التي ليس لهاسبب ظاهر تكون من خراج داخلي بارد وهو مانسميه Cold Abces وهذا لايبرأ أبدا والطب الحديث يؤيده فيما ذهب اليه سوى مسألة امكانية شفاء المريض المصاب بتدرن الفقرات بالعلاجات والمداخلات الجراحية . يقول الرازي : –

«من اصابته حدبة من ربو اوسعال قبل نبات العانة فانه يهلك ، لان كل من تصيبه حدبة بلاضربة ولاسقطة ،ولاسبب ظاهر انما يكون ذلك لخراج داخل يجذب خرز الصلب ، وهذا المزاج متى كان من خلط غليظ غاية الغلظ لاينضج البتة ، فانه يقتل على هذه الجهة ، فانه اذا حدث في هذا الوقت منع الصدر لان يتسع ويبلغ مقدار مايحتاج اليه الرئة والقلب في التنشق فيقتل صاحبه ، لي – لصغر السن » (٤٦ج ١١ ص٨٨) .

وفي موضع اخر يقول / «لي / الحدب كله انما هو ان يتقطع بعض الخرز ويبقى في الوسط منها شيء غير متقطع ، ومتى ما كان مابقي غير متقطع اكثر كانت اكثر فلذلك الحدب رديء يضيق الصدر ، لان الخرز تنجذب الى داخل فيضيق الفضاء((٤٦ج١١ص٩٢ ص٩٢ .

ثالثاً: كتاب المنصووي : المقالة الرابعة في تدبير الأطفال (٥ص٣٢ – ٧٤) .

يتكلم فيه الرازي عن كيفية العناية با'وليد ثم كيفية الرضاعة والفطام ، وعن اختيار المرضعة وتدبيرها ، ثم يتكلم عن تدبير الأسنان وفيه يتكلم عن معالجة الصبيان وتدبيرهم . وفي مكان اخر شرح الوقاية من كبر الخصية في الأولاد والثدي في البنات

وفي سرده للحالات المرضية أدخل الرازي بعض حالات الأطفال فمثلا : وطفل كان لديه التهاب الفم مع افرازات صفراء ، حمى ، طفح ،تبول دموي ، نزف في الشرج وتوفي » عزى ذلك الرازي للعلاجات التي اجتمعت في الجلد من الضمادات (٤٥)

رابعاً : رسالة في أمراض الاطفال والعناية بهم :

سبق وان ذكرنا بان الرازي كان اول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائيـة وجعله يأخذ شكلا مستقلا بذاته عندما الف رسالته هذه في طب الأطفال ، في حدود سنة ٩٠٠ م .

ترجمت هذه الرسالة قديماً الى العبرية ، ثم ترجمت للاتينية قبل ظهور الطباعة فـــي مدرسة جيرارد كريمونا (١١١٤ — ١١٨٧) من قبل سومون .

اول كتاب طبع في طب الأطفال كان كتاب (بيكالاردوس سنة ١٤٧٢م) ، الذي اعتمد اعتماداً كلياً على رسالة الرازي هذه، كما انه من الحقائق المؤكدة بأن جميع كتاب الأطفال من القرن العاشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية من رسالة الرازي (٤٥)

طبعت هذه الرسالة باللاتينية سنة ١٤٨١م لأول مرة ، بعد ذلك طبعت مرات عديدة وعلى الأغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي اوفصول الطب لابن الهيثم .

وفي العصر الحديث ترجمت منها فقرات للألمانية من قبل بيبر Pieper وللإنجليزية من قبل روهرا Ruhra ومن قبل ستيل سنة ١٩٥٩ م وترجمت الرسالة بكاملهـا للايطالية .

وقام بترجمتها باكملها قبل سنوات رادبل Samuel. Radbill :
للانجليزية ونشرها في مجلة امراض الأطفال الأمريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ لسنة ١٩٧١ م) ويذكر فيها بأنه ترجمها عن النسخة الأيطالية والعائدة لـ Manza لسنة ١٤٩٧م والتي هي بحوزته وان هذه الترجمة تعتبر اول واكمل ترجمة مطبوعة باللغة الأنجليزية وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في ترجمتنا للرسالة الى العربية (طبعت الترجمة العربيـة

التي قمنا بها ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة والذي انعقد في بغداد في الفترة ٩
١٣ / كانون الأول / ١٩٧٩)

أبواب الرسالة : وهي اربعة وعشرون بابا ، وتشمل مايلي :

الباب الأول : في السعفة في الأطفال .

الباب الثاني : في الجرب في الأطفال .

الباب الثالث : في كبر الرأس في الأطفال :

الباب الرابع : في انتفاخ البطن في الأطفال .

الباب الخامس : في العطاس في الأطفال .

الباب السادس : في السهر عند الأطفال .

الباب السابع : في الصرع عند الأطفال :

الباب الثامن : في المرض المسمى ام الصبيان .

الباب التاسع : في جريان الصديد من أذن الطفل :

الباب العاشر : في جريان السم من الأذن .

الباب الحادي عشر : في امراض العين في الأطفال .

الباب الثاني عشر : الحول .

الباب الثالث عشر : امراض الأسنان :

الباب الرابع عشر : تقرحات الفم في الأطفال :

الباب الخامس عشر : في التقيؤ في الأطفال .

الباب السادس عشر : في اسهال الأطفال .

الباب السابع عشر : في امساك الأطفال

الباب الثامن عشر : في سعال الأطفال .

الباب التاسع عشر : في الحكة والنفاط في الأطفال :

الباب العشرون : في ديدان الأطفال .

الباب الحادي والعشرون : في بروز السرة في الأطفال :

الباب الثاني والعشرون : في فتق الأطفال .

الباب الثالث والعشرون : في حصى المثانة في الأطفال .

الباب الرابع والعشرون : في شلل الأطفال :

القيمة العلمية للرسالة :

الرسالة بالاضافة لكونها اول مؤلف في طب الأطفال فانها تتضمن اراء ونظريات الرازي في طب الأطفال مكتوبة بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والأطباء اليونانيين وبعض الأطباء العرب ، فقد تناول امراض الأطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له بتقسيم امراض الأطفال حسب اعمارهم اوكما سموه (اسنان الطفل) ونستخلص فيمايلي بعض الفقرات التي تبين القيمة العلمية لهذا السفر الثمين.

١ — كون الرازي اول من استعمل مرهم الرصاص في الأمراض الجلدية ، الذي استمر استعماله حتى اليوم ، علماً بأنه قد يؤدي في بعض الأحيان الى التسمم بالرصاص .

٢ — تمييزه استسقاء الدماغ الداخلي Hydocephalus يحدث عن الأرتشاح المصلي اوالدموي عند التحدث عن كبر الرأس .

٣ — كما أنه يقول عن صغر الرأس Microcephalus بأنه اذا حدث من الولادة ليس له علاج (٣٨) . وهذا لاشك قول صحيح .

٤ — وفي قوله « في اغلب الأحيان يحدث انتفاخ البطن لدى الأطفال الذين لديهم تضخم اكثر في الرأس » ربما يشير الى انتفاخ البطن الذي يصحب مرض الكساح

٥ — وفي باب التحدث عن الصرع استطاع ان يفرق بين النوع الوراثي والعرضي

٦ — يظهر أنه استطاع ان يفرق ايضاً بين التهاب الأذن الداخلية والخارجية ، كما واستعمل بعض الوصفات العلاجية لشفاء التهابات الأذن .

٧ — وللرازي ملاحظات وطرق جديدة في العلاج تدل على ثقة بالنفس حيث يذكر في مواضع عدة بأنه جرب كذا او اخذ نتائج في تجربة العلاج الفلاني ، الأمر الذي يؤكد كونه لم يكن مقلداً اعمى لمن سبقه بل استطاع ان يستقصي الحقيقة ويتحرى الجديد والمفيد لمرضاه .

٨ - تقسيم الرازي الحول في الأطفال الى نوعين : نوع و لادي واخر يحدث بعد الولادة ملاحظة صائبة .

٩ - ويتكلم باسهاب عن التقيؤ في الأطفال ويعزى ذلك لأسباب ثلاثة (٣٨) :

١ - زيادة الحليب عما يستطيع هضمه .

٢ - رداءة الحليب .

٣ - كون الطفل ذا معدة رطبة ضعيفة .

كما يؤكد على ضرورة فحص التقيؤ من ناحية رائحته لمعرفة سببه .

١٠ - واما سباب الأسهال في الأطفال عنده فهي : -

١ - ظهور الأسنان

٢ - اومن سبب البرد .

٣ - اومن سبب تعفن الحليب من الصفراء والبلغم .

وهنا ايضاً كان مصيبا حين اكد على ضرورة فحص الخروج من ناحية اللون والرائحة لمعرفة سبب الأسهال واعطاء العلاج اللازم .

ان هذه الفقرة والتي قبلها ورأيه في اسباب فتق السرة ربما يرى فيها القاريء المعاصر مجرد بديهيات ومسلمات وهي عندي خير شاهد على المنحى العقلي الذي ميزّ فكر الرازي اذ ان ما يثير الإعجاب فعلا هو هذا الربط المنطقي بين ظواهر عدة في تسلسل يربط السبب بالمسبب .

١١ - ووضع الرازي ملاحظات مهمة حول استحمام الطفل وحذر من استعمال الدهان التي تجمع الأوساخ و الغائط .

١٢ - وكان حذراً في استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الأطفال وكان ميالا الى استعمال المعاجين من الخارج .

١٣ - تقسيمه لأ نواع السعال ووصف العلاجات المختلفة لكل نوع تقسيم جيد.

١٤ - برور السرة (فتق السرة) عنده :

١ - اما يحدث عند بكائهم بكثرة .

٢ — او عند العصر .

٣ — اومن السعال الشديد .

٤ — او صدفة .

٥ — ربما يحدث مع حادثة بضربه عمداً :

واما في علاج ذلك فهو ينصح علاجه دوائياً تماما مثل علاج الفتق المغبني ، والطريقة الجراحية الوحيدة التي ذكرها في علاج ذلك كان كي حلقة السرة وذلك لعمل ندبة متينة لسد فتحة الفتق ، طريقته هذه لاتزال مستعملة في بعض بقاع العالم .

١٥ — ان الحماس الشديد الذي كان حول الفصد في الكبار كان هو ضده في الصغار حتى سن البلوغ

١٦ — في الباب الأخير يتحدث عن شلل الأطفال ، كما انه ادخل الشلل الوراثي واصابات الولادة في هذا الباب عندما لمح لهؤلاء المصابين منذ الولادة ، وعند ذكر العلاج يؤكد على ضرورة العلاج الطبيعي بوضع الطفل في حمام ودهن مفاصله ببعض الدهان ، والمعاجين يومياً :

خامساً : كتاب في الجدري والحصبة :

الكتاب الذي اعتمدت عليه في اعداد هذا القسم هو نسخة من كتاب محفوظ في مكتبة الأوقاف بالموصل (في القسم العائد للدكتور داود الجلبي) . وهو كتاب مطبوع بنفقة المدرسة السورية في بيروت سنة ١٨٣٢ .

جاء في مقدمة الكلية بأن الكتاب قد ضبط على النسخ المطبوعة في بلاد اوربا وعلى نسخة خط في المكتبة الدوقية في مدينة البندقية (٥١ ص٢) .

والكتاب المطبوع يقع في (٦٨) صفحة من القطع الصغير .

لقد نال الكتاب شهرة عظيمة في اوربا فترجم للاتينية وغيرها من اللغات عدة مرات الأمر الذي جعل سيغريد هونكة تقول : « فكان هذا الكتاب بحق آية من نوعه نشر في اوربا اربعين مرة ما بين ١٤٩٨ — ١٨٦٦م » (٩٥ ص٢٥) .

فصول الكتاب

يحتوي الكتاب على مقدمة قصيرة تكلم فيها الرازي عن سبب تأليفه هذا الكتاب من حيث انه لم يجد لمن سبقه من الأطباء كتابا كافياً في هذا الموضع ، ثم ذكر مايحتويــه الكتاب بايجاز .

الفصل الأول : — في سبب الجدري ولم صار لايكاد يفلت الا الواحد من الناس ومقدار ماذكر جالينوس في الجدري .

الفصل الثاني : — انتقل الرازي في هذا الفصل الى ذكر الأبدان المستعدة للجدري والأوقات التي يكثر فيها .

الفصل الثالث : — وهذا الفصل يعتبر اهم فصل في الكتاب حيث ان الرازي اعطــى الدليل القطعي فيها بأن الحصبة والجدري ليسا مرضاً واحداً ، ووصف أعراض كل مرض على حدة .

الفصل الخامس : تحدث الرازي هنا عن الأحتراس من الجدري قبل ظهوره ومنعــه من ان يكثر بعد ظهوره .

الفصل السادس : فيما يسرع بايجاز ابراز الجدري والحصبة

الفصل السابع والثامن : خصص الرازي هذين الفصلين في العناية بالعين والحلق ثم الأذن والأنف والمفاصل في حالة ظهور علامات الجدري ومايساعد على نضج الجدري .

الفصل التاسع والعاشر : يتكلم في هذين الفصلين فيما يخفف الجدري وفيما يقلع القشور الجافة وفيما يذهب آثار الجدري من العين وسائر الجسد .

الفصل الثاني عشر والثالث عشر : في تدبير غذاء المجدور وفي تدبير طبيعة المجدور .

الفصل الرابع عشر : في هذا الفصل الأخير يتكلم الرازي عن انواع الجدري والحصبة ويسميها السليم والمهلك من الجدري والحصبة ويناقش الفرق بين السليم والمهلك .

القيمة العلمية للكتاب

١ — ان كتاب الرازي في الجدري والحصبة هو الأول من نوعه حيث صور هذين المرضين تصويراً علمياً صحيحاً وعلى شكل كتاب مستقل . يقول الرازي في مقدمته : « فأحب

هذا الرجل ان اعمل مقالة في هذا المرض متقنة اذ لم يجد في ذلك لأحد من القدماء والمحدثين الى هذه الغاية قولا مستقصياً ولا كافياً فعملت هذه المقالة رجاء الثواب » (٤٠ ص٦) .

وجاء في مقدمة الكلية السورية في الكتاب « : ان الشيخ الرازي هو اول من الف كتابا في الجدري والحصبة » (٥١ ص٢) .

٢ — ان الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرق بين مرضي الجدري والحصبة ووصف كلا على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الأطباء اليونان والعرب اذ انهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً كما يعترف بذلك الغالبية من المؤرخين من امثال جوستاف لوبون ، دوكلاس جوتري ، هونكة .. وغيرهم :

والرازي فرق بين المرضين في كتابه هذا في ثلاثة مواضع : —

(آ) في الفصل الثاني حين ذكر اوقات انتشار المرضين كلا على انفراد اذ يقول : «واما الأوقات التي يعتاد فيها الجدري ويكثر فأنا ذاكرها ان شاءالله تعالى ، فأواخر الخريف وابتداء الربيع واذا كان في الصيف امطار متواترة وهبت جنائب (رياح جنوبية) كثيرة متتابعة ، واذا كان الريح دفيناً جنوباً » . وعن اوقات انتشار الحصبة يقول : « واما اذا كان الصيف قوي الحرارة واليبس وكان الخريف حارا يابسا ، وأبطأ المطر جدا فان الحصبة تسرع الى المستعدين لها » (٥١ ص١٨) .

(ب) في الفصل الثالث يعطي الرازي الدليل القاطع بأن الحصبة والجدري ليْسا مرضاً واحداً فبعد ان تكلم عن اعراض المرضين المشتركة يقول : « غير ان القلق والغشي والكرب في الحصبة اكثر منه في الجدري ، ووجع الظهر امضى هذه بالجدري » وفي محل آخر يقول : «غير أنه لاتكون في الحصبة من وجع الظهر مايكون مع الجدري ولا في الجدري من الكرب والغشي مايكون مع الحصبة » (٥١ ص٢٠) .

(ج) وفي الفصل الرابع عشر يمضي الرازي في وصف الطفح للنوع السليم والنوع المهلك لكلا المرضين الجدري والحصبة كلا على حدة في اسلوب علمي يعتبر قمة المعرفة بالنسبة لزمانه .

وللرازي في كتاب الحاوي وصف رائع لمرضى الحصبة يؤكد قوله في رسالته عن الجدري والحصبة يقول في الحاوي : « على مارأيت بالتجربة علامات الجدري والحصبة

حمى لازمة وتفزع في النوم وحكة في الأنف ووجع بشدة التثاؤب والتمطي الدائم واشتعال اللون » (٤٦ ج١٧ ص٦) .

اما العلامات الخاصة بالحصبة عنده فهي : « ان يغلظ الصوت وتحمر العينان والوجنتان ووجود وجع في الحنجرة ، والصدر ، ويجف اللسان وتنفتح الأصداغ ، ويحمر الجسد وتدمع العينان ويهيج التهوع ، فإن رأيت هذه فستظهر الحصبة » وللتفريق بين الجدري والحصبة يقول : « وان الحصبة انما تكون حمرة في سطح الجلد وليس لها عمق البتـــة أعني نتؤ له علوّ ما ، والجدري يكون كما سيبدو مستديرا وله نتوء .. ومتى اشتبه عليك فلا تحكم الا بعد هذه الحالة بيوم او يومين فإن لم يظهر نتوء فليس يجب ان تحكم بأنه جدري ؟ »

٣ ــ يعتبر الرازي اول من بين العلاقة بين نوع الطفح ولونه في مرض الحصبة مع شدة المرض عنــدما قال «واسلم الحصبة التي ليست شديدة الحمرة واما الكمدة فردية واما الأخضر والبنفسجي منها فمهلكـان » (٧٢٤٠) .ان ماذكره عن الأخضر والبنفسجي قد يدعو الى الأستغراب لأول وهلة الا أننا نعتقد بأنه ربما قصد بذلك الأحتقان الشديد الذي يصحب الطفح في الجلد عندما تكون الأصابة شديدة والذي تبقى آثاره بعد الشفاء أحيانا بألوان مميزة قريبة من الأخضر والبنفسجي .

٤ ــ من ملاحظاته المهمة في الفصل الأول ان الهواء العفن يساعد على انتشار المرض .

٥ ــ وله رأي جليل خالف به من قبله من الأطباء وهو استعمال الماء البارد لتخفيف الحرارة الشديدة والتي قد تؤدي كثرتها بحياة المصاب فيقول : « ويسقون الماء البارد بالثلج وماء العيون الصادقة البرد » (٥١ ص٢٣) . وفي موضع آخر يقول : « ومن اقوى مايطفيء به عنه ان نسقيه من الماء المبرد بالثلج غاية التبريد » « وليغتسلوا بالماء البارد في انصاف النهار (٥١ ص٢٤) :

٦ ــ تمتاز اراء الرازي في هذه الرسالة في كونها بريئة من المعتقدات السابقة والخاطئة وبعيدة عن النظريات المعقدة ، كما وينم هذا المؤلف عن حرص الرازي على الدقة في وصف العلاج بما فيه للطعام الملائم وعن اعتقاده ان للطعام اثراً كبيراً في الأسقام والأبراء

٧ – الكتاب يعطينا دليلا قاطعا على ان الرازي كغيره من كثير من الأطباء العرب لم يكن علمه ومؤلفاته ، مقتصرة على النقل عن من قبله . بل انه مبدع مجدد بجانب كونه ناقلا امينا فقد استطاع في كتابه هذا ان يتحرر من افكار السابقين في الخلط بين مرض الحصبة والجدري ، ولم يكتف بمجاهرته بأنهما ليسا مرضاً واحدا فحسب بل تمكن بجرأة العالم العارف والطبيب الحاذق ان يعلن آراءه الجديدة والمبينة على البحث والتجربة في اسلوب العلاج فجاءت افكاره صائبة وتقديراته صحيحة من الناحيتين العلمية والطبية كما ذكرنا .

أحمد بن محمد الطبري

هو أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري . لم يذكر لنا المؤرخون ترجمة وافية بأبي الحسن فاكتفى ابن ابي اصيبعة (٥ج ١ص ٣٢) بالقول انه كان طبيب الأمير ركن الدولة ، ولم يأت القفطي على ذكره ولكن احد المستشرقين (بروكلمن م١ص٣٧٥) يذكر أنه عاش بين سنة ٣٢٠هـ وسنة ٣٦٦هـ .

وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة (راجع تاريخ دولة الأسلام فصل ١٨٢) واهمية هذا المؤلف تظهر لمن طالع كناشة (*)الذي سماه «المعالجات البقراطية» الذي قال فيه ابن ابي اصيبعة أنه من اجل الكتب وأنفعها ، ونحن نقر ابن ابي اصيبعة على هذا (**) .

أهمية المخطوط

ان القسم الخاص بطب الأطفال من كتاب الطبري «المعالجات البقراطية» له مكان خاص في طب الأطفال من حيث كونه :

١ – أحد أقدم ماوصل الينا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الموضوع باللغة العربية ، كما ان الطبري على الرغم من مجيئه بعد الرازي الا اننا لانجد له أية إشارة لكتابات الرازي في هذا الباب ولانعلم ان كان ذلك تجاهلا له أم انه لم يطلع عليها واذا صح الأحتمال الأخير فإنه يزيد الكتاب قيمة واصالة.

(*) الكناش: هو لفظة يونانية معناها المعالجات من الرأس وإلى القدم وجمعه الكناشات. (المخطوط – حاشية ص١)

(**) مقتطف من كتاب مآثر العرب في العلوم الطبية للدكتور سامي حداد – بيروت ١٩٣٦ ص٣٨.

٢ ــ يؤكد المؤلف في مقدمته بأنه لم يتكلم احد قبله في علاج الأطفال كلاماً شافياً بل اعتمد في ذلك على ان الطب عام وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم في باب المعالجة ويمضي الطبري في تفنيد كلام البعض الاخر من كون معالجة الأطفال من مقام الجزئيات من الأمراض وعدواهم عن معالجة الأطفال الى معالجة المرضعات حتى يخلص الى حقيقة علمية نسجلها له بفخر تلك وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الأكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على مااعتقد يعتبره طفرة عظيمة في حقل معالجة الأطفال لم يسبقه اليها أحد .

أبواب الكتاب :

جاء في بداية الفهرس من الكناش المعروف بالمالجات البقراطية في علل الأطفال وتدبيرهم حين يولدون،واداب المرضعة وتدبيرها،وهي ستون باباً على هذه الترتيبات المذكورة .

الباب الأول: في الجرب المعروف بالحرقة ،وفيه كلام عن أنواع الأمراض الجلدية التي تصيب رأس الطفل،والأمر المهم في هذا الباب قوله: «اعلم ان الجرب انواعه كثيرة منها رطب يسيل مدة وصديداً وأكثر حدوده للرأس...شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور»(٦٤ص٥) .حيث يعتبره بعض مؤرخي الطب بذلك مكتشفاً لحشرة الجرب اذ لم يسبقه أحد من الأطباء في الإشارة الى ذلك ، الا ان البعض الاخر ونحن منهم يعتقد بأن ذلك ليس حشرة الجرب وانما بيوض القمل (الصئبان) لاستحالة رؤية حشرة الجرب بالعين المجردة .

وفي الأبواب الخمسة الأخرى يذكر أمراضاً جلدية أخرى تصيب رأس الطفل وانفه واذنه ويذكر فيها العلاجات اللازمة لكل منها.

اما الباب السابع فقد أفرده للتحدث عن الصرع ، يقول من جملة ما يقول: « فيتولد من بخارات غليظة رطوبية فيملأ بطون الدماغ من الطفل ويسد فلا يجري القوة النفسانية في مجاريها فيهتز لذلك الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع ومثل هذه الحالة اذا كانت بالكبار كان صرعاً. ويعسر تحلله في الكبار بل لايطمع في برئه اذا كان فيمن على

سنه وفي الأطفال يزول بأهون سعي بسرعة ميلان طبايعهم الى مايميلها اليه وسهولة قبولها (٦٤ص٩). ثم يمضي في تعليل اسباب هذا المرض وعلاجه وعرض اراء الأطباء فـي ذلك .

ويتحدث في الباب الثامن عن العلة التي تعرف بالاصطكاك اي الكزاز الذي يحدث في الأطفال وقد مر ذكر أقواله .

ونجد للطبري في الباب التاسع التفاتة جميلة ، حيث يقسم الأسترخاء في الأطفـال الى نوعين : مكتسب ووراثي ،ويؤكد عدم امكان معالجة الأسترخاء الوراثي.

وفي الباب الثالث عشر والرابع عشر يتناول المؤلف أمراض الأنف ويصف الجراحة في معالجة الزوائد اللحمية في الأنف وفي حالة عدم استجابتها للعلاج.

أما الأبواب السبعة التي تلي ذلك فقد خصصها لأمراض العين ومعالجاتها .

وفي الباب الثاني والعشرين يختصر الطبري أسباب البكاء في الأطفال في هذه الكلمات القليلة والتي تعني معنى كبيراً فيقول «اذا بكى الطفل دائماً فهو لأحد أربعةاسباب امالوجع في بعض أعضائه أو لأحتباس اللبن في معدته اولشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه» (٦٤ص٢٣). وفي معالجة ذلك يوصي بعدم استعمال المخدرات للطفل بل يعالج السبب المباشر.

أما أمراض الفم واللسان فيسردها في الفصول الأربعة التي تلت ذلك.

أما الأبواب الخمسة الأخرى فيناقش فيها الخرخرة في حلوق الأطفال. وانطباق المريء وتعوج رقبة الطفل والعطاس... الخ» ولم نجد فيها مايلفت النظر سوى قول في غاية الصحة : « فأما الأدوية التي تستعمل في الكبار فلا يصلح للأطفال البتة ولاتحتمله معدتهم ولاأمزجتهم (٦٤ص٢٣).

أما أمراض المعدة والأمعاء في الأطفال فقد خصص لها الأبواب التي تلت ذلك حتى الباب الأربعين ، تناول فيها أورام المعدة والسرطان والأستمراء واضطرابات الهضم والقراقر والرياح وانواع القيام (ويقصد بذلك الإسهال). وعن الأسباب التي تجعل

الطفل ممتنعاً عن شرب الحليب وعن اللوي (المغص) في الأطفال .

أما الباب الحادي والأربعون فقد تعرض فيه للسعال واسبابه وعلاجه.

وفي الباب الذي بعده يستعرض نفث الدم والرعاف واسبابه ويفرق بين الدم الذي يخرج من الصدر والأنواع الأخرى بأنه يخرج مصحوباً مع السعال، وهذه حقيقة علمية تسجل للطبري.

أما الباب الثالث والأربعون فقد تكلم فيه عن الجدري والحصبة ، ووصف الطفح لكل منها على حدة وعلاج ذلك.

والأبواب الثلاثة التالية تحدث فيها عن بعض الأمراض الجلدية التي تصيب ذكر الطفل وفخذه وجسمه.

وينتقل في الباب الثامن والأربعين لذكر الديدان الصغار والكبار.

وفي الأبواب الأخرى التي جاءت بعده يتحدث عن خروج المقعدة وتورم الخصية وانواع ذلك ، حيث يفرق بين ورم الخصية نفسها والفتق وكذلك يتحدث عن رجوع القضيب والتهابه. وعند التحدث عن أمراض الجهاز البولي يتكلم عن بول الرمل والحصى والدم وخروج شيء شبيه بالمني أواللبن.

وفي البابالسادس والسابع والخمسين يبحث في تورم الأربتين (طرفي الات التناسل) ووجع المفاصل .

ويتكلم عن أنواع الحميات في باب خاص وعلى طريقة سابقيه من المؤلفين العرب.

وفي الباب التاسع والخمسين يتناول اداب للمرضعة وتدبيرها .

ويختم كتابه فيالباب الستين والذي أفرده للتحدث عن كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الولادة وكيفية تغذيته وتربيته حتى تنبت أضراسه.

ابن الجزار القيرواني

هو ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد المعروف بأبن الجزار ، وهو من عائلة وطيدة الصلة بالطب. ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه «ورقات» أنه ولد في حدود سنة (٢٨٥هـ / ٨٩٥م) . وكانت وفاته عام ٣٦٩هـ أو ٣٧٧هـ . (٨٥ص٢٨–٣٢) .

مؤلفاته في طب الأطفال :

يظهر من العرض الشامل لاثار ابن الجزار الذي قام به الأستاذ الحبيب الهيلة أنه لم يؤلف في طب الأطفال سوى كتاب واحد هو كتاب: « سياسة الصبيان وتدبيرهم » .

قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور محمد الحبيب الهيلة ونشر سنة ١٩٦٨م. ان اصل الكتاب مخطوط عثر عليه المحقق الدكتور الهيلة ضمن مجموع طبي برقم (١٥٧) في مكتبة مارشيانا بالبندقية وهو يقع في٢٥ ورقة بخط شرقي وبكل صفحة١٧ سطراً وهو كثير الأخطاء ناسخه مجهول الأسم لم يذكر تأريخ نسخه للكتاب .

بالمخطوط نقص يشمل نهاية الباب العشرين وكامل الباب الواحد والعشرين وبداية الباب الثاني والعشرين (٨٥ص٥١) .

القيمة العلمية للكتاب :

يقول ابن الجزار في خطبته : « ان معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر ، جليل القدر ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضين من ذلك كتاباً كاملا شافياً بل رأيت مايحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى واماكن مختلفة (٨٥ ص٥٧) .

وأكثر محتويات الكتاب تناولها ابن سينا في كتاب القانون في الجزء الأول وفي قسم (التعليم الأول) ، وعرض هذه الموضوعات في نظام واسلوب مشابه لنظام واسلوب أبن الجزار ، يقول الدكتور الهيلة في ذلك: « ولايستبعد ان يكون ابن سينا قد أطلع على الكتاب ونقل عنه ، فنحن نعثر أحياناً على بعض الجمل التي هي نقل حرفي لما في سياسة الصبيان» (٨٥ص٥٤) .

وفي نظرنا وكما سبق ان ذكرنا أن كتاب ابن الجزار هو أكمل تأليف مطبوع في طب الأطفال لحين ظهور كتاب البلدي الذي جاء أكثر إحاطة وازخر علماً منه.

محتويات الكتاب :

يحتوي الكتاب على أثنين وعشرين باباً كما ذكرنا:

الباب الأول: في تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم: ويشمل العناية بسرة الطفل

حديث الولادة وفتحاته، وكيفية حفظ صحته عند الولادة، وغذاء الرضيع وكيفية غسله وتنظيفة، واوصاف مضجعة واوقات غذائه ،وكيفية تدريبه على الجلوس والمشي وكيفية العناية به عند البكاء .وهناك تشابه ظاهر بين اقواله هنا واقوال ابن سينا :

ومما يجدر ذكره هنا اشارة ابن الجزار على مااعتقد لأول مرة الى حقيقة علمية في كيفية بلع الطفل وهو مانسميه البلع الأنعكاسي Suking Reflex (٨٥ص٦١–٦٨)

واما عن كيفية تنظيف وغسل واستحمام الطفل واوقاته فقد كتب ابن الجزار كلاماً جميلا وكأنه يتكلم بلسان اطباء الأطفال اليوم، وقد نقل ابن سينا عنه أكثرأقواله في هذا الباب(٦٧ص٦٣–٦٨) فمن ذلك تأكيده عــلى ضرورة تعويد الطفل الأغذية الأعتيادية بالتدريج والا يكون الأنتقال فجأة وتأكيده على فائدة التنغيم لتسكين طباع الطفل عنـد البكاء ومساعدته للنوم .

الباب الثاني : في صفة المرضعة التي تحتاج لرضاع الصبيان .

الباب الثالث : في صفة لبن الظئر المحمود منه والمذموم وكيف ينبغي ان يكون.

الباب الرابع : في الأطعمة والأشربة التي تدبربها المرضعة ليكون لبنها صحيحاً.

الباب الخامس: في سبب قلة وتغير لونه.

الباب السادس: في تدبير المرضعة القليلة اللبن واصلاحه.

الباب السابع : في الأعراض التي تعرض للصبيان في كل درجة من اسنانهم. يعدد ابن الجزار الأمراض التي تصيب الأطفال حسب أعمارهم ويسلك في ذلك سبيل ابقراط في كتاب الفصول، ثم ينتقل الى الامراض التي تعرض للصبيان ويتناول فيها موضوع مداواتها حسب ترتيب اعضاء الجسم .

الباب الثامن : في السعفة والرية المتولدة في رؤوس الصبيان. يتحدث هنا عن بعض الأمراض الجلدية التي تصيب الأطفال .

الباب التاسع : في الداء المسمى الداوس العارض للصبيان وعلاجه .ويتحدث هنا عن كبر الرأس وصغره فمن ذلك يقول : « فأما صغر الرأس خلقة وتركيباً فذلك ليس فيه حيلة ولا الى علاجه سبيل» (٨٥ص٩٣). كما يتحدث في هذا الباب عن ورم اليافوخ ، وانتفاخ البطن، ودواء العطاس.

الباب العاشر : في داء الصرع للصبيان ويسمى ابليمبسيا ، لقد سبق أن ذكرنا تقسيمه اللطيف لأسباب الصرع ولانرى حاجة لتكراره.

الباب الحادي عشر : في السهر المعارض للصبيان تعليله لأسباب البكاء سبق وان ذكرت وهو تعليق صائب .

الباب الثاني عشر : الرطوبة السائلة من آذان الصبيان .

الباب الثالث عشر : في زوال الحدقة وهو الحول العارض للصبيان. يتكلم هنا ابن الجزار عن انواع الحول في الأطفال ومعالجة ذلك .

الباب الرابع عشر : في الوجع الحادث للصبيان في حين خروج الأسنان من اقواله هنا : فتنبت الأسنان والصبي من سبعة أشهر ومنهم أكثر من ذلك ومنهم من يبدأ إنبات أسنانهم من اسفل ..فأما الأضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الأنياب » (٨٥ ص ١٠١١).

الباب الخامس عشر : في القروح العارضة في أفواه الصبيان (القلاع).

الباب السادس عشر : في السعال العارض للصبيان وعلاجه. من ملاحظاته هنا وجوب كون العلاجات التي تعطى للأطفال عذبة الطعم. وتصنيفه أدوية السعال الى نوع سهل ونوع للسعال المصحوب مع الرطوبة وآخر لمن به صريرة في النفس جديرة بالذكر.

الباب السابع عشر : في القيء والإختلاف العارض للصبيان .

الباب الثامن عشر : في الحيات والدود التي تتولد في امعاء للصبيان .يتكلم هنا بإسهاب عن انواع الديدان التي تصيب الأطفال ومواضع عيشها في الأمعاء .

الباب التاسع عشر : في نتوء السرة العارض للصبيان .

الباب العشرون : في الحصى المتولد في مثانات الصبيان. وقد مر ذكر بعض ارائه المهمة في هذا الباب .

الباب الواحد والعشرون : ناقص من المخطوط ويتوقع المحقق أن يكون ابن الجزار قد تناول فيه مرض (شلل الأطفال) (٨٥ص٥٢).

الباب الثاني والعشرون : وهو الباب الأخير ، تحدث فيه ابن الجزار عن طباع الصبيان وتربيتهم وقد فقد أوله من المخطوط كما ذكر المحقق . واراؤه هنا تعتبر اساساً في تربية الطفل حتى اليوم ، وسوف نأتي على ذكرها في الفصل القادم .

ويختم ابن الجزار كتابه بهذا القول: « ولولا حب الأختصار وترك الإكثار لأتينا الطريق الى نهايته ولكنه فيما ذكرنا كفاية لمن فهم عنا المعنى والمراد في كلامنا. وقد أتممنا كتابنا وبلغنا فيه مرادنا والله المستعان لارب غيره» (٨٥ص١٣٨) .

وفي نهاية الكتاب وضع المحقق الأستاذ الدكتور محمد حبيب الهيلة معجماً للألفاظ الفنية الواردة في النص وجدولا للأوزان مع معادلاتها بالأوزان المعروفة .

عريب بن سعد الكاتب القرطبي

لانعرف بالتحقيق تأريخ مولده ولا نعلم تأريخ وفاته وهناك من يقول بأن وفاته كانت سنة ٣٦٩هـ= ٩٨٠م(٧٢) عاش مدة في جوار الأمير الأموي الحكم الثاني المعروف بالمستنصر بالله الذي ملك قرطبة سنة ٣٥٠ هـ ٣٦٦هـ. لم يذكر المؤرخون له مؤلفاً في طب الأطفال سوى كتابه الذي وضعه بإشارة من المستنصر سنة ٣٥٣هـ(وانتهى منه قبل وفاته بنحو ٥ سنوات) « خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين» الذي يعتبر من أشهر مؤلفاته واعظمها شأناً . كما يعتبر من المؤلفات الجيدة في علم الولادة أما ما احتواه من علم طب الأطفال فإننا نعتبره من الأبحاث النفيسة فقد ضم علماً غزيراً، مما يدل على عمق في التفكير واصالة في صناعة الطب التي كانت ولاتزال صعبة المسالك والدروب بالنسبة لرواد المعرفة. ولدى تصفح هذا السفر الثمين نجده قد نسق تنسيقاً جميلا وبوب تبويباً كاملا من الناحية الأكاديمية ليسهل على طالب الطب الإحاطة به ودراسته بالنسبة لتلك الحقيقة من التاريخ الحضاري وعلى مر العصور والأجيال .

ومما تستوجب الأمانة العلمية ذكره هو ان الكتاب بجانب هذه المزايا القيمة أحتوى على بعض المثالب والأخطاء العلمية ، لانقره عليها اليوم قياساً لما نعرفه في علم الطب الحديث.

أبواب الكتاب :

الكتاب الذي اعتمدناه في اعداد هذا القسم هو أحد منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر طبع سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م مع ترجمته الفرنسية. وقد اعتنى بتصحيحه وترجمته والتعليق عليه الأستاذ نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاييه الأستاذ بكلية الطب بالجزائر آنذاك .

يحتوي الكتاب على خمسة عشر باباً وهو كتاب يبحث في علم الولادة وطب الأطفال على السواء كما جرت به عادة الأوائل من الأطباء لأعتبارهم الواحد متمماً للاخر والان لنمضي في سرد محتويات الكتاب حيث انها تعتبر خلاصة اراء عريب في علم الأطفال.

يبحث المؤلف في الأبواب الخمسة الأولى في علم الأجنة من ابتداء خلق الإنسان الى غاية كماله وعن كيفية تكون المني وأسباب العقم وعن الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى بأساوب لطيف وكلام موزون من الناحية العلمية.

وأفرد الباب السادس للتحدث عن مدة الحمل وحدوده وعن المولودين لسبعة أشهر ، سبق ذكر مقتطفات لأقواله في فصل سابق.

وأما الأبواب الثلاثة التي اعقبت ذلك فنجده يتكلم فيها عن كيفية العناية بالحامل ومعالجتها وعن اسباب الإسقاط وعلاجه وكيفية الولادة وتسهيل ذلك وكيفية العناية بالمولود الجديد ،وكيفية استحمامه،وتدبير النفساء وعن استخراج المشيمة ، وعن تكون اللبن وارضاع المولود ، وحفظ صحة المرضع.

أما القسم المتبقي من الكتاب فمخصصة لطب الأطفال :

تكلم في خمسة أبواب منها عن اسنان المولودين (أجزاء حياتهم) حيث قسمها على طريقة من سبقوه الى اربعة أجزاء حسب اعمارهم وتكلم في كل جزء من الأجزاء عن كيفية نمو الطفل أعضائه وحواسه وحركاته ،والأمراض التي تصيبه في كل دور ، وكيفية علاج ذلك بطريقة تدل على دقة ملاحظته وطول باعه في حقل طب الأطفال بالنسبة لتلك الفترة الحضارية. وسوف اذكر فيما يلي بإيجاز ابرز النقاط التي ذكرها في كل جزء خوفاً من الإطالة .

١ ـ **الجزء الأول** : وهو الجزء من الولادة الى ان يبلغ أربعين يوماً.

يتكلم في هذا الجزء عن الأمراض التي قد تصيب الطفل في هذا الدور ، ومن جملة ذلك يذكر القلاع (او التهاب الفم). القيء ،السعال ، السهر ، الفزع ، ورم السرة ، والرطوبة السائلة من الأذان ، السعفة والربة ،الرؤاس (كبر الرأس) ، صغر الرأس.

وفي معالجة هذه الأمراض يذكر وصفات طبية قسماً من ابتكاره وقسما آخر منقولا عن غيره مع ذكر أسم صاحب الوصفة بأمانة علمية .

٢ ـ **الجزء الثاني** : وهو الجزء من أربعين يوماً الى وقت نبات الأضراس .

وحسب رأيه ان نبات الأضراس يكون بين ٥ــ١٠ أشهر. والأمراض التي أدخلها في هذا الجزء مصيص اللثة (أي حكة والم في موضع نبات الأسنان). ويسجل عريب هنا كغيره من الأطباء العرب تغير حال الطفل عند نبات الأسنان (وهو مانسميه اعراض التسنين) فيقول بأنه: يحدث لديه قيء واسهال وحميات ، الا ان العلم الحديث يستوجب حالياً نفي سبب هذه الأمراض بالفحص الطبي ء فإذا مافعلنا ذلك عزوناها للتسنين ، علماً بأن غالبية الأطفال لاتحدث لديهم أية أعراض أثناء التسنين .

ويتحدث هنا أيضاً عن علة الصبيان (اي الأختلاجات) وفي نهاية هذا الجزء يتكلم عن الحول، أنواعه وعلاجه .

٣ ـ **الجزء الثالث:** وهو الجزء من نبات أضراسهم الى وقت أثغارهم.

يتكلم في هذا الجزء عن مواعيد كلام الطفل ومشيه وفطامه وكيفية العناية به خلال هذه الفترة وتدريبه على الكلام والمشي والتدرج في الفطام ...الخ كل ذلك بطريقة علمية صحيحة. واما الأمراض التي ذكرها في هذا الجزء ورم الحلق اذ يقول: « وقد يعرض للطفل في هذا الحد من السنة الى وقت إثغاره ورم الحلق، وذلك لأن الصبيان اذا نطقوا وقوي كلامهم وكثرت حركة السنتهم بالنطق سخنت اللوزتان في أصل اللسان ، ويصفيان الرطوبة من فضل الدم»، في الجزء الأخير نجد إشارة من عريب الى وظيفة اللوزتين. ومن ملاحظاته في هذا الجزء الوصف الدقيق والجميل لمرض الربو حيث جاء وصفه مطابقاً لما يذكره أطباء اليوم .

و كان محقاً الى حد ما حين تكلم عن الحصاة ، كيفية حدوثها والظروف الملائمة لتكونها حيث قال : «فأما الحصى المتولد في مثانة الصبي فإنه مرض خاص بهم ولاسيما من كان في الدرجة الثالثة من حدود أسنانهم، وذلك لأنه يتجاوز الطريق القصوى في المطعم من بعد فطامه بالرضاع ،فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة وينحدر من أغلظها شيء في البول والمثانة وتهيجها الحرارة التي هي في اصحاب هذا السن كثيرة فتصير مادة لتولد الحصى وذلك لأن عنق مثانة الصبي ضيقة فلا تنفذ فيها المادة الغليظة فتتحجر تلك المواد » .

ثم يمضي في سرد وصفات لعلاج الحصى وعسر التبول والبول في الفراش، وعن الدود والحيات ومن أقواله الصحيحة في الدود «فيتولد الدود الدقيق في أسفل الأمعاء وتتولد الحيات في اعلى الأمعاء...... واما الدود العريض الذي يشبه حب القرع فقليل مايتولد في الصبيان» وفي نهاية الجزء يتحدث عن بعض الأمراض الجلدية وعلاجاتها والتي لاتخلو من ملاحظات صائبة ايضاً .

٤ ــ **الجزء الرابع :** وهو الجزء من أثغارهم الى وقت اشعارهم وقرب احتلامهم .

في بداية هذا الجزء يقول : « قد يعرض للصبيان في هذا الجزء الرابع من اسنانهم كثير من العلل المتقدمة في الأسنان الأول». ويتكلم في هذا الجزء عن الجدري والحصبة الا انه لايفرق بينهما و كذلك عن الرمد وحدود ختن الصبي و كيفيته.

والباب الخامس اي الباب الأخير من الكتاب يتكلم فيه عن احتلام الغلمان وحيض الجواري ومواقيت ذلك وما يحدث معه من التغيرات لدى البنت والوالد من الطباع والشكل. و كذلك يتكلم عن تجزئة الأسنان بالنسبة لحياة الإنسان بصورة عامة .

آراء عريب في تربية الأطفال :

يقول عريب : « وفي الفصل الرابع من اسنان الطفل يضمون الى التأديب ويحملون على تعلم شرائع الدين ويؤمرون بالصلاة ،ويوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب. ويؤمر عند ذلك بدفع الصبي الى معلم حاذق رقيق يداريه بالتخويف مرة وباللين أخرى

لأن الصبي يربو جسمه وتحسن تربيته وخصبه مع السرور ويتحمل بدنه بالذبول مع الخوف وتعب النفس وربما تبلد عند ذكر التخويف والحذر.

فإذا بلغ الغلام اثنتي عشرة سنة علم الحساب والمساحة وسائر ذلك من علوم الفلسفة والطب فإن ذهنه يقوى على ذلك في هذا السن ويلقن مايعلم به هذا السن آخر أسنان الأطفال ثم تأخذهم بعد ذلك أحكام الرجال» (٨٢ص٥٩).

علي بن العباس المجوّسي

مسلم، من سكان الأهواز، من ابناء القرن العاشر الميلادي والكتاب الملكي المعروف بكامل الصناعة الطبية من أشهر كتبه ويعتبره البعض من أحسن الكتب الطبية باللغة العربية حتى ظهور قانون ابن سينا (٤٠ص١٣٧).

وقد خصص علي بن العباس في الجزء الثاني من كتابه هذا ثلاثة أبواب لطب الأطفال (٨٩ص٥٢–٥٨).

الباب العشرون: في تدبير أبدان الأطفال: ويبحث فيه كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وبعض الأمراض التي يصاب بها ومعالجتها.

الباب الحادي والعشرون: في تدبير الظئر: ويبحث فيه عن شروط المرضعة وكيفية العناية بصحة المرضعة.

الباب الثاني والعشرون: في تدبير الصبيان الذين قد تجاوزوا حد الرضاع: ويبحث فيه كيفية العناية بالطفل وتربيته حتى سن أثنتي عشرة سنة.

وهو في كل ماكتبه عن طب الأطفال يضاهي ماكتبه ابن سينا ان لم يكن أجود منه.

إخوان الصفا

من أشهر الجماعات السرية الهدامة على رأي البعض التي نشطت في مطلع القرن الرابع الهجري، زمن عضد الدولة، وضعت المؤلفات العلمية والفلسفية والدينية على شكل رسائل وكان الظاهر من غاياتهم الإصلاح الأجتماعي الى جانب تبسيط ونشر الأفكار العلمية الحرة:

الأمور المتعلقة بالطفل والأم الحامل نجدها ضمن رسالتين من رسائلهم:

اولاً : الرسالة الخامسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا « في مسقط النطفة» .

تبحث هذه الرسالة في خمسة الفصول الأولى منها في امور الحمل وعلم الأجنة ، حيث تبدأ الرسالة بالتحدث عن مدة الحمل ثم تطور نمو الجنين في الرحم و التغيرات التي تحدث فيه شهراً بعد شهر ، وعن موعد الولادة . وهم يعتقدون بأن كل ذلك مرتبط بشكل أساسي بالكواكب السيارة السبعة ، ومسار افلاكها . فالتدبير في الشهر الأول لزحل ، وفي الثاني للمشتري ، وفي الثالث للمريخ ، وفي الرابع للشمس وفي الخامس للزهرة ، وفي السادس لعطارد ، وفي السابع للقمر ، ثم يرجع التدبير في الثامن لزحل واخيراً في التاسع للمشتري ، الا انه على الرغم من ذلك فإن ذكرهم للتغيرات التي تحصل في الجنين وتطوره لاتخلو من الأفكار الصحيحة .

ثانياً : الرسالة الثانية والخمسون من رسائل اخوان الصفا :

جاء في هذه الرسالة ذكر خمسة فصول قصيرة لها علاقة بالحامل ، متى كان الحمل ، ومتى تلد ، وفي اختيار وقت الحمل ، وفي موت الجنين في بطن امه ، وحال المولود في بطن امه ، وهنا ايضاً اساس علمهم مبني على علم التنجيم وقراءة الطالع .

أحمد بن أبي الأشعث

ظهر بعد موت الرازي ، ملأ حديثه الآفاق كطبيب ومعلم وتوافدت عليه طلبة العلوم الطبية لتستفيد من محاضراته (ص٢٤٨) وكان يدرس في الموصل . كانت وفاته في سنة لاثمائة ونيفاً وستين للهجرة .

أشهر مؤلفاته في طب الأطفال ، كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء مقالتان (٣٧ ص١٠) . لم نطلع عليه .

أحمد بن محمد البلدي

هو الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن يحيى البلدي . عربي مسلم ولد في مدينة بلد (بلط) ، وهي مدينة اسكي موصل الحالية والقريبة من مدينة الموصل في العراق . من ابناء القرن الرابع الهجري . كان حيا قبل ٣٦٨هـ . من ابرز تلامذة احمد بن ابي الأشعث .

مؤلفاته

ان كتابه الوحيد الذي ذكره ابن ابي اصيبعة وغيره هو : « كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم» . اقد أكملنا تحقيقه وصدر عن وزارة الثقافة والأعلام العراقية في نهاية سنة ١٩٨٠ م .

لم نعثر على مؤلف آخر له سوى اشارة في كتابه آنف الذكر حول عزمه تأليف كتاب في الجدري والحميقاء ، ولاندري ان كان قد الفه ام لا .

محتويات الكتاب :

ان الكتاب في نظرنا يعتبر اكمل واحسن ما كتب في بابه ليس بالنسبة لزمانه فحسب بل حتى عصر النهضة العلمية الأوربية بسنوات ، لاحتوائه آراء الأطباء الذين سبقوه وعاصروه إضافة لحصيلة ضخمة من خبراته وتجاربه في كيفية العناية بالحامل وعلم الولادة ، ومعالجة الأمراض النسائية ، والعناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية ومعالجة امراضه المختلفة :

قسم الكتاب إلى ثلاث مقالات : —

المقالة الأولى : وهي تشتمل على سبعة وخمسين بابا :—

في تدبير الحبالى والأطفال والأجنة ومداواة مايعرض من الأعراض والأمراض فيهم وذكر ماينبغي ان يتقدم بذكره .

لقد سبق ان اقتطفنا الكثير من اقواله في مواضع مختلفة من الكتاب ، لانرى حاجة لتكرارها هنا بل سنوجز اهم النقاط التي لها علاقة بالأطفال في هذه المقالة والمقالات الأخرى : —

١ — تأكيده على المنهج التجريبي في تربية الطفل وتدبيره ومعالجة امراضه ، حيث بين منهجه المعتمد على الحس والقياس والتجربة والمشاهدة في مواضع مختلفة من الكتاب.

٢ — لقد افاض في التحدث عن تطور ونمو الجنين في الرحم ، وتكلم عن العلامات الدالة على قوة الجنين اثناء الحمل ، والعوامل التي تساعد على سلامته كلاماً علمياً صحيحاً

المقالة الثانية : في تربية الأطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم . وابرز ماذكره هنا كان : —

١ — العلامات التي استدل بها على حال المولود عند الولادة ان كان صحيحاً اوسقيماً في جملتها صحيحة ، ولم يضف الطب الحديث عليها سوى بض العلامات التي لاتعتبر اساسية في التشخيص .

٢ — تعاليمه في كيفية العناية بصحة الطفل من ناحية نومه واستحمامه وملابسه وفراشه وتغذيته وتطور حركاته ونموه ، كلها في غاية الدقة والصحة العلمية ولازالت تطبق حتى اليوم .

٣ — لقد اتضحت في كتاباته اهمية الصحة النفسية في تربية الطفل ، وجاء منهجسه الصائب في التربية النفسية والأخلاقية للطفل وكأنه من نتاج العصر الحاضر .

المقالة الثالثة : في الأمراض والأوجاع الحادثة بالأطفال والصبيان ومداواة كل واحد منها : من اهم ماذكره له في هذا الباب :

١ — لقد انفرد البلدي في تأكيده على اختلاف تأثير العلاجات باختلاف الاشخاص واكد على ضعف تأثير العلاج على الشخص نفسه بمرور الأيام لتعوده عليه وهي ملاحظة جديرة بالاعجاب والأكبار ، لأن العلم الحديث توصل مؤخراً الى اثبات هذه الحقيقة كما وانه في مواضع اخرى من الكتاب أكد على اختلاف تأثير العلاجات حسب اختلاف الأعمار .

٢ — ان ماكتبه عن امراض الأطفال ومعالجتها شملت اجهزة الجسم المختلفة المعروفة في زمانه ، واهم ماجاء ذكره حسب التقسيم الحديث لأجهزة الجسم كان :

١ — أمراض الجهاز الهضمي تكلم هنا عن القيء ، والمغص العارض للصبيان ، الحصر والأعتقال ، خروج المقعدة ، خروج السرة ، الدود والحيات ، القلاع :

٢ — الجهاز التنفسي : الزكام ، السعال ، الربو ، سوء التنفس .

٣ — الجهاز العصبي : التشنج ، العطاس ، السهر .

٤ — الجهاز البولي : عسر التبول ، ورم المثانة ، فيمن يبول في الفراش :

٥ ــ الأمراض المعدية : الكزاز ، الحصبة ، الجدري ، الحميقاء ، وهو يقصد بــه (الجدري الكاذب) .

وتجدر الأشارة هنا الى اربع نقاط مهمة بالنسبة لتاريخ الطب.

الأولى: ان البلدي استعرض وصفاً منفصلا لمرضي الحصبة والجدري مما يدل على انه كان عارفاً بأنهما مرضان مختلفان وليسا مرضاً واحداً ولانعلم ان كان قد اخذ ذلك عن الرازي أو غيره ام انه توصل الى ذلك بخبرته .

الثانية اكتشافة : مرض الحمقاء (الجديري) وفكرة الحصانة ضد الامراض .

في الوقت الذي يجمع فيه مؤرخوا تأريخ الطب على ان الرازي كان أول من وصف مرضي الجدري والحصبة كلا على حدة وفرقها عن بعضها في رسالته عن الجدري والحصبة يجهل او يتجاهل الكثيرون كون البلدي هو اول من وصف مرض الحميقاء (=الجديري = الجدري الكاذب = جدري الماء) وميزه عن الجدري والحصبة ودليلنا على انه اول من أكتشفه هو عدم ذكر اوصاف هذا المرض من قبل أحد من المؤلفين اليونانيين وكذلك العرب والمسلمين من الذين سبقوه من امثال الرازي، أحمد الطبري، أبن سينا ، ابن الجزار وغيرهم .

واذا كان قد جاءذكره لدى البعض، فإنما ذكروا اسمه فقط ولم يذكر أحد قبل البلدي اعراض وادوار وخصائص هذا المرض ، فمثلا ابن سينا ذكر جملة واحدة فقط عنه ، قالها عرضياً عند التحدث عن مرضي الجدري والحصبة وهي جملة « والحميقاء شيء بين الجدري والحصبة» مما يدل على عدم معرفته الكاملة بهذا المرض وعدم استطاعته اعطاء وصف مميز له عن الجدري والحصبة .

ذكر ابن ابي اصيبعة بين مؤلفات أحمد أبي الأشعث (كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء) ، الا اننا لم نستطيع معرفة محتويات هذا الكتاب ولا نعلم يقينا ان كان موجوداً ام مفقوداً. وان كان موجوداً فإننا نشك في صحة نسبته لأبن ابي الأشعث وربما يكون هو نفس الكتاب الذي كان في نية البلدي تأليفه في هذا الموضوع ، والا فلماذا. لانعثر عند البلدي في كتابه تدبير الحبالى والأطفال لأية اشارة لكتاب أو أقوال استاذه ابن ابي الأشعث بالنسبة لمرض الحميقاء.

لذا حتى ان يتهيء لنا أو لغيرنا العثور على الكتاب المنسوب لأبن ابي الأشعث ودراسته نقول بأننا نعتبر البلدي اول من فرق مرض الحميقاء عن الحصبة والجدري.

ان هذا التفريق الواضح والمهم للحميقاء عن الجدري والحصبة جاء بشكل جلي في الباب التاسع والخمسين من كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان حيث تناول العلامات المنذرة الدالة على الجدري والحصبة والحميقاء (الجديري) واعطى لكل مرض من هذه الأمراض وصفاً منفصلا وابان بأن المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحميقاء .
والصورة الكاملة لمرض الحميقاء، اعراضه ،شكل الطفح وأدواره سردها في الفقـرة. التالية، يقول البلدي /

«الحميقاء / فأما الحميقاء فأنها لاتكاد ان يتعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع وان عرض منه شيء فيسير ويكون سنة واحدة في المزاج وتخص هذه الحمـى قشعريرة يجدها العليل في جميع جسده ليست بنافض ولا برد ويوجد البدن مع هذه الحال حاراً مسربلا أحمر حمرة موردة ليست بالقانية والعينان ملامستين جاحضتين غير موردتين يدمعان وراس الأنف عظيم ليس بالأحمر والعليل كأن جسده جسد انسان قد خرج من حمام غير حار يؤثر الدثار ويهواه وما يكون منها في سن الرضاع لايتقدمه حمى وان كان كثير منحصد في البدن وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهـر لم يشبه الجدري ولاالحصبة في حال البتة وذلك ان اشكاله ترمسية أو كاكبرما يكون من العدس الجبلي وليس له رؤوس البتة وبثرتة مطوقة بحمرة وسطها أبداً ابيض فإذا نضج فتصور معه موضعه من بدن الأنسان قد رش عليه ماء مغلي فعمل في سطحه تنفط الا ان في ذلك الشكل وكثيراً ما يسود ويجف مكانه ولايسيل منه شيء فإن سال بعضه لرطوبة بدن العليل او لرطوبة موضع منه اوبقيت به العلة سال منه شيء شبيه بسماء يسيل في نفط النار وخروجه مسدد فليس يكثر في موضع واذا ظهر فقد امنت أفتة .وليس تدبير مشقة وأكبر منه بمقدار او تحقيقه ومدا واته لاغير وان مال الى بعض الأعضاء الرئيسية فالحال في تليينه يسير وأكثره الى تمام اربعة عشر سنة وما أحفظ أني رايتها بعد الأربعة عشر سنة ولاقال لي من أثق به أنه رأها بعد هذه السن أخص بها لغلبة الرطوبة

على مزاج الطفل في هذه المدة وأكثر ما يظهر بالعراق والبلدان الحارة الرطبة» (٢٠ص ٣٢٤-٣٢٥).

وعندما تناول علاج الجدري والحميقاء والحصبة نجده فصل معالجة كل مرض بشكل يختلف عن الأخر تأكيداً منه على انها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً يقول / «فأما الحميقة فلست بمحتاج فيها الى أخراج الدم اذا لم تتقدمها حمى فأفهم هذا. واسقي العليل أقراص الكافور واقراص الطباشير بماء الرمان الحامض »(٢٠ص ٣٢٥).

ولسوء الطالع بقي أكتشاف البلدي هـذا كشخصه وكتابه «تدبير الحبالى والأطفـال والصبيان» طي النسيان حيث لم ينتشر ذكره بشكل ملموس كبقية أعلام الطب من امثال الرازي، ابن سينا ، الزهراوي، ابن النفيس .

والأمر المحير حقاً هو عدم وجود اي ذكر لمرض الحميقاء لدى المتأخرين من الأطباء العرب الذين جاؤا بعده من أمثال مهذب الدين ابن هبل البغدادي (توفي ٦١٠هـ) وابن القف (١٢٣٢-١٢٨٦م) وابن الأزرق (المتوفي بعد ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) والأنطاكي (من اطبـاء القرن العاشر الهجري) ترى هل انهم كانوا يجهلون هذا المرض أم انهم لم يطلعوا على كتاب البلدي؟ واذا اطلعوا عليه فلماذا لم يذكروا عنه وعن مرض الحميقاء شيئاً؟

أسئلة كثيرة لاتعرف الأجابة عنها وكل ما نعرفه هو عدم وجود ذكر لمرض جـدري الماء في المصادر الطبية العربية منها والأجنبية لأكثر من خمسة قرون تلت مجيء البلدي.

هذه الحقيقة دفعت البعض الى الأعتقاد بأنه لم يكن لمساهمات البلدي اي تأثير في الطب العربي وهذا ما لايمكن قبوله وتصديقه فبالأضافة لما ذكرناه بالنسبة لمرض الجـــديـري فأن للبلدي فضل أخر.

ثالثاً: بالنسبة لعلم الحصانة حيث يمكن اعتباره اول من كانت لديه فكرة الحصانـة ضد الأمراض وليس ابن رشد كما هو معروف ، فقد سبقه البلدي في ذلك حينما أكد ان المصاب بالجدري اوالحميقاء اوالحصبة مرة لايصاب بها مرة أخرى يقول« فالغشي أخص العلامات بالجدري فإذا رايت ذلك فأعلم انه بثور بالعليل حصبة ولاسيما اذ كان العليل لم يحصب وبخاصة اذا كان قد جدر وظهرت به الحميقاء» (٢٠ص ٣٢٤) .

رابعاً : ونجد للبلدي ايضاً في هذا الباب التفاتة لها دلالة على احاطة عميقة بالنسبة للتوزيع الجغرافي للأمراض حيث يؤكد كما ذكرنا سابقاً على ان مرض الحميقاء (الجديري) ينتشر في المناطق الحارة وفي العراق .

٦ — الأمراض الجلدية : السعفة ، القروح ، البثور ، القوباء ، السحج والرطوبة ، الثواليل .

٧ — أمراض الأنف والأذن والحنجرة : رطوبة الأذن ، قروح الأذن ، اللحم النابت في الأذن ، الدود في الأذن ، الرعاف ، أورام الحلق .

٨ — أمراض العين : الرمد ، بياض العين ، الحول .

٩ — جراحة الأطفال : فتح الخراجات ، شق المثانة لإخراج الحصاة ، شد الثواليل لإخراج الأجسام الغريبة في البلعوم .

المدائني

هو ابو الحسن علي ابن محمد بن شعيب المدائني ، عاش في القرن الرابع الهجري ولا نعرف بالتحديد تأريخ ولادته او وفاته . الف كتاباً صغيراً في علم الخواص (حقق ونشر مؤخراً) يحتوي على النقولات عن السابقين تخص الأطفال اقوال ارسطاليس ، جالينوس ، ابن ماسويه ، الرازي وغيرهم . ليس فيه جديد أو قول يستحق الذكر

ابو سهل عيسى بن يحيى الطبيب المسيحي الجرجاني (المتوفي سنة ٤٠١هـ ١٠١٠م)

اشهر كتبه هو (كتاب المائة في الطب) ، هذا الكتاب الذي لازال مخطوطاً خصص الجرجاني الكتاب السابع والخمسين منه للتحدث عن تدبير الصحة في جميع الاسنان (الأعمار) .

جاء في هذا الجزء من الكتاب أموراً مهمة لها علاقة بالأطفال شملت تدبير المولود حديث الولادة وتغذيته واستحمامه والعناية به في منامه ورياضته ، وكيفية تغذية الرضيع ،

واختيار المرضعة وصفاتها ، وتعويده على الأغذية وفطامه . بعدها تكلم عن تدبير (غذاؤه ، رياضته واستحمامه) في السنين التالية حتى ينهي كما يقول (السابوع الأول من عمره) . ثم يتكلم عن العناية في السنين السبعة الثانية (السابوع الثاني) ايضاً من ناحية غذائه ورياضته واستحمامه حتى يصلب عوده .

الزهراوي

هو أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي ،نسبة الى الزهراء وهي مدينة قرب قرطبة كان مولده سنة ٩٣٦م حيث عاش ومارس الطب وتوفي سنة ١٠١٣ م. هو اعظم مسن نبغ في الجراحة بين العرب آراؤه القيمة في جراحة الأطفال اعدها في المقالة الثلاثون في كتابه المشهور : « التصريف لمن عجز عن التأليف » وقد أتينا على ذكر أهمها في قسم جراحة الأطفال . وفي المقالة الثانية يتكلم عن خروج الجنيسن على الشكل الطبيعي وتدبير خروج الطفل والرضاعة وظهور الأسنان والفطام ونموه ليصبير صبياً.

ابن مندويه الأصفهاني

هو أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني ، المتوفي سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩ م طبيب وأديب وشاعر له رسالة في أوجاع الأطفال .

هناك نسخة خطيه منها في مكتبة المتحف العراقي(*) ضمن مجموعة مكتوبة سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦م.

الرسالة تقع في خمس صفحات يتحدث فيها عن تنفط الجلد. السعال ، نبات الأسنان الإسهال ،الأعتقال ، الكزاز ، بثور اللثة ، الشرى، انسلاخ أصل الفخذ ، الرطوبة السائلة من الأذن، ورم اليافوخ، ضرر النفس ، انتفاخ العين ،البياض ، الغطاش، قطع السرة . وتربية الطفل . والرسالة لاجديد فيها يذكر . وكل ماجاء فيها تكرار لما قاله الأخرون السابقون من الأطباء العرب .

(*) حققت سنة ١٩٨٢ من قبل الأستاذ يوسف ذنون وفي سنة ١٩٨٨ من قبل الدكتور :إزد الثامري

ابن سينا

هو ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، رائد من رواد الفكر الإنساني. ولد في بخارى ٣٧١هـ/ ٩٨٠الف ٢٧٦ كتاباً. مايخص الأطفال منها :

١ ـ لقد خصص ابن سينا في كتابه «القانون» في الطب في الجزء الأول قسماً لتربية الأطفال وامراضهم وسماه «التعليم الأول في التربية» وهو أربعة ، فصول وفي الجزء الثالث من القانون ثبت ابن سينا فصلا في الحصبة والجدري وآخر في الحميات. وكذلك فصلا في تشنج الأطفال ولإعطاء صورة مصغرة متكاملة عن آراء ابن سينا في طب الأطفال رأيت ان استعراض الموضوع حسب تقسيمه هو للموضوع :

الفصل الأول : في تدبير المولود كما يولد الى ان ينهض : في هذا الفصل نجد آراءه وآراء من سبقوه في الأمور الواجب اتباعها والأعتناءات الواجب اتخاذها في رعاية المولود حديث الولادة .

الفصل الثاني : وبعد شرحه المتكامل لكيفية تهيئة الطفل الوليد ، ينتقل هنا للكلام عن كيفية الرضاعة وعن اللبن (الحليب) ومزاجه وقيمته الغذائية. ثم يسرد تعاليمه وشروطه بالنسبة للمرضعة بتعبير صحيح واسلوب سلس بليغ لايقل من الناحية العلمية عما يكتبه اي كاتب حديث في طب الأطفال ، ثم بعد ذلك ينتقل الى الحديث عن كيفية الفطام واوقاته.

الفصل الثالث : عقد ابن سينا هذا الفصل للتحدث عن الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها في اسلوبه المتسم بالبساطة والسهولة ، فسرده للأمراض وعرضه للعلاجات ينساب في سلاسة خلال الفصل كله ويمكن ايجاز ذلك فيما يلي :

١ ـ أمراض الأنف : وتشمل عنده اورام اللثة : لذع اللثة ، القلاع .

٢ ـ أمراض العين : انتفاخ العين ، بياض في الحدقة ، سلاق .

٣ ـ امراض الأذن : وجع الأذن ، سيلان الأذن .

٤ ـ امراض الجهاز التنفسي : سوء التنفس ، السعال ، الزكام . ورم الحلق.

٥ ـ أمراض الجهاز الهضمي ، استطلاق البطن ، القيء ، الفواق ، المغص ، ضعف المعدة ، خروج المقعدة ، الزحير ، الديدان

٦ ــ أمراض الجهاز العصبي: البكاء، عدم النوم، ريح الصبيان، الأحلام المفزعة.

الفصل الرابع: وهو الأخير، خصصه لتدبير الأطفال اذا انتقلوا الى سن الصبا. في هذا الفصل يستعرض ابن سينا فصول التربية النفسية للأطفال على أحسن الطرق التربوية فيؤكد على تقويم الأخلاق ومعاملة الطفل كإنسان لديه احاسيس، فأوصى بأن يعامل بالحسنى والايقيد بقيود الجدية طول الوقت بل يجب ان يفسح له المجال في اللعب والرياضة ويعتبر ذلك من الأمور الضرورية لنمو عقل الطفل وجسمه على حد سواء. ثم يؤكد ان خير عمر لدخول الطفل المدرسة هي السنة السادسة من عمره.

أما في بقية أجزاء القانون الأخرى نقع هنا وهناك على ملاحظات أخرى وشذرات نفيسة عن أمراض الأطفال، فمثلا عن اسباب التبول في الفراش يقول كلاماً جميلا ويؤكد على كون الناحية النفسية لها أثر كبير في علاج ذلك. وفي موضع آخر يتكلم عن علة الصبيان (التشنجات) التي تعرضنا للكلام عنها سابقاً.

٢ ــ الارجوزة في الطب :

عرض ابن سينا في هذه الأرجوزة كل ما يتعلق بصناعة الطب ــ على خلاف القانون بشكل مختصر وجامع وعلى شكل اشعار من بحر الرجز ليسهل على طالب الطب حفظها ترجمت للاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي بأسم كانتيكوم او كانتيكا (ومعناها الأغنية يعني القصيدة). احتوت الأرجوزة من جملة ما احتوته ابياتاً او جز فيها ابن سينا علم ذلك الزمان وآراءه في مسألة العناية بالأم الحامل وبالولادة والعناية بالجنين اثناء الحمل والطفل عند الولادة واختيار المرضعة الملائمة، بأسلوب سلس ممتع لم يسبقه الى ذلك احد من قبل.

ولأجل الإحاطة بكل ذلك رأينا تقسيمها الى اربع مجاميع، ذاكرين ارقام الأبيات في بداية كل منها:

المجموعة الأولى: يؤكد ابن سينا في هذه المجموعة ان الطفل يختلف عن الكبير في بنائه الجسمي والفسلجي الأمر الذي يستوجب تمييزه عن الكبير في المعالجة والعناية وقد جاءت تأكيداته هذه في اماكن متفرقة من الأرجوزة وهي دون شك لاتخلو من الصحة.

(٥٤) والحي يختلف في الأسنان .... كلامنا منه على الإنسان .

(٥٥) حرارة الشبان والأطفال ... مزاجها مقترب الأحوال .

(٥٦) لكنما الشبان لليبوسة ... والطفل ذو رطوبة محسوسة

(٣٩٣) والطفل نبضه سريع رطب... والكهل نبضه بطيء صلب

(٧٨٣) كالشيخ والناقة والطفل ... فضعفهم مختلط بالكل.

المجموعة الثانية : شملت كل مايتعلق بمسألة العناية بالأم الحامل لكي ينمو الجنين في بطنها نموا سليماً ويولد ولادة طبيعية. فمن ذلك العناية بغذائها وشرابها، وعدم فصدها أو اعطائها المسهلات وعدم تعريضها الى شدات خارجية كالوثبة او الصيحة أو الضربة. ومن نصائحه عند اقتراب الولادة ادخالها الحمام وتدليكها وتغذيتها غذاءاً جيداً وان تقوم القابلة بمساعدتها عند الوضع لتسهل ذلك، ولمعالجة اختلاطات الولادة كالنزيف الشديد أو عدم نزول المشيمة يصف الأدوية اللازمة. وللممرضعة عنده كما هي الحال عند أغلى الأطباء العرب شروط لابد من توفرها لكي تكون اهلا للقيام بذلك. ان عرضه لهذه الأمور كلها كان عرضاً علمياً صحيحاً وبطريقة شاعرية جميلة :

«تدبير الطفل وأولاً في بطن أمه»

(٩١٣) الطفل يحفظ ببطن أمه :.. كي لاتصيب آفة في جسمه

(٩١٤) فاحتط على الحامل في معدتها ... كي لاترى الفساد في شهوتها

(٩١٥) ويصلح الدم وينقى الفضل ... ذاك الذي يكون منه الطفل

(٩١٦) والظئر ان تطعمه او تسقيه ... فأختر له مدة سن التربية

(٩١٧) ان هاجها دم فلا تفصدها ... بل بالبرود والتطافي اقصدها

(٩١٨) او هاجها خلط فلا تسهلها ... بل بتلطيف عاملها

«تدبير المخاض»

(٩١٩) فإن دنا وقت لوضع حملها ... فشب أمور وضعها بسهلها

(٩٢٠) الدلك في الحمام للأخصار ... وما يلي الحمل من الأقطار

(٩٢١) بالدهن كيما يستلين العصب ... ولا يكون عند وضع تعب

(٩٢٢) واجعل غذاءها من السمين ... واحسها من مرق دهين

(٩٢٣) واحذر عليها صيحة أو وثبة ... أو روعة أو صرخة أو ضربة

(٩٢٤) واسقها في وضعها من شدة ... طبيخ تمر فيه ماء حلبة

(٩٢٥) واجعل لها قابلة فـي فطنة ... تمد رجليها بغير حنة

(٩٢٦) ثـم إذا تقيمهـا بمسرة ... عاصرة لبطنها بحكمة

(٩٢٧) إن سال منها زائد من الدما ... فاسقها اقرصة من كهربا

(٩٢٨) أو لم يسل منها دم من ضر ... فاسقها أقرصة من مر

(٩٢٩) وإن مشيمة بها لم تنـزل ... فاستعمل التبخير بالمحلل

(٩٣٠) كالمر والقطران أو كالأبهل ... ومثل كبريت ومثل حنضل

«اختيار الظئر»

(٩٣١) واختر له المرضع من فتاة ... في سنها من متوسطات

(٩٣٢) لحمية ليس بها من رهل ... مزاجها يقرب من معتدل

(٩٣٣) جسيمـة عظيمة الثديـين ... نقية الرأس مع العينين

(٩٣٤) سالمة من كـل ضر داخل ... صحيحة الأعضاء والمفاصل

(٩٣٥) ذات لبان ليس باللطيف ... في رقة وليس بالكثيف

(٩٣٦) أبيض لون حلو طعم طيب ... لا منتن متصل إذ يسكب

(٩٣٧) وغذها بالحلو والدهيـن ... والسمك الرطب مع السمين

المجموعة الثالثة: أفرد ابن سينا لمسألة العناية بالوليد حديث الولادة ، استقباله ، العناية بجلده ، مضجعه ، وغذائه فصلاً باسم «تدبير الطفل في خاصته» وأقواله هنا جاءت اختصاراً لما ذكره في القانون في باب تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض وكان صائباً في أكثر ماذكره:

(٩٣٨) ادهنه بالقابض عند شده ... حتى ترى صلابة جلده .

(٩٣٩) وحمه تنظف من أخلاطه ... ووسط الشد على قماطه

(٩٤٠) ولا ترضعه كثيراً فيتخم ... ولا تمانعه زماناً فيحم

(٩٤١) ولا تعامله بشيء يقلقه ... يمنعه المناما أو يؤرقه

(٩٤٢) الزمه إن أردت أن يناما ... مهداً وطيئاً يره الظلاما

(٩٤٣) وامزج له الخشخاش بالطعام ... إن منع الضر من المنام
(٩٤٤) الزمه في يقظته الضياء ... كيما يرى النجوم والسماء
(٩٤٥) كثر له الألوان بالنهار ... لكي تضرّ به على الأبصار
(٩٤٦) ناغيه بالأصوات في تعليم ... كيما تضريّه على التكليم
(٩٤٧) ألعقه من عسل أو حنكة ... وامسح به لسانه وادلكه
(٩٤٨) واجعل قليل رب سوس فيه ... وكندر وخله في فيه
(٩٤٩) واسعطه ياهذا لكي تشفيه ... من سدة في الأنف أو تصفيه
(٩٥٠) لأن هذا مصلح إحساسه ... وصوته ومطلق أنفاسه
(٩٥١) وامنعه أن يفصد أو أن يسهلا ... حتى تراه يفعة قد اعتلى
(٩٥٢) وما اعترى من ورم أو حب ... فلا تقابله له بجذب

المجموعة الرابعة : وهي الأخيرة جمع فيها ابن سينا أسباب التشوهات التي تحصل في الطفل بشكل دقيق وشامل وكأنه يتكلم بلسان أطباء اليوم ، ويمكن إجمال الأسباب التي ذكرها بما يلي :

١ — التغيرات في غذاء الحامل .
٢ — التغيرات المرضية في تركيب الرحم .
٣ — التغيرات في المني .
٤ — إصابات الولادة غير الاعتيادية .
٥ — سوء تدبير الطفل في مضجعه .
٦ — الحوادث ، وسوء معالجة الكسور .
٧ — نتيجة إصابته ببعض الأمراض كالجذام ، الاتخاء (الشلل) ، التشنج .
٨ — الأورام .

يقول :
(٢٦٩) والسبب المفسد للأشكال ... يكون في إعداد ذي الأمثال
(٢٧٠) بسبب في رحم ردي ... أو قل «الانقياد من مني» .

(٢٧١) أو من ولاد ساء في الخروج ... يحدث سوء الشكل بالتعويج
(٢٧٢) والظئر إذ تسيء في القماط ... أو رضاع منه أو انحطاط
(٢٧٣) أو ربما كثرت الطعاما ... أو ربما أساءت الفطاما
(٢٧٤) ويقع الطفل بضعف إن ترك ... فتكسر الوقعة أفريز الورك
(٢٧٥) وتشدخ الأنف فيعروه الفطس ... ولا يرد الطب ماقد انتكس
(٢٧٦) إن حرك الذي يقل صبره ... عظماً كسيراً لم يتم جبره
(٢٧٧) وكثرة في الخلط كالجذام ... وقلة كالكسل في الدوام
(٢٧٨) أو لقوة من ارتخاء عصبه ... أو مثل تشنج يميل الرقبة
(٢٧٩) وأثر الأورام والقروح ... قد تفسد الأشكال في السطوح

٣ـ رسالة السياسة (أو في سياسة الرجل ولده) :

شملت هذه الرسالة الأمور التالية : (٦)

(١) **اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة** : وفي ذلك يقول : « إن من حق الولد على والده ، احسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لاتكون حمقاء ... ولا ذات عاهة» .

(٢) **تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر** : يقول : «فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدىء بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة ... فينبغي لغنم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق بالترهيب أو الترغيب ... وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ماكان كافياً فإن احتاج الى الاستعانة باليد لم يحجم عنه وليكن أول الضرب قليلاً موجعاً ... بعد الإرهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء» . نجد ابن سينا هنا وهو يقرر التربية الخلقية للطفل قد سبق علماء التربية الحديثة ،فقد وضع صورة كاملة عن تربية الوليد ، إذ أكد ضرورة البدء بتهذيبه وتعويده الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة ،أما إذا أقتضى عقابه فإنه يجب مراعاة الحذر فلا يعنف أولا وإنما يؤخذ باللطف والمديح تارة وبالتأديب أخرى وإذا كان لابد من ضربه فيجب ألاّ يتردد المربي في ذلك على أن تكون الضربات الأولى قليلة ومؤلمة وألا يلجأ إليها إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء .

(٣) **التعليم** إن أسس التعليم عند ابن سينا تدور في الأمور التالية :

أ ــ **صفات المؤدب:** يؤكد علماء التربية بأن للمحاكاة تأثير بارز في نمو الطفل العقلي والخلقي ولذلك نجد ابن سينا يؤكد على هذه الناحية فيشترط أن يكون المعلم نموذجاً طيباً وقدوة حسنة للطفل لكي لا يؤثر أثراً سيئاً في نفس الطفل المقلد فيقول : «وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين ، بصيراً برياضة الأخلاق ، حاذقاً بتخريج الصبيان ،وقوراً رزيناً ... غير كز ولا جامداً بل حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة» ـ.

ب ــ **المنهج الأولي للتربية الإسلامية:** ومنهجه في ذلك يشمل حفظ بعض السور القصيرة من القرآن الكريم ، وحفظ معالم الدين بطريقة التلقين ثم يتعلم حروف الهجاء ، وتروى له بعض القصص الدينية والشعر الذي قيل في الأدب والعلم والأخلاق ؛ على أن يكون ذلك بطريق الحفظ والاستظهار بدءاً بالسهل الخفيف ثم الأصعب وحسب المستوى العقلي للطفل يقول : «ينبغي البدء بتعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ،لقن معالم الدين وينبغي أن يروي الصبي الرجز ثم القصيدة ... ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم ...وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق .

ج ــ **تجنب التعليم المنفرد واختيار الصبية الذين يدرس معهم :** يقول: «وينبغي أن يكون الصبي في مكتبة صبية من أولاد الجلة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم ،فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ وبه آنس ، وانفراد الصبي بالمؤدب أجلب الإشياء لضجرهما فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنفى للسآمة..وأحرص للصبي على التعلم» إن ابن سينا كان على حق في كل مانادى به حيث أن الأخلا ق هي كل شيء في الحياة والتربية المعاصرة توجب تجنب التعليم المنفرد وتؤكد على حاجتنا للأخلاق الفاضلة قدر حاجتنا إلى العلم كما أن القدوة الحسنة والبيئة الطيبة في أخلاق الطفل أمر مفروغ منه اليوم.

٤ ــ **التربية لكسب العيش :** يؤكد هنا ابن سينا ضرورة درس ميول الطالب وأهوائه كما ينادي بمبدأ التخصص بعد الدراسة الثقافية الروحية بغية توجيهه للعلم أو العمل وهو يتفق تماماً مع ماينادي به اليوم علماء التربية الحديثة عند اختيار الدراسة المهنية للشباب وما يلائم طبيعة الطالب كي نضمن نبوغه في مسلكه ، يقول ابن سينا : «وإذا فرغ الصبي من

تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى مايراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه فإذا أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه ، وطورح الحساب ودخل به الديوان . وأن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدير الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ماشاكل طبعه وناسبه» ثم يقول : « فلذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام أختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي وسبر قريحته ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها أم خاذلة ثم يبت العزم» .

الغزالي

هو أبو حامد بن محمد الغزالي ، فيلسوف مرب مسلم ولد في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وتوفي عام ٥٠٥هـ/١١١١م . أشهر مؤلفاته «إحياء علوم الدين» . أما أهم مؤلفاته التي لها علاقة بتربية الأطفال فهي :

١ — قسم في كتابه «إحياء علوم الدين» بعنوان : «بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم» (٧٦ص٦٢) . يؤكد الغزالي هنا بأن التربية من أهم الأمور وأن الطفل أمانة عند والديه عليهما مراعاته وتعويده الأخلاق الحميدة بإرشاده وتوجيهه إلى بيئة صالحة كاملة في البيت والمدرسة والمجتمع وصيانته من قرناء السوء وأن يمنع من مخالطة الأطفال المدللين . وآراؤه في تعليم الطفل وما يجب أن يدرس في المكتب لاعيب فيه .

اما اراؤه في التربية الخلقية فقد شملت تشجيعه للأخلاق الكريمة وعدم الإكثار من لومه وتوبيخه وان يكون عتابه بحكمة ويذكر ايضاً وصايا في الأداب العامة كآداب الطعام واللباس والجلوس في المجالس. ومما يؤكده ايضاً تعويده على الزهد والرفعة في العطاء لا الأخذ ، والصبر اذا ضربه المعلم ،واطاعة والديه ومعلمه ومؤدبه

اما اراؤه في التربية الجسمية هنا فشملت منعه من النوم نهاراً ومن التنعم بل يعود على الخشونة ولايهمل الرياضة بل يؤكد على استعمال الرياضة للطفل والسماح له باللعب بعد الأنتهاء من الكتاب.

لم نذكر هنا نصوصاً من أقواله لأننا سوف نذكر غالبيتها في الفصل القادم .

٢ – رسالة أيها الولد: يقدم الغزالي في هذه الرسالة مبادىء تربوية مازالت محتفظة بنكهتها الفلسفية والعلمية التي لاتقف حدود فائدتها عند الطفل . بل تتعداه الى الحدث والفتى والشاب وابرز المبادىء التي يمكن استخلاصها في هذه الرسالة (٢٧).

(١) الايمان وضرورته والتعقل وأثره: يحتل الأيمان عند ابي حامد أهمية خاصة في ميدان التربية ، فهو الأساس الذي يطمئن اليه في ضمان نقاء وصدق الأنسان. اما عــن التعقل الذي يعني السيطرة على الشهوات فإنه يؤكد ان العاقل هو من سلك طريق الحق والصواب والحلال وامتاز بالسلوك المتزن والتصرف الحكيم ، وفي ذلك فقط احكام لسيطرة العقل على حاجيات الجسد .

(٢) النقد الذاتي والنية الحسنة أساس الثقة بالجماعة: نحن مطالبون بمراقبة سلوكنا ومراجعة ذواتنا ، ووزن افعالناوتصرفاتنا ،لكي لانشذ عن الطريق المستقيم وذلك ما اصطلح عليه بـ« محاسبة النفس» اي النقد الذاتي ويضع الغزالي للحقيقة الخلقية معايير ، منها ترك ثواب العمل النافع – لاترك العمل ذاته ، لأن العمل هو الأساس (الدافع) اما الثواب (الأجر المادي أو المعنوي) فيأتي بالدرجة الثانية. وفي ذلك تهذيب للنفس من الجشع .

(٣) الجد والمثابرة وربط العلم بالعمل وتقييم العمل: يحذر الغزالي من خطر اضاعة الوقت في امور لاتعنينا ويحث على المتابعة والقراءة المستمرة لأكتساب العلم والمعرفة بالليل والنهار ويوصي بوجوب تحويل العلم الى عمل ووضع المعارف موضع التطبيــق العملي فيقول : « العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لايكون ، وافضل العلم هو مـن تمثله الإنسان واستوعبه» (٧٥ص٢٧). ويقول: «لاأجر بلا عمل ولاعمل بلا أجر ، ان عاجلا أوآجلا – فليس للأنسان الا ماسعى –» (٧٥ص ٢٣) كما يؤكد مبدأ أخلاقياً آخر وهو ان المطلوب منا بذل الجهد لتحقيق القدر الموازي له في الكسب بحسب قيمة العمل المعنوية .

(٤) الشجاعة في الموازنة بين حقيقتي الموت والحياة : المنطق العقلي المقترن بالأيمان الطبيعي يحث الإنسان على ان ينظر الى (الموت) نظرة طبيعية ، يتهيأ له بكل طمأنينــة

بأعتباره قدر لامفر منه، وان الحياة التـي يحياها الإنسان في الدار الدنيا أو الدار الاخـرة توجب عليه ان يأخذ لكل منها بزاد، «فزاد الدنيا العلم والعمل الذي في سعته وعمقه يكمن زاد الآخرة» (٦٠ص٢٧) . والأبن الخير هو الذي يسعى لزاد الدنيا والأخرة وفي ذلك السعي موازنة ذهبية تضبط السلوك، وتحكم التصرف وتكون مدعاة للاستقامة والخلق الحميد .

(٥) الأخلاق بالدربة والمثل الأعلى في التربية : يؤكد الغزالي على ضرورة وجود التوجيه المستمر والرعاية الدائبة للطفل والفتى لكي نحول دون أنحراف تربيته من جراء تعرضه إلى مؤثرات البيئة غير الموجهة. لذلك اشترط وجود المربي أو المرشد (او الشيخ) كي يأخذ بيد التلميذ ويسدي له النصيحة لضمان التوجه نحو الخير و «ليخرج الأخلاق السيئة منه بالتربية ، ويغرس بدلاً عنها خلقاً حسناً» (٧٥ص٣٧) . أما المثل الأعلى فقد اعتبر الغزالي وجوده نادراً ندرة الكبريت الأحمر لكنه لم يعدم وجوده بالكلية في تأريخ الأمة ومن الممكن استلهامه من بين السلف الصالح والقادة الإوائل ومتابعة مسيرتهم وسلوكهم وتصرفاتهم واتخاذهم قدوة حسنة لأبنائنا .

(٦) الاستقراء الناقص وأهميته العلمية: لايجيب الغزالي على أسئلة «الولد» كلها بل يتركه يبحث عن بعض الحقائق بنفسه، يكتشفها باجتهاده لكي لاينشأ اتكالياً فيخاطبه قائلاً : «اعمل أنت بما تعلم لينكشف لك مالم تعلم» (٧٥ص٦٠) . وأبو حامد في ذلـك يشخص لنا واحداً من المباديء العلمية التي مازالت تعترف بقيمتها مناهج البحث العلمي الفلسفي المعاصر، ونعني به مبدأ (الاستقراء الناقص) المستند على الاستنتاج والاستنباط والتركيب .

(٧) القيم الخلقية الواجبة الالتزام : يعرض لنا فيلسوفنا ثمرات اكتساب العلم والمصاحبة من قيم خلقية ملتصقة بحياتنا اليومية ، تعزز من وقع الانسان وتشده مع الجماعة التي يعايشها وأهمها الاتيان بالأفعال ذات النفع العام ، التحكم العقلاني في السلوك والتعامل اليومي مع الآخرين ، مساعدة الآخرين والتعاون، التقوى حق وواجب إن كان

لله سبحانه وتعالى أن للإنسان ، القناعة المتأتية من الجهد الذي يبذله الإنسان، المحبة والتسامح الوضوح في السلوك والسعي بإخلاص وشرف، التفاؤل المتأتي من التوكل على الله في طلب الرزق .

يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي

المتوفى سنة ٤٩٣هـ . من مؤلفاته (كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان) ، في هذا الكتاب يفرق بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ على شكل مقارنة ويتكلم عن كثير من أمراض الأطفال وكيفية علاجهم . إلا أننا لم نجد فيه جديداً لم يذكره الآخرون .

علي بن رضوان

كانت وفاته سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م بمصر. مؤلفاته (٥ص١٧١) التي لم يتيسر لنا الأطلاع عليها:

١ ــ مقالة في ان جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم :

٢ ــ رسالة في علاج صبي اصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد (انها من المؤلفات الضائعة).

أبو الحسن علي بن هبل البغدادي

المتوفى سنة ٦١٠هـ لقد عقد أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الأطفال في كتابه المختارات في الطب ــ الجزء الأول . وفيها الكثير من الأفكار القيمة والاراء السديدة .

حيث سرد في فصل «خلق الإنسان» علم الأجنة بالنسبة لزمانه وفي فصل «في تدبير المولود» ابتداء بتقديم النصائح للحامل للحفاظ على الجنين من أي مكروه ولتسهيل ولادته ثم تكلم عن كيفية استقبال المولود والعناية به عند الولادة وكيفية تغذيته ونومه. وصفات الحليب الجيد وشروط المرضعة وكيفية تغذيتها. وكيفية تعويد الطفل على الأكل وفطامه والعناية به عند بروز اسنانه ومشيه:

وفي الفصل الذي يلي ذلك تحدث عن مداواة أمراض الأطفال .

والأمراض التي ذكرها كانت ((التشنج ،الإسهال، القلاع ، أورام في ناحيةأوتار اللحيين،الكزاز ، ورم السرة، القيء، سهر وبكاء، زكام وسعال، التفزع ،سيلان الرطوبة من الأذان. عطاس ،ورم اللوزتين اللهاة، ريح الصبيان : الفتق ،الحمى ،البثور، انتفاخ الأجفان، سحج الفخذين، الدود) .

وفي الفصل الذي بعد ذلك تكلم عن كيفية العناية بغذاء الطفل وتربيته بعد ان يكبر وكيفية اختيار المعلم الجيد وتعويده الخصال الحميدة وتوجيهه الوجهة الصحيحة بالنسبة لمستقبله.

ابن زهر

هو أبو مروان عبد الملك بن زهر (١٠٩٤–١١٦٢م). هناك فقرتان في كتابه «الأغذية (ص٣٢) لها علاقة بالأطفال :

١– ذكر مايحفظ الأجنة في الأجواف: من أقواله الصحيحة هنا: «من ذلك الأتتعرض الحامل لعمل من الأعمال الشاقة الصعبة ولا الى حركة قوية شديدة ولا الى استفراغ بفصد ولابدواء مسهل.. وخاصة في أوائل الحمل ...وأن تتجنب الوثب والجري ورفع الأثقال».

٢– القول في تدبير الطفل: ومن أقواله المهمة هنا: «وكانت جرت عادة القدماء وكثير من اليونانيين بأن يذروا على جسم الطفل عند الولادة الملح ليصلب جسمه .... فأما أنا فأرى ان الملح لجسمه غير موافق ...وفي ذلك خير من الملح مثل دهن البلوط ففيه من التصليب الحاجة وهو مع ذلك لايلذع ولايؤذي ولايسهر».

نجد في القول السابق دليلا آخر على ان الأطباء لم يتقيدوا بآراء السابقين ولم يقلدوهم تقليداً أعمى كما اتهمهم به غير المنصفين من المؤرخين(*)

ومن أقواله الجيدة الأخرى هنا قوله: «...وهكذا الأطفال فإنهم اذا اشتدت أعضاؤهم وقويت. طلبوا كل مايرون حواضنهم يأكلنه فيأكلونه للاستلذاذ ...» «ويجب اذا كان

(*) كتاب الأغذية الورقة ٣٢من صورة للورقة مستنسخة بالدفلوب أرسلت لي من قبل المرحوم الدكتور ضياء نوري حسن الذي كان يقوم بتحقيق الكتاب :

الطفل يأكل بأستلذاذ ويستمريء مايأكله ان يفطم ، وعندما يفطم يجب ان يتعاهد بشرب الألبان المحمودة كلبن المعز بسبب اعتياد اللبن ولأنه أوفق الأغذية له. فإذا اشتد وقويت اعضاؤه لم يمنع اللعب على رفق، وبعد ذلك اذا تجاوز سبع سنين أخذ في تعليمه وتأديبه وفي ذلك كله لايمنع ان يمرح بعض النهار أما إكتشافه لحشرة الجرب فقد سبق ان تكلمنا عنه.

أبن طفيل

ولد أبو بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل القيسي في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد في وادي آشن شمال غرناطة . كان فيلسوفاً واديباً وشاعراً وعالماً بالفلك والرياضيات والطب صار وزيراً لصاحب المغرب عبد المؤمن وابنه المنصور. توفي في مراكش سنة ١١٨٥م. له كتابان في الطب .

الأول الأرجوزة في الطب/ هناك نسخة مخطوطة واحدة منها في جامعة القرويين في مدينة فاس في المغرب حصلنا على صورة لها . وهي مرتبة على سبع مقالات يتجاوز عدد ابياتها ٧٧٠٠ بيت . ليس فيها فصل خاص لأمراض الأطفال وانما تعثر هنا وهناك على بعض الفقرات البسيطة التي لها علاقة بأمراض الأطفال ومعالجاتهم على سبيل المثال/ عن الذبحة يقول في الباب الأول /(١٢ص٩٢).

خوانق الحلق تسمى ذبحة ..... لأنها قتالة في لحظة

من يوم أو بعد يوم ثان ..... فليس من شك لها شأن

حتى يقل منـــه الطعامـــا ..... وتمنع النفس والكلاما

ويرجع الصوت الى الخيشوم ..... وكلما يؤكل من طعوم

واصلها مـن فضلة تصيـــر ...... للحلق فالضيق به يثور

ومن دم تكون او صفـــراء .....أوبلغم وليس من سوداء

لأنهـــا بطيـــة الأورام ..... وبعده سريعة السقـــام

وعن ورم اللسان يقول في الباب الثامن والستين (١٢ص٨٨)

قد يعترى الورم في اللسان ..... من لهب يشتد كالنيران

علاجه الفصد من القيفال ..... وبعد ذاك البعض بالأسهال
ان ساعد السن مع الزمان ...... وقوة الجسم من الأنسان

اما عن سلس البول فيقول في الباب الخامس / (١٢ص١٧٤)

قد يخرج البول بلا ارادة ..... مقطراً على خلاف العـادة
حدوثه من مادة بالحـر ..... او مادة مؤلمة بالعسـر
وذاك نوعان بغير حرقة ..... واخر حرقته مشقـة
فحرقة تحدث عند البول ....واللذع في الأحليل أو من حول
وعطش يأخـذه شديـد ..... ولهيب مشتعل مديـد

الثاني : قصته المشهورة : «حي ابن يقظان» والتي نجد فيها إشارات إلى مسألة خلق الجنين وغذاء الطفل وتربيته ؟

زكريا بن محمد القزويني

من أولاد الفقهاء ، ينتهي نسبه إلى أنس ابن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ..
توفي ٦٨٢هـ – ١٢٨٣م . كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات كتاب علمي يشتمل على علوم الطبيعة بأسرها . نجد فيه هنا وهناك بعضاً مما له علاقة بطب الأطفال ، من ذلك :

النظر الثالث – في تولد الإنسان : يتكلم هنا عن بداية تكون الجنين ، ووضع الجنين في الرحم ، سبب الذكورة والأنوثة ، في وضع الحمل ، كما يحوي بين دفتيه وصفات تتعلق بمعالجة بعض أمراض الأطفال .

ابن النفيس

هو علاء الدين بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس (٦٠٧ – ٦٦٩هـ/ ١٢١٠ – ١٢٩٨م) له رسالة في أوجاع الأطفال لم يتيسر لنا الاطلاع عليها (١٣٦ص٦٣) .

ابن القف

أبو الفرج بن القف (١٢٣٢ – ١٢٨٦م) يستهل كتابه ١ – : «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض» بكيفية تكوين الجنين والأسنان وأمزجتها وحفظ صحة الحبالى

والمرضعات وحفظ صحة الطفل قبل الفطام وبعده وفي أيام الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة (٣٨ص١٦) ، لم يتيسر لنا الاطلاع عليه .

٢ – كتاب العمدة في الجراحة تكلم في بعض فصول الجزء الثاني عن أمور تتعلق بطب وجراحة الأطفال ذكرها متفرقة هنا وهناك ومن بين ذلك في الفصل الثاني من المقالة الرابعة عشرة تكلم عن علاج الحصبة وبين بأن ذلك يختلف عن علاج الجدري .

وفي الفصل السادس من المقالة التاسعة عشرة تكلم عن أنواع وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان .

وفي الفصل العشرين والذي يليه من نفس المقالة تكلم عن علاج من يولد من الأطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبة وعن تطهير الأطفال ..

وفي الفصل الحادي والثلاثين تكلم عن الأصابع الزائدة والملتصقة .

ابن قيم الجوزية

الشيخ شمس الدين قيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر الإمام الفقيه ، ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ .

سرد آراءه في طب الأطفال في كتابه : (تحفة المودود بأحكام المولود) . حيث قسم كتابه هذا إلى سبعة عشر باباً بحث في الأبواب الخمسة عشر الأولى الناحية الشرعية في أحكام المولود ، ومن بين الموضوعات التي تكلم عنها ، استحباب طلب الأولاد ، وكراهة تسخط ما وهب الله من البنات ، استحباب بشارة من ولد له ولد ذكر ، استحباب الآذان والإقامة في اذنه ، في العقيقة ، وأحكامها ، في حلق رأسه ، في ذكر تسميته ووقتها ، في ختان المولود وأحكامه ، في استحباب تقبيل الأطفال ، في وجوب تأديب الأولاد وتعليمهم والعزل بينهم :

وفي الباب السابع عشر والثامن عشر نجد حشداً وخلاصة لآراء الأطباء في بعض مايتعلق بطب الأطفال حتى زمانه إضافة لآرائه وما توصل إليه بثاقب بصيرته وفطنته وتجربته في هذا الحقل ، والطب الحديث يقره في أغلب ماذكره والجزء الذي لايقره عليه لايشكل عيباً عليه حيث أن العلم الطبي كغيره من العلوم التجريبية دائم التغير والتطور كما هو معلوم .

وأبرز مما له علاقة بالطفل ، تكونه ، ونشأته ، وتربيته :

١ ـ تكون وتطور الجنين يتحدث في الباب الأخير من الكتاب عن كيفية تكوّن الجنين وتخلقه وعن تطوّره وتكون أعضاء الجسم ، ثم يتحدث عن مقدار زمان الحمل واختلاف الأجنة في ذلك ، وفي سبب الشبه للأبوين أو أحدهما . كما ويتحدث عن المولودين لسبعة وثمانية أشهر وهو في كل ذلك يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحياناً بأقوال أبقراط . ولا شك بأن الحق كان معه في بعض المواضيع قياساً لما نعرفه اليوم في علم الأجنة الحديث .

٢ ـ بكاء الطفل والعناية به من الناحية النفسية: بعد أن أكد ابن القيم بأن بكاء الطفل ساعة ولادته يدل على صحته وقوته وشدته يقول : «وإذا وضع الطفل يده وإبهامه أو أصبعه على عضو من أعضائه فهو دليل على ألم في ذلك العضو» (٢٩ص٢٢٤) . وهذا مانطبقه اليوم نحن أطباء الأطفال فإننا كثيراً مانسأل عند فحص الطفل هل شاهدته يمد يده كثيراً إلى أذنه فإن كان الجواب نعم كان عوناً لنا في تشخيص التهاب الأذن الوسطى .

وبعد أن يبين بأنه لابأس من بكاء الطفل إن لم يكن هناك سبب مرضي يحذر تعريضه لما يزعجه من الأصوات الشديدة والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة ، وهو في كل ماذكر لم يجانب أصول التربية وخصائص علم النفس الحديث .

كما يحذر أيضاً من منع الطفل من القيام ببعض المتطلبات الضرورية له حفظاً على نمـــو قدراته النفسية بانتظام وتجنباً له من الكبت فيقول : «واحذر كل الحذر أن تحبس عنه مايحتاج اليه من نوم أو طعام أو شراب أو عطاس أو بول ... فإن لحبس ذلك عواقب رديئة في حق الطفل الكبير» (٢٠ص١٨٥) .

٣ ـ تغذية الطفل وفطامه : تناول ابن القيم هنا أوقات الرضاعة ونوعية الغذاء وكيفية تعويد الطفل على الطعام وفطامه بالتدريج ، وكان مصيباً في أغلب ماذكر .

٤ نمو حواس الطفل ومشيه : لم يغفل ابن القيم عن ذكر تطور ونمو حواس الطفل ونشاطه العقلي ، ومشيه بل حاول بثاقب بصيرته تتبع ذلك . وأقواله جاءت مطابقة للأبحاث التربوية الحديثة .

٥ ـ **تربية الطفل الخلقية والمهنية** إن ابن القيم شأنه شأن الفقهاء والفلاسفة العرب والمسلمين قاطبة اشترط تعويد الطفل أحسن العادات وأكرم الأخلاق وأجمل النظم ، وأكد على القدوة الحسنة من المربي وحسن اختيار جماعة الأصدقاء . كما ونادى بمبدأ التخصص بعد الدراسة الثقافية الروحية في بدء حياة الطفل وهو ماينصح به علماء التربية اليوم عند اختيار الدراسة المهنية ، فيجب أن نفكر فيما يناسب طبع المتعلم وما يلائمه وما يميل إليه كي ينبغ في دراسته ولنضع كل فرد في المكان الذي يناسبه ويصلح له . يقول في ذلك : «ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها ... فإن رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً ، فهذه من علامات قبوله وتهيئته للعلم ... وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها ... وإن رآه بخلاف ذلك ... ورأى عينه متفتحة إلى صنعة من الصنائع ... وهي صناعة مباحة نافعة فليمكنه منها...» (٢٩ ص١٩٠)

قوام الدين محمد الحسيني القزويني

لانعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته . له ارجوزة باسم ((ارجوزة قانونجة او المنظومة القوامية)) اعتمد في نظمها على كتاب قانونجة في الطب لمحمود بن محمد بن عمر الجغمني المتوفى سنة ٧٤٥هـ والذي اقتبسه من كتاب القانون لابن سينا .

في الارجوزة فصل عن تدبير الحبالى والمراضع والاطفال جاء فيها / (٨٣ ص٥٩ ــ ٦٠)

تحترز الحبلى عن الحجامة .... والقي والاسهال في السلامة
والفزع الشديد والاصوات .... هائلة صوتاً عن الفوات
ولتجنب روائح المأكول .... فجأة حفظاً على المحمول
ولتتعهد الجلنجبينا .... من كان حبلى والسكنجبينا
حتى تنقي معدة باللين .... ويسقط اشتهاؤها للطين
ويفسد الدرنكاح المرضعة .... مثل لزومها السكون والدّعة
يعدل الاخلاق للاطفال .... لينشأوا في احسن الاحوال
الخوف والسهاد بالافراط .... والحزن فيهم كاس النشاط

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفي (٨٠٨هـ ١٤٠٥م) ، نجد بعض الوصفات البسيطة المتناثرة هنا وهناك في كتابه حياة الحيوان لها علاقة بمعالجة الأطفال ، وهي في غالبيتها منقولة عن السابقين وليس لها أهمية علمية .

لسان الدين بن الخطيب

ولد سنة ٧١٣هـ — ١٣١٣م وتوفي سنة ٧٧٦هـ —١٣٧٤م . اصله من اسرة عربية هاجرت من الشام الى الأندلس قديماً . بلغ جاهاً كبيراً فكان مستشاراً للسلطان ووزيره وكاتبه. انتهى به الحال في فاس بالمغرب لاجئاً وقتل خنقاً . الف الكثير في الطب وغيره ، اما التي لهـــا علاقة بالأطفال فكانت :

١ — رسالة في تكوين الجنين .

٢ — رسالة مقنعة السائل في المرض الهائل(أكد في هذه الرسالة لأول مرة حدوث العدوى بالنسبة لمرض الطاعون) .

٣ — كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول ، وهو كتاب في الطب الوقائي ، يتحدث في بعض فصوله عن الأطفال وتربيتهم ورضاعهم وغذائهم ، ومابه تصلح اخلاقهم.

ابن خلدون

ولد عبدالرحمن ابن خلدون سنة ٧٣٢هـ — ١٣٣٢م . يعود اصله الى قبيلة كندة كانت اسرته توطنت في اشبيلية . نزح مع اجداده الى تونس . كتب مقدمته في نحو الخامسة والأربعين وقبل ان يبدأ رحلته الى المشرق التي بدأها سنة ٧٨٢هـ . فزار فيها الحجاز وبيت المقدس ودمشق واقام في القاهرة حتى توفي في عام ٨٠٨هـ .

وهو امام ومجدد في علم التاريخ و ،مؤسس علم الأجتماع . واشهر كتبه المقدمة التي تمثل بحق عصارة خبرته وثقافته ، درس فيها فنوناً من الفلاحة والبناء والتجارة والتوليد والطب وعلوم القرآن والتفسير والحديث ...الخ . نذكر فيما يلي بعضاً مما جاء فيها مما لــه علاقة بطب الاطفال .

تكلم ابن خلدون عن المولود حديثاً كلاماً موجزاً لخص فيه ما كان معروفاً بالنسبة لزمانه من ذلك يذكر في مسألة قطع السرة كي محل قطع السرة لأدمال الجرح وهذا القول لم نجده عند غيره من الاطباء الذين سبقوه او عاصروه يقول /

((اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة .. فتقطعها القابلة ... ثم تدخل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال)) (مقدمة إبن خلدون ص٣٢٧)

ثم تكلم عن الامور الواجب اتباعها بالنسبة لتدبير الطفل عند الولادة فيقول ((ثم ترجع الى المولود فتمرخ اعضاءه بالادهان والذرورا ت القابضة لتشده وتجفف رطوبات الرحم وتمكنه رفع لهاته وتعطسه لاستفراغ بطون الدماغ وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها من الالتصاق)) (المقدمة ص٣٢٧) .

الانوري

علي بن محمد بن عبدالله المتطبب الأنوري المتوفى سنة ٨١٥هـ – ١٤١٢م . له كتاب (الأيضاح في الطب) ، لازال مخطوطاً جاء في القسم الثالث من المقالة الأولى من هذا الكتاب اربعة فصول لها علاقة بالأطفال ، هي كما يلي /

الفصل الثالث – في تدبير المولود اذا خرج خروجاً تاماً .

الفصل الرابع – في تدبير المر ضعة .

الفصل الخامس – في امراض يكثر وقوعها في الصبيان ، والأمراض التي ذكرها اثنان وثلاثون ، هي / ١ – العطاش . ٢ – الماء في الرأس. ٣ – العطاس المتواتر. ٤ – ان لاينام ولا يزال يبكي. ٥ – ريح الصبيان. ٦ – فزع في نومه. ٧ – وجع الأذن. ٨ – الوردنيج (رمد عظيم). ٩ – بياض الحدقة. ١٠ – السلاق. ١١ – اورام تحدث عند نبات الأسنان في اللثة. ١٢ – التشنج لا عند نبات الاسنان. ١٣ – اللذع في اللثة١٤ –. القلاع . ١٥ – ورم في الحلق بين المريء والفم وهو ورم اللوزتين. ١٦ – سوء التنفس. ١٧ – خرخرة عظيمة في نومه. ١٨ – السعال والزكام. ١٩ – الفواق. ٢٠ – القيء الشديد. ٢١ – ضعف المعدة.

٢٢ ــ الفتق. ٢٣ ــ ورم السرة. ٢٤ ــ المغص. ٢٥ ــ استطلاق البطن
٢٦ ــ احتباس البطن. ٢٧ ــ تولد الدود في البطن. ٢٨ ــ الزحير .
٢٩ ــ خروج المقعدة. ٣٠ ــ انجراد سطح الفخذ لفرط لينه.
٣١ ــ الحميات. ٣٢ ــ ظهور بثور في البدن كالجدري والحصبة وماشا كلهما

الفصل السادس ــ في تدبير الأطفال اذا انتقلوا الى سن الصبي .

ان ماجاء في هذه الفصول على الرغم من كونه اغلبه نقول مجمعة عن السابقين ، الا انه لايخلو من الفائدة من ناحية حسن الترتيب والأيجاز ، وكذلك بعض الأضافات الجميلة .

داوود الأنطاكي

من اطباء القرن العاشر الهجري، اشهر كتبه هو كتاب : « تذكره أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» او مايسمى : (تذكرة داود) هناك بعض الإشارات لأمراض الأطفال فيه نذكر منها :

يقول عن اسباب مرض«ام الصبيان»وهو مانسميه الأختلاجات ، بأنه يحدث في عدد من أمراض الدماغ وبعضهم أدركه في الأختناق وبعضهم في الحميات (١٥ص١٣) . وفي علاج ذلك يذكر تشريط الأذن الذي يوحي لنا معرفة قسم من الأطباء العرب بما يشبه المعالجة بالوخز بالإبر الذي يقوم به الأطباء الصينيون قديماً وحديثاً.

وفي الجزء الثالث من كتابه وفي كلمة (مولود) يتحدث عن كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وفي كلمة (الرضاع) يتحدث عن المرضع وشروطها وصفات الحليب الجيد .وكيفية ترويض الطفل على الرضاع ونجد هنا فقرة مهمة لم نجدها لغيره من الأطباء العرب وهي اعطاؤه ارقاماً لأحتساب جة الطفل اليومية من الحليب حيث يقول : « قالوا واقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليـ ثة وخمسين درهماً والأكثر فيما قالوا خمسمائة (١٥ص٣٥) . وله قول آخر مه نا حول انتقال بعض العلاجات في حليب المرضع فيقول «وتعالج المرضع ان كـان لابد من دواء قوي فلا ترضع يومه» (١٥ص٣٥). وفي «لبن» يتحدث عن تركيب وانواع الحليب.

ثم يتحدث عن الفطام قولا علمياً صحيحاً لايختلف عما نقوله اليوم فيقول : « ويسمى الأنتقال الثاني لأنه بالنسبة الى الرضاع انتقال آخر يجب عند تمام الحولين قطع المولود من اللبن لا لأنه يضر بعدها كما هو مشهور بل لعدم الأكتفاء به لطلب الأعضاء غذاء يقوم بها فلو اضيف الرضاع الى غيره جاز» (١٥ص٣٥).

٢ ــ النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة(١٤ج١ ٢٣٠–٢٣٨)

نجد في هذا الكتاب بابين لهما علاقة بالأطفال / و الحوامل/

البحث الرابع/ في تدبير الحوامل/ تكلم هنا عن كيفية التأكد من صحة الحمل وجنس المولود وعدد الأجنة، وغذاء الحامل ، وعن عملية الولادة الطبيعية والعسرة .

البحث الخامس/ في تدبير المولود من حين سقوطه الى يوم موته/ يتناول هنا كيفية العناية بالمولود عند الولادة من ناحية قص السرة واستحمامه، والباسه، ورضاعته. ثم يتكلم عن صفات المرضعة وكيفية ارضاع الطفل ، وكمية ما يحتاجه من الحليب في الرضعة الواحدة (وهو ماذكرناه سابقاً) وكذلك عن غذاء المرضعة .

ويتحدث هنا عن تأثير الرائحة الحادة بالأطفال ، وهذا الخطأ العلمي لم نجده لـدى غيره من الأطباء : علماً بأنه لازال يعتقد بصحة ذلك في الأوساط الشعبية المتخلفة.

يقول «قد أغفل الأطباء ما يحدث من الرائحة الحادة بالأطفال في مصر وهو مهـم يموت بسببه كثير وينشأ عنه امراض .... وحاصل الأمر في تعليل هذا ان هواء مصر كما علمت شديد اللطافة والرطوبة والتخلخل، وما شأنه ذلك تنطبع فيه الروائح بالسهولة..» «ولا يبعد ان يقع هذا التأثير في غيرمصر لكن لم يشعر به لغفلته ، والذي أقول في تحـرير هذا الأمر بالمشاهدة والتجربة .....» ثم يمضي في ذكر التفاصيل والعلاج الذي لانقره على ذلك اليوم .

وينهي هذا البحث بالتكلم عن (تدبير الأنتقال الثاني والفطام) حيث يذكر المواعيـد المناسبة للفطام وكيفية التدرج في ذلك . ثم ينتقل الى التحدث عن تربية الطفل وتعليمه.

صالح بن سلوم

المتوفى في سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م. هو ابن نصر الله بن سلوم الحلبي. كان رئيسـاً لأطباء الدولة العثمانية

من كتبه /١ـ برء ساعة في الطب . ٢ـ كتاب غاية الأتقان في تدبير بدن الأنسان في علم الأمراض .

يحتوي الكتاب الأخير قسماً من ٢٨ فصلا له علاقة با لأطفال تحدث فيها عن تدبير الأطفال وامراضهم .ليس في اقواله جديد أو اضافة وانما جمع وخلاصة لما ذكره الأطباء العرب والمسلمين واليونان ممن سبقوه .

الفصل السادس:

القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين

القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين

لقد عني الفلاسفة والعلماء والفقهاء العرب والمسلمون عناية بالغة بشؤون التعليم والتهذيب والإصلاح .اشتهر منهم في المشرق العربي من أمثال، الفارابي في كتابه(إحصاء العلوم) ،وابن مسكوية في كتابه: « «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»والغزالي في كتابه «احياء علوم الدين» ورسالته « ايها الولد» والخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» والحسن البصري الماوردي في كتاب «ادب الدنيا والدين» و كتب علي بن العباس المجوسي فقرات في كتابه: « كامل الصناعة الطبية» عن تعليم الطفل، واحمد بن محمد البلدي خصص لتربية الطفل فصولا في كتابه :« تدبير الحبالى والأطفال و الصبيان»، ثم جاء ابن سينا بمؤلفه «تدابير المنازل اوالسياسات الأهلية» وقد أفرد فيه فصلافي سياسة الرجل ولده» كما خصص فصلا في كتابه القانون لتربية الأطفال سماه« التعليم الأول في التربية» أما في المغرب العربي فقد كتب الكثير من الكتاب والفلاسفة في تربية الطفل علىرأسهم محمد بن سحنون من أعلام المغاربة في اواسط المائة الثالثة الف كتاباً مشهوراً سماه «آداب المتعلمين » واعتمد عليه من جاء بعده في تعليم الإحداث كما عرف القابس القيرواني بكونه من اعلام اواسط المائة الرابعة في المغرب وهو مؤلف كتاب «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين»، وهناك القرطبي الأندلسي في كتابه «جامع اشتات العلم وفضله»، وابن الجزار القيرواني الذي كتب فصلا عن تربية الطفل في كتابه «سياسة الصبيان وتدبيرهم» والفيلسوف ابن خلدون أورد فقرات في التعليم والتربية للأحداث وذلك في مقدمته المشهورة، وخير من كتب في هذا الموضوع برهان الدين الزرنوجي في رسالته تعليم المتعلم طريق التعلم.

ادرك الفلاسفة والمربون العرب والمسلمون بأن هناك عوامل ذاتية لابد من توفرها في المتعلم لكي يمضي في تعليمه وجهة صحيحة ومتكاملة واهم هذه العوامل في نظرهم:

١ - الدافعية والنشاط الذاتي والذكاء :

أدرك الخطيب البغدادي ماادركه المحدثون من علماء النفس الان من انه «لاتعلم بدون دافع ، ذلك ان التعلم تغير في السلوك ينجم عن نشاط يقوم به الفرد لايقوم بنشاط من غير دافع» .. كما أدرك بأن التعلم الجيد هو ماكان له هدف مقصود .

وقد استخدم الخطيب من مفردات العربية مايحمل معنى الدافع مثل النية والمبادرة والأغتنام والرغبة والهمة والعزيمة وغيرها كالحاجة والأشتهاء قال الخطيب« اذا اشتهى التعلم بنشاط عاد اليه» (٦٩) ولمثل هذا ذهب الماوردي فقال «فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم ، كانت نتيجتها درك النجباء وظفر السعداء» (٨٧).

وعلى الرغم من اعطاء المربين المسلمين الدافعية اهمية خاصة الا انهم اكدوا بأن للنشاط والجهد الذي يبذله المتعلم أثراً فاعلا في تحقيق التعليم الجيد يقول الخطيب البغدادي «واذا اشتهى التعلم مع نشاط يكون قد ثبت في قلبه مايسميه ويحفظه» (٤١)م٢ص٩٤.
وكذلك أكدوا على أهمية الموهبة والذكاء مبينين ان الذكي اقدر على التحصيل العلمي واسرع فهما يقول الأمام الشافعي(يحتاج طالب العلم الى ثلاث خصال اولهما طول العمر والثانية سعة اليد والثالثة الذكاء» (٤١م٢ص٩٤).

والمعلم في رأي الخطيب البغدادي قادر على أكتشاف الأذكياء وعليه الأهتمام بهم يقول «فكما ان الشمس لايخفى ضوءها وان كانت تحت السحاب ، فكذلك الصبي لاتخفى غريزة عقله وان كانت مغمورة بأخلاف الحداثة» ويقول

«وان كان في جملة المتفقهة (المتعلمين) حدث أو صبي له حرص على التعلم أو انس الفقيه منه ذكاء أو فطنة فليقبل عليه ويصرف اهتمامه اليه» (٤١م٢ص١٣١).

ويربط الخطيب البغدادي بين قدرة الفرد على الحفظ وبين ذكائه فيقول « كما لاينبت المطر الكثير من الصخر ، كذلك لاينفع البليد كثرة التعليم» (٤١ص٩٥) كما ينصح المتعلم

«ان يتثبت في الأخذ (عن المعلم) ولا يكثر بل يأخذ قليلا قليلا حسب مايحتمله حفظه ويقرب من فهمه» (٤١م٢ص١٠١).

٢ ـ الحالة الجسمية والنفسية :

من الثابت علمياً اليوم بأن للحالة الجسمية أثر مباشر في التطور العقلي وتكوين الشخصية. فالتعب يؤثر في دقة التمييز والجوع يسبب قلة التركيز . وقد تنبه المربون والأطباء المسلمون الى ذلك فهذا الخطيب البغدادي يؤكد على طالب العلم « ان يتفقد من نفسه حال الجوع ، فأن بعض الناس اذا اصابته شدة الجوع لم يحفظ» (٤١م٢ص١٠٤).

ويحذر في الوقت نفسه من كثرة الأكل بقوله « ولا يكثر الأكل ... واياك والبطنة فأنها تعمي الفطنة» واما عن تأثير التعب على المتعلم فيوصي طالب العلم «ان يشفق على نفسه من تحميلها فوق طاقتها ، ويقتصر من التعليم على مايبقي عليه حفظه ويثبت في قلبه (٤١م٢ص١٠٨).

وادرك ايضاً ان الأنفعالات الشديدة تترك أثاراً ضارة على عملية التعليم فقال ان الفرد . اذا كان (مفهوماً او مشغول القلب أو قد بطر فرحا أو امتلأ غضباً لم يقبل قلبه ماسمع » (٤١ص٢) ويحذر من سؤال المتعلم عندما ينتابه الغضب أو الفرح فيقول

«وليتق سؤاله عند الغضب.... كذلك لا يسأله حين يشتد فرحه لانه في تلك الحال يتغير فهمه» (٤١م٢ص١٤٢).

اما القواعد والأسس التي اتبعها وسار على ضوئها هؤلاء الأعلام في تدريس وتربية الأجيال العربية التي رفعت رايات العلم والمعرفة ردحاً طويلاً من الزمان . فهي

١ ـ بداية سن التعليم :

لم تحدد سن لبدء تعليم الطفل ، فكان بعض الآباء يرسلون أولادهم للتعلم حيناً في الخامسة من عمرهم وأحياناً أخرى في السادسة أو السابعة ، ولم تلزمهم الحكومة بإرسالهم في سن معينة . وقد انتقد العبدري في كتابه : «مدخل الشرع الشريف» الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب قبل السنة السابعة من العمر ، قائلاً : «إن سن السابعة هي السن التي يكلف

فيها أولياء الأمور تعليم الأولاد الصلاة والفضائل من الأخلاق ولكن الأطفال يذهبون الآن للتعليم في سن مبكرة ، فليحذر المدرس من تعليمهم القراءة في سن مبكرة ، لأن تعليمهم المبكر في الرابعة أو الخامسة يرهقهم جسمياً وعقلياً» .

والتربية الحديثة اليوم تؤكد مارواه العبدري من علماء الإسلام قديماً في نقد التبكير في إرسال الأطفال إلى المدارس في سن الرابعة أو الخامسة ، وإذا أرسلوا في تلك السن فإنهم يرسلون إلى رياض الأطفال ليلعبوا ويتعلموا بطريقة اللعب في التربية (١ص١٩٢) .

٢ ـ التلقين والتحفيظ والأرشاد والمذاكرة

لقد اعتمد المعلمون على طريقة التلقين والحفظ وذلك لتفضيل العرب الاعتماد على الذاكرة كما ورد في كثير من أحاديثهم ، وأسباب ذلك كما نعتقد هو عدم توفر الكتب الكافية وصعوبة الاستنساخ والكتابة ، وقد اجتهد العرب في تطوير هذه الطريقة إذ جعلوها على مراحل وكان الأسلوب الشرحي خاصاً بالمراحل العليا من التعليم» (٦٧ص٨٨) .

ونصح الخطيب البغدادي المعلمين بتزويدهم بكل مايوضح لهم المعنى ويبسطه بقوله ((ان لم يفهموا الا بالتمثيل مثل لهم)) (٤١م٢ ص١٢٥) .

٣ ـ السير من المحسوس إلى المجرد

لقد أكد ابن خلدون على أن الابتداء بالأمثلة الحسية التي تعين المبتديء على فهم مايلقى إليه (٧٠) وأكد المربون المسلمون على أهمية الارشاد كعامل مساعد على التعليم الجيد وجاءت التجارب الحديثة لتثبت صحة ماذهبوا اليه من التعلم المقترن بارشاد افضل من التعلم بدونه .

كما اكدوا على اهمية تكرار مايحفظه المتعلم ليبعد عنه النسيان يقول الخطيب البغدادي ينبغي للمتعلم ((أن يرافق بعض اصحابه الذين يحضرون معه لسماع الدرس فيذاكر كل واحد منهما صاحبه)) (٤١م٢ص١٢٧) .

وورد في رسائل إخوان الصفا أيضاً أن السير في التعليم من المحسوس إلى المجرد ومن الحسي إلى النظري والاعتماد على جميع الحواس الخمس في اكتساب المعلومات (٦٨ ص٢١٣) هو الأساس في طريقة التعليم وقد أثبتت التجارب التربوية الحديثة صحة ماذهبوا اليه .

٤ـ المدة التي يمكثها الطفل في الكتاب :

لم تكن هناك مدة محدودة يمكثها الطفل للتعلم في الكتاب فقد كان الطفل يرسل إلى المكتب فيتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، ثم يأخذ في حفظ السور القصيرة ، ويستمر في حفظه حتى يحفظ بعضه أو كله ، وقد يستمر الصبي في الكتاب إلى سن المراهقة، ويتعلم دروس الدين وبعض الأحاديث والحساب والنحو والشعر (١ص١٩٣) .

٥ ـ اختلاف الطرق والاساليب تبعاً لسن المتعلمين :

لقد أدرك العرب أن مفاهيم الطفل تختلف عن مفاهيم وخبرات الكبار ، لذلك فقد اختلفت المواد التدريسية تبعاً لذلك وقسم التعليم إلى مراحل تناسب سن الطفل .

وممن نادى بذلك المبدأ الغزالي حيث تحسس الفرق بين إدراك الصغار وإدراك الكبار فقال : «إن من أول واجبات المربي أن يعلم الطفل مايسهل عليه فهمه ، لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من المعلم» ويعد هذا الرأي من أهم الآراء في التربية الحديثة في القرن العشرين ، ويشاركه العلامة ابن خلدون في هذا المبدأ فهو يرى أيضاً مراعاة إدراك الطفل ومستواه عند التدريب» حيث يقول :

«وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ، ويطالبون ذهنه بحلها ، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصوباً فيه ... فإن قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجياً ، فيكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم جملة ، إلاالأقل ،وعلى سبيل التدريب والإجمال بالأمثلة الحسنة ، ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفته مسائل ذالك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم التحصيل» فالغزالي وابن خلدون وغيرهما يرون أن تفكير الطفل يخالف الرجل ويجب مراعاة ذلك في طرق التدريس (١ص١٩٣) .

٦ ـ فردية التعليم ومراعاة ميول الطفل :

أو بعبارة أخرى جعل الفرد محوراً للطريقة وأساساً لها حيث أكد معظم المربين على ذلك وأشاروا إلى دراسة ميول وقابليات الأطفال ومراعاة ذلك لمعرفة استعداد الفرد وقبوله لما

يرد عليه (٦٨ص ١٤٦ –٢١٤) . فبين ابن خلدون أن مطالبة الأطفال بدراسة المسائل الصعبة التي هي فوق مداركهم تؤدي إلى إجهادهم إجهاداً عقلياً ، وإلى كراهيتهم الدائمة للمعلم والتعليم ونادى بأن تكون المادة مناسبة في سهولتها وصعوبتها لإدراك الطفل . كما طالب علماء التربية العرب والمسلمين بمراعاة استعدادات المتعلم الفطرية وقدراته الطبيعية عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته .

و نادى ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الطفل ، وجعل ذلك أساساً لإرشاده و تربيته يقول : «ليس كل صناعة يروقها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ماشاكل طبعه وناسبه ، ولذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك» (٦) .

ويقول المجوسي : «فإذا أتى على الصبي اثنا عشر سنة فينبغي أن يراض الصبي فيما يحتاج إليه من التعليم والتعرف» (٨٩ص٥٨) . ويقول الزهراوي في المقالة الثانية من التصريف ((وينبغي لمعلم الصبيان اذا رآه قد مالت نفسه الى علم من العلوم وألفته طبيعته ، فينبغي له ان يزيده بصيرة فيه ويعينه عليه فإنه يتمهر فيه ، وكذلك ان رأيناه ينافر علماً ما ولا تنفذ فيه بسرعة وتتنافر معه طبيعته ، فينبغي للمعلم الا يرغمه عليه))

وأقوال ابن القيم سبق أن ذكرناها تؤكد أيضاً نفس هذه المعاني .

وهنا نلمس أن التربية عند العرب والمسلمين لاتختلف عن التربية الحديثة في مراعاة مستوى الطفل وحسن اختيار المادة له، والتدرج معه في الدرس على قدر استعداده ، وإعطاء الذكي فرصة في إتمام تعليمه بأي وسيلة وتوجيه الغبي إلى الاشتغال بالناحية العملية بعد اختبار ذكائه ، وأن فكرة الاختبارات العقلية أو مقاييس الذكاء التي نفخر ونتباهى بها في القرن العشرين قد روعيت في العصور الذهبية للتربية الإسلامية بطريقة عملية ، ولا أبالغ إذا قلت أن فلاسفة الأسلام نادوا بما ننادي ونفخر به اليوم (١) .

٧ – التدرج في التعليم وعدم المزج بين علمين في وقت واحد :

وذلك لأنه أيسر على المتعلم تفرغه إلى العلم الواحد حتى يتقنه ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى غيره ويكون تلقين العلوم تدريجياً قليلاً قليلاً (٦٣) . وهذا مايريده علماء التربية اليوم من قولهم «الانتقال من السهل الى الصعب »

نذكر فيما يلي قول الزهراوي في ذلك في المقالة الثانية من كتابه التصريف ، يقول :

((ويدفع الصبي الى معلم دين فاضل لين العريكة حسن الأخلاق رحيماً رقيقاً ، يعلمه اولاً كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام ، ثم النحو ولغة العرب ... فاذا احكم دينه ومنهاجه دفع الى معلم يعلمه الحساب ثم الهندسة ثم علم النجوم ثم علم اللحون ، هذه العلوم الأربعة الرياضية ، فاذا ارتاض فيها وجاوزها ، فعلم المنطق والفلسفة ، ثم ماأحب بعد ذلك من سائر العلوم كالطب وغيره)) .

٨ - اللعب والترويح عن النفس والرياضة :

لقد أحس علماء التربية العرب والمسلمون بأن الطفل في حاجة إلى اللعب والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه ليزيل مايحس به من السآمة والملل أو التعب .

يقول الغزالي في ذلك : «وينبغي أن يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب الكتب ، بحيث لايتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائماً يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً» (٧٦) .

ويكون بذلك قد سبق علماء النفس في القرن العشرين ، وقد نادى العبدري أيضاً بضرورة اللعب والترويح عن النفس بعد ساعات الدرس ويقول ابن سينا في ذلك : «إذا أتى عليه من أحواله ستسنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم ويدرج أيضاً على ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة يكون هذا النهج في تدبيرهم إلى أن يوافوا الرابع عشر من سنهم» (٧ ج١ص١٥٧) .

وعن الرياضة تكلم غالبية المربين والأطباء العرب . على سبيل المثال :

يقول المجوسي : «يفعل ذلك إلى أن يبلغ أربع سنين فإذا جاوز ذلك وصار إلى حد التعليم فينبغي أن يطلق له اللعب مع أقرانه قبل أن يغتذي ثم تحممه بالماء الحار المعتدل الحرارة » ثم يقول : « وإذا جاوز الصبي هذه السنين وبلغ سبع سنين فينبغي أن يستعمل الرياضة التي لاسرف فيها ويحم بالماء المعتدل الحرارة ... ولا نطلق له الرياضة بعد الغداء» (٨٩ص٥٨) .

ويقول الغزالي في ذلك : «ويعود الصبي في بعض النهار بالمشي والحركة والرياضة حتى لايغلب عليه الكسل» (٧٦) .

ومما قاله ابن سينا في هذا الصدد : «الرياضة حركة إرادية تضطر التنفس العظيم المتواتر والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية» (٧ج١ص٥٨) .

أما البلدي فإنه يتكلم عن أنواع الرياضة وأوقاتها كلاماً في غاية الدقة العلمية حيث يقول : «إن الرياضة والحركة يجب أن يكون استعمالها في كل واحد لا في الأطفال والصبيان فقط عند انهضام الأغذية المتقدمة في أبدانهم وانحسارها عن معدتهم ... وقبل استحمامهم ... وأصناف الرياضة ثلاثة ... إما أن تكون من أنفسنا ، وإما أن تكون من غيرنا ، وإما أن تكون بالأدوية ... فأما الحركة من غيرنا كحركة ركوب الخيل وركوب السفن والمهود والمراجيح فليس بموافق لجميع الأبدان في جميع الأوقات ... وأما الحركة عن النفس فأول مايقوى الصبيان على أن يتحركوا من قبل أنفسهم فمنذ يبتدئون يجسرون ويزدادون قوة على ذلك أذن بالمشي ... فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه ويصفق بيديه ولا إن أضطررته وحصرته .. فإذا أتى للمولود من مولده ثلاث أو أربع سنين احتمل ماكان من الحركة والرياضة بالسفر بمقدار معتدل فاذا تجاوز الصبي ذلك حتى تأتي له ست أو سبع سنين فقد يحمل من الحركات ماهو أقوى من ذلك حتى أن يصير قوياً «على أن يألف ركوب الخيل» (٢٠ص٢١٤ — ٢١٥) .

ولقد كثرت ألعاب اطفال العرب حتى ليصعب على المستقصي إحصاؤها وليس للمتحقق من شك في ان امة كالعرب اشتهرت بالشجاعة والبراعة والفروسية والسعي وببسطة الأجسام والصحة التامة. قد كثرت العاب أطفالها كثرة عظيمة لوثاقة الصلة بين الألعاب والقوة والفتوة والرياضة البدنية ولسنا بصدد ان نذكر هذه الألعاب (٣) هنا لضيق المجال ، ونكتفي بأن نضرب مثلا على اهتمامهم بلعب الأطفال ، وجود سوق خاص للعب الأطفال في بغداد أيام المقتدر (٣٣ص٣٧).

المباديء الأساسية في تهذيب أخلاق الصبي وتربيته :

تتميز التربية الأسلامية بـانها «اداة صياغة الأنسان ورعاية نموة الجسمي والعقلي والأجتماعي والنفسي بما يتلائم وفطرته التي فطره الله عليها ووفق تصور الأسلام وتعاليمه ومبادئه التي ارتضاها الخالق سبحانه لتوجيه قدرات الأنسان وتنمية استعداداته وتنظيم طاقاته في اطار عملية تكييف خال من كل اشكال الصراع والقلق والتوتر، متسم بالأمن والشعور التام بالطمأنينة نتيجة اشباع الأنسان لحاجياته المختلفة بصورة مشروعة ومتوازنة بحيث ينمو الفرد متوافقاً مع نفسه من جهة ومع مجتمعه الذي يعيش به من جهة أخرى» (٦٩).

نجد هذه الميزة بصورة جلية في اراء فلاسفة العرب والمسلمين في باب تهذيب اخلاق الصبي نذكر فيما يلي بعضاً من اراءهم ضمن امور خمسة هي /

١ ـ العناية بالتربية الخلقية من الطفولة :

لقد أحس فلاسفة التربية العرب والمسلمون بأهمية المرحلة الأولى من الطفولة في التربية الخلقية وتعويد الأطفال العادات الحسنة من الصغر، واتفقوا جميعاً على ضرورة العناية بتربية الأطفال تربية كاملة في أول مرحلة من حياتهم يقول ابن الجوزي في كتابه (الطب الروحاني) : « أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما اذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً» (١ص١١٥).

ويقول الغزالي في ذلك : « وان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشأته خرج في الأغلب رديء الأخلاق» .

يقول ابن مسكويه في مكارم الأخلاق والتأديب لتصدر الأفعال كلها جميلة عن الإنسان في فصل «تأديب الأحداث والصبيان خاصة» « ان نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء الى شيء ، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها ، فالأولى بمثل هذه النفس ان تنبه ابداً على حب الكرامة»

ويقول ابن الجزار في ذلك : « وقد نرى من الصبيان محباً للكذب وترى منهم محباً للصدق ويرى فيهم أختلاف في الأخلاق ومضادة كثيرة بالطبع فما معنى ذلك ،

ويحبذ في ان يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر وانت ترى منهم مثل هذا بالطبع من غير تعليم ولاتأديب افترى الأدب ينقل الطبع المذموم الى الطبع المحمود؟ »

« فنقول لقائل هذه المقالة ، اما ماذكرت من طبائع الصبيان واختلا فهم وقولك أفترى الأدب ينقل الطبع المذموم الى الطبع المحمود؟ فلعمري انه لكذلك ،وانما أوتي صاحب الطبع المذموم من قبل الإهمال في الصبيان وتركه مايعتاد مما تميل اليه طبيعته فيما هي مذمومة اويعتاد أشياء مذمومة أيضاً لعلها ليست في غريزته ، فإن أخذ في الأدب بعد غلبة تلك الأشياء عسر انتقاله ولم يستطع مفارقة ما اعتاده في الصبا» .

«فلذلك أمرنا نحن ان يؤدب الصبيان وهم صغار لأنهم ليس لهم عزيمة تصرفهم لما يؤمزون به من المذاهب الجميلة والأفعال الحميدة والطرائف المثلى اذا لم تغلب عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم اتباع ما يراد بهم من ذلك »ثم يقول :

« ان الإنسان الى العادة اميل وعليها أحرص وبها اشد تمسكاً» (٨٥ص١٣٥–١٣٨) .

يقول المجوسي في ذلك: « واذا جاوز الصبي هذه السنين بلغ سبع سنين ... ويعودوا الأخلاق الجميلة ويردعوا عند الغضب والغمة والشؤون» (٨٩ص٥٨).

٢ – وسائل التربية الخلقية :

ان للتربية الخلقية في الإسلام وسائل منها :

١–**الطريقة المباشرة:** وهي طريقة الوعظ والإرشاد والنصح ، وذكر الفوائد والمضار والحث على التحلي بمكارم الأخلاق وتجنب الرذائل (١ص١١٥).

هذا التوجيه أو النصح المباشر ضروري ليتعلم الطفل كيف يسلك سلوكاً يتفق مع جنسه وسنه ومرحلة نموه ومتطلبات حياته اليومية دون انحراف عن القواعد والأعراف الأجتماعية.

واول ماهو مطلوب هنا رعاية عقيدة الأيمان في نفوس الأبناء بتعليمم شيئاً من القرآن الكريم ومواقف ملائمة من حياة الرسول (ص) واصحابه. اوصى الأمام الغزالي في احياء علوم الدين «بتعليم الطفل القرآن الكريم واحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وبعض الأحكام الدينية» ويقول في هذا المقام «الصبي امانة عند والديه، وقلبه الطاهر ، جوهرة

نفيسة . فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك»

ب - **الطريقة غير المباشرة** : وهي طريقة الإيحاء. كأن يلقن الأطفال أحسن الشعر في الحكم. وأحسن النصائح والأخبار ويمنعوا النظر في الشعر السخيف وقد ثبت في علم النفس ما للطريقتين من أثر كبير في تربية الطفل (١ص١١٦) .

وقد أولى المربون المسلمون الأيمان اهمية فأكدوا على اصطحاب الطفل الى المساجد لتنطبع في شعوره كل تفاصيل العبادات التي تؤدى في المساجد وتختلط اختلاطاً تاماً بوجدانه. واحبوا من الأب ان« يحمل الصبي على صحبة الأشراف والعلماء» ليتعلم ماهو متوقع من هؤلاء الأشراف والعلماء .

وحذروا من صحبة الطفل للمجرمين والفساق والسفهاء والجهلاء حيث يمتص الطفل من مخالطيه قيمهم ومعاييرهم يقول ابن الجوزي «وليحذر من مصاحبته للجهال والسفهاء فأن الطبع لص» «والطبع يسرق من المخالطة »وتلك حقيقة تربوية تتعلق بطبيعة الأنسان ، الذي يولد ولديه حاجة نفسية لأن يشبه الأشخاص الذين يخالطهم» .(٦٩).

جـ - **المحاكاة:** ان للمحاكاة اثراً كبيراً في التربية الخلقية والعقلية وذلك لأن التقليد عامل رئيسي في المرحلة الأولى لتكوين المادة ، فالطفل يرى الشيء يفعل امامه فيحاكيه ويكرره حتى يصير عادة له ، لهذا اوصى ابن سينا بما ينادي به علم النفس اليوم بأن المقلد يجب ان يكون قدوة طيبة ونموذجاً حسنا ، حتى لايترك اثراً سيئاً في نفس الطفل المقلد حيث ثبت في علم النفس ان القدوة تبني الطفل ان كانت خيرة صالحة ، وتهدمه ان كانت فاسدة لانه بطبيعته يحاكي مايحدث في المجتمع الذي يحيط به ، حسنا كان اوقبيحاً فهو يحاكي من يعيشون معه اويتصلون به من حيث لايشعر اويشعرون .

د - **اختيار المرضعة** : ان الأطباء والفلاسفة العرب والمسلمون يؤكدون على تأثر الطفل بالحالة النفسية للمرضع ، لذا نجدهم قد اشترطوا على المرضع ان تكون حسنة الأخلاق بعيدة عن الأنفعالات الرديئة ، فمثلا يقول ابن سينا في ذلك: فان تكون حسنة

الأخلاق محمودتها بطيئة عن الأنفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فان جميع ذلك يفسد المزاج وربما اعدى بالرضاع » .
(٧ص١٥٢) .وبذلك يكون ابن سينا قد سبق علماء النفس الحديثين في اثبات هذه الحقيقة.

٣ ـ اختيار أصدقاء الطفل :

او صى ابن سينا باختيار البيئة التي تتصل بالطفل وخاصة اختيار الأطفال المهذبين الذين يختلط بهم في المدرسة يقول في ذلك : « ان يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم ، لأ ن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه اخذ وبه آنس » . ويقول الغزالي في ذلك : « واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء » .

ويؤكد على ابعاد الطفل عن الصبية المتنعمين والمترفين لأ ن النعيم والترف والرفاهية لاتدوم .

٤ ـ أثابة الطفل :

اقرت التربية الأسلامية اثابة الطفل على سلوك حسن يأتيه ، وتأييده وتشجيعه عندما يتصرف وفق ماهو متوقع منه ، وذلك لان الثواب يشجع الأستجابات المحببة للثواب ويعزز السلوك المطلوب وبمثل هذا نادى الغزالي ، والعبدري ، وكثيرون وعلى سبيل المثال يقول ابن مسكويه « ويمدح هو أي الطفل) اذا ظهر شيء جميل منه ... ثم يمدح بكل مايظهر منه من خلق جميل ، وفعل حسن ، ويكرّم عليه » (١١ص٢٠) وفي تبيان الغاية من اثابة الطفل كما يقول القابسي « ليعرف وجه الحسن من القبيح فيدرج في اختيار الحسن » . (٨٠ ورقة ٥٨ب) .

٥ ـ عقوبة الطفل وتأديبه :

ان الغرض من العقوبة في التربية الأسلامية هو الأرشاد والأصلاح ، لاالزجر والأ نتقام ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الأقدام على معاقبته وشجعوه على ان يشترك بنفسه في ان يصلح الخطأ الذي اخطأه . كما اجمعوا على ان الوقاية خير من العلاج ، ولذلك نادوا باتخاذ كل وسيلة لتأديب الأطفال وتهذيبهم من الصغر

لكي لايكون حاجة الى عقابهم ،وخير مثال لما ذكرنا هي الصورة الكاملة في تربية الوليد والتي ذكرها في كتابه : « السياسة » والتي سبق ان ذكرناها . فقد سبق بذلك ابن سينـا فلاسفة التربية في القرن العشرين في المناداة بالعناية بتربية الطفل تربية حقة منذ السنوات الأولى من طفولته ، كما ان آراءه في العقوبة من حيث عدم معاملة من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة ، ومراعاة الحيطة والحذر عند الحكم على الطفل في غايـة الحكمة .

وللغزالي ايضاً هنا رأي جدير بالذكر حيث يقول : « ولاتكثر القول عليه بالعقاب في كل حين فانه يهون سماع الملامة ، وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه » .
اما ابن الجزار فانه يؤكد نفس المعنى في قوله : « فأما ان كان الصبي طبيعته جيدة اعني ان يكون مطبوعاً على الحياء وحب الكرامة والألفة محباً للصدق فإن تأديبه يكون سهلاً وذلك ان المدح والذم يبلغان منه عند الأحسان او الأساءة مالاتبلغه العقوبة من غيره فان كان الصبي قليل الحياء مستخفاً للكرامة قليل الألفة محباً للكذب عسر تأديبا ، ولابد لمن كان كذلك من ارغاب وتخويف عند الأساءة ، ثم تحقق ذلك بالضرب اذا لم ينجح التخويف » (٨٥ ص١٣٨) .

وينحو الزهراوي في المقالة الثانية من التصريف نفس المنحى اذ يقول : —

«وينبغي لوالد الطفل ان يعنى به منذ صغره ويأخذ بالأدب الحميد والسير الأفضـل لتصير بذلك عادته منذ الصغر ، لأن الصغير اسرع انقياداً واسلس قبولاً للأدب . فالعادة طبيعة ثانية كما تقول الحكماء ...» .

فهرس المصادر

المصادر

(١) الأبراشي — محمد عطية — التربية الأسلامية وفلاسفتها ، الطبعة الثانية .
القاهرة ١٩٨٩هـ — ١٩٦٩م :

(٢) البار — د . محمد علي — الوجيز في علم الأجنة القرآني — الدار السعودية للنشر.
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م .

(٣) البار — د . محمد علي — العدوى بين الطب وحديث المصطفى (ص) .
دار الشروق بيروت .

(٤) ابقراط — كتاب الأجنة — طبعة كامبروج ١٩٧٨ .

(٥) ابن ابي اصيبعة — عيون الأنباء في طبقات الأطباء .
دار الفكر — بيروت ١٣٧٦هـ — ١٩٥١م

(٦) ابن سينا — ابو علي الحسين — تدابير المنازل اوالسياسات الأهلية —
فصل في سياسة الرجل وولده

(٧) ابن سينا — ابو علي الحسين — القانون ، الأجزاء الثلاثة .
مكتبة المثنى — بغداد — طبعة بالأوفسيت — بدون تأريخ

(٨) ابن زهر — ابو مروان عبدالملك — كتاب التيسير .

(٩) ابن قرة — ثابت — الذخيرة في علم الطب .
المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٨

(١٠) ابن القف — العمدة في الجراحة . الطبعة الأولى — دائرة المعارف العثمانية

(١١) ابن مسكويه — ابو علي احمد بن محمد — تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق —
القاهرة ١٣٢٢هـ .

(١٢) ابن طفيل — ابو بكر عبدالملك — الأرجوزة في الطب (مخطوط) .

(١٣) ابن الأكفاني — غنية اللبيب عند غيبة الطبيب — منشورات مركز احياء التراث
العلمي العربي — بغداد ١٩٨٤ — تحقيق صالح مهدي عباس .

(١٤) الأنطاكي – داود – تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب العجاب .
مطبعة محمد علي صبيح – القاهرة ١٣٥٦هـ

(١٥) ابوالحب – الدكتور جليل كريم – حبة بغداد – مقال – مجلة المورد – العدد ٤ – المجلد ٧ / ٩ – .

(١٦) ابودان – السيد سعيد – الصرع عند العرب – بحث قدم للمؤتمر السنوي للجمعية السورية لتأريخ العلوم – حلب ٦ / ٧نيسان ١٩٧٧ .

(١٧) البدري – الدكتور عبداللطيف – الطب عند العرب (سلسلة الموسوعة الصغيرة وزارة الثقافة ، بغداد) .

(١٨) البدري – الدكتور عبداللطيف – الطب الأكدي .

(١٩) البلاذري – معجم البلدان .

(٢٠) البلدي – احمد بن محمد – تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم – تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد بغداد – وزارة الثقافة ١٩٨٠ ، طبعة اولى .

(٢١) البغدادي – ابن هبل – المختارات في الطب ،
الطبعة الأولى – دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٣هـ

(٢٢) البغدادي – عبداللطيف – مقالتان في الحواس – تحقيق بول غليونجي – د سعيد عبدة الكويت – ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م .

(٢٣) البغدادي – عبدالله بن قاسم الحريري الأشبيلي – نهاية الأفكار ونزهة الأبصار القسم الأول والثاني – تحقيق الدكتور مصطفى شريف العاني – الدكتور ، حازم البكري – وزارة الثقافة – بغداد ١٩٧٩ .

(٢٤) التنوخي – ابي علي المحسن – نشوار المحاضرة ج٤ .

(٢٥) توبنجن – مانفرد اولمان – الرواية العربية لاعمال روفس الأفسيس – ترجمة رضوان السيد – بحث قدم للندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب – حلب ٥ – ١٢ / ٤/ ١٩٧٦ .

(٢٦) الجاحظ – ابي عمر بن بحر – البرصان والعرجان والعميان والحولان – تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الرشيد – بغداد ١٩٨٢ .
(٢٧) الجابري – علي حسين حسن – الغزالي ووصاياه التربوية في رسالة أيها الولد – بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي – البصرة ١٣ – ١٥ / ١ / ١٩٧٩ .
(٢٨) الجراري – عبدالله بن العباس – تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاوربا دار الفكر العربي ١٩٦١م – ١٣٨١هـ.
(٢٩) الجوزية – ابن القيم – تحفة المودود باحكام المولود .
دار الكتب العلمية – بيروت
(٣٠) جواد – الدكتور مصطفى – الطفل عند العرب – بحث طبع ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة ٩ – ١٣ / ١١ / ١٩٧٩ . بغداد .
(٣١) الحاج قاسم محمد – الدكتور محمود – مقال الأمراض المعدية عند العرب والمسلمين مجلة المورد ، العدد ٩ ، المجلد ٤ ، السنة ١٩٨١ .
(٣٢) حداد – سامي – مآثر العرب في العلوم الطبية .
(٣٣) حسن – الدكتور كمال – الطب المصري القديم – المجلد الأول والثاني .
(٣٤) حسين – الدكتور محمد كامل مع مجموعة من المؤلفين – الموجز في تاريخ الصيدلة عند العرب الطبعة الأولى – ليبيا .
(٣٥) حسين – الدكتور محمد كامل ، الدكتور محمد عبدالحليم العقبي – طب الرازي – دراسة تحليلية دار الشروق – ١٩٧٧ .
(٣٦) حمارنة – الدكتور سامي خلف – تاريخ الطب والصيدلة عند العرب .
(٣٧) حمارنة – الدكتور سامي خلف – فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية .
(٣٨) حمارنة – الدكتور سامي خلف – ابو الفرج ابن القف .
(٣٩) حمارنة – د. نشأت – وصف الحول عند الصبيان في المصادر العربية ، ابحاث ندوة الطفل في الطب العربي – طرابلس – ليبيا – ١٩٨٢

(٤٠) خيرالله — الدكتور امين اسعد — الطب العربي بيروت ١٩٤٦ .
(٤١) الخطيب البغدادي — ابوبكر احمد بن علي — كتاب الفقيه والمتفقه — الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٧٥ .
(٤٢) داغر — اسعد — حضارة العرب .
(٤٣) الديوجي — سعيد — التربية والتعليم في الأسلام — محاضرة القيت في جمعية رابطة العلماء — فرع الموصل ٧ / ٨ / ١٩٧٤م
(٤٤) ديورانت — ول — قصة الحضارة ج٤م٤ .
(٤٥) راديل — صموئيل اكس — مقال باللغة الأنكليزية — اول مخطوطة في طب الأطفال — مجلة طب الأطفال الأمريكية — المجلد ١٢٢ — تشرين الثاني ١٩٧١
(٤٦) الرازي — ابوبكر محمد بن زكريا — الحاوي في الطب ج١ . دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م
(٤٧) الرازي — ابو بكر محمد بن زكريا — الحاوي في الطب ج٧ .
(٤٨) الرازي — ابوبكر محمد بن زكريا — الحاوي في الطب ج٩ .
(٤٩) الرازي — ابوبكر محمد بن زكريا — رسالة في امراض الأطفال ومعالجتهم — ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد طبع بالرونيو — بغداد ١٩٧٩ .
(٥٠) الرازي — ابوبكر محمد بن زكريا المنصوري — مخطوطة الأسكوريال .
(٥١) الرازي — ابوبكر محمد بن زكريا — كتاب في الجدري والحصبة .
(٥٢) الزهراوي — ابو القاسم خلف — التصريف لمن عجز عن التأليف — طبعة لندن معهد ويلكم — ١٩٧٣ .
(٥٣) زايد — عبدالحميد احمد — مقال المآثر الرياضية في مصر القديمة — مجلة عالم الفكر — المجلد ١٠ العدد ٤ السنة ١٩٨٠ .
(٥٤) زين العابدين — الدكتور وجيه — الأسلام والطفل .
(٥٥) السامرائي — الدكتور كمال — مقال الطب القديم في وادي الرافدين — مجلة المهن الطبية ج١ ١٩٦٥ .

(٥٦) السامرائي — الدكتور كمال — الأمراض النسوية في التاريخ القديم — الموسوعة الصغيرة ٩١ — دار الجاحظ — بغداد ١٩٨١ .
(٥٧) السيوطي — الجامع الصغير
(٥٨) شحاتة — الدكتور عبدالكريم — الأمراض الجلدية عند الأطفال في التراث الطبي العربي — ابحاث ندوة الطفل في الطب العربي — طرابلس — ليبيا — ١٩٨٢
(٥٨) الشطي — الدكتور احمد شوكت — تذكرة في تاريخ الطب قبل الأسلام .
(٦٠) الشطي — الدكتور احمد شوكت — الأسلام والطب .
(٦١) شلتوت — محمود — من توجيهات الأسلام .
(٦٢) الصفار — عبدالرزاق قاسم — تربية الطفل ورعايته في الأسلام — بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي — البصرة ١٣ — ١٥ — ١ / ١٩٧٩
(٦٣) الطائي — فخرية جميل — مي يوسف عبود — تربية الطفل في التاريخ العربي بحث قدم للحلقة آنفة الذكر .
(٦٤) الطبري — احمد بن محمد — المعالجات البقراطية — مخطوطة دار الكتب المصرية .
(٦٥) الطبري — علي بن ربن — فردوس الحكمة . برلين ١٩٢٨
(٦٦) طلس — محمد اسعد — التربية والتعليم في الأسلام .
(٦٧) طوطع — خليل — التربية عند العرب .
(٦٨) عبد الدايم — عبدالله — تاريخ التربية .
(٦٩) عبدالعال — د . حسن ابراهيم — التعلم عند الخطيب البغدادي — مقال مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد ١٠ — ١٩٨٣ .
(٧٠) عاقل — فاخر — ملامح من التربية العربية — مقال مجلة العربي عدد ٢٠٥ ، السنة ١٩٧٠ .
(٧١) علي — الدكتور جواد — تاريخ العرب المفصل ج٦ ، ج ٨
(٧٢) العمراني — الدكتور عبدالله محمد — مقال الطب الأندلسي نظرياته وتطبيقاته من ابحاث مؤتمر الطب الأسلامي الثاني في الكويت ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م.

(٧٣) علي – الدكتور داود سلمان – مقال كيف مارس العرب طب الأذن والحنجرة مجلة المهن الطبية ١ – ١٩٦٤ .
(٧٤) العقاد – عباس محمود – عبقرية عمر – دار الهلال ١٩٦٩ .
(٧٥) الغزالي – ابوحامد – رسالة ايها الولد – مطبعة المعارف –بغداد ١٩٦٩
(٧٦) الغزالي – ابوحامد – احياء علوم الدين ج٣ .
(٧٧) غليونجي – د.بول – الجنس والنموفي طب العصر الأسلامي – ابحاث ندوة الطفل في الطب العربي – طرابلس – ليبيا – ١٩٨٢ .
(٧٨) الغوابي – الدكتور حامد – بين الطب والأسلام – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٧ .
(٧٩) فروخ الدكتور عمر – تاريخ العلوم عندالعرب
(٨٠) القابسي – ابو الحسن علي بن محمد – الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحلام المعلمين – ملحقة بكتاب التربية في الأسلام للدكتور – احمد فؤاد – الأهواني – الطبعة الثانية بمصر ١٩٧٥ .
(٨١) القرشي – ابن الأخوة – معالم القربة في طلب الحسبة – طبع كامبروج ١٩٣٧
(٨٢) القرطبي – عريب بن سعد الكاتب – خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين الجزائر – مكتبة فراريس ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م
(٨٣) القزويني – قوامالدين محمد الحسيني – المنظومة القوامية – مخطوط مكتبة اوقاف الموصل .
(٨٤) قطب – سيد – في ظلال القرآن– الطبعة الثانية ج٢ .
(٨٥) القيرواني – ابن الجزار– سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهيلة. مطبعة المنار – تونس ١٩٦٨م .
(٨٦) الكبيسي – الدكتورمحمد – مسالك الأسلام في بناء الشخصية الأنسانية من خلال عنايته بالطفل ، بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي – البصرة ١٣ – ١٥/ ١٩٧٩/١ .

(٨٧) الماوردي – الحسن البصري أدب الدنيا والدين– تحقيق مصطفى السقـا مكتبة الشرق الجديدة – بغداد – الطبعة الثالثة .

(٨٨) المبرد – ابوالعباس بن يزيد – الكامل في اللغة والأدب– الطبعة الأولى .

(٨٩) المجوسي – علي بن العباس – كامل الصناعة الطبية ج ١ .
المطبعة الكبرى بالديار المصرية – ١٢٩٤هـ

(٩٠) المجوسي – علي بن العباس – كامل الصناعة الطبية ج٢ .

(٩١) محفوظ – اللواء جمال الدين – تربية المراهق في المدرسة الأسلامية .

(٩٢) محفوظ – الدكتور حسين – نظرة الى الطفل في التراث العربي– بحث قدم للمؤتمر القطري للطفولة – بغداد ٩ – ١٣ – ١٢ – ١٩٧٩ .

(٩٣) منصور – احمد مختار – دراسة وتعليق على كتاب – التصريف – مجلة معهد المخطوطات مجلد ، ٢٦ ج ٢ .

(٩٤) نصار – الدكتور محمد عبدالستار – الطفولة في ضوء معطيات الأسلام – بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي–البصرة ١٣–١٥–١– ١٩٧٩ .

(٩٥) هونكة – سيغريد – شمس العرب تسطع على الغرب

(٩٦) وافي – الدكتور علي عبدالواحد – الوراثة وقوانينها في الجاهلية والأسلام ، مجلة الأزهر ج ٥ السنة ٦ العدد رجب ١٣٨٤هـ .

(٩٧) Carison-Introd-Hist-Med p-132·

كتب للمؤلف:

اولا – المطبوعة : –

١ – كتاب الموجز لما اضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به ، – مطبعة الأرشاد بغداد ١٩٧٤ .

٢ – كتاب تاريخ طب الأطفال عند العرب (طبعة اولى) وزارة الثقافة العراقية – بغداد ١٩٧٨ .

(طبعة ثانية – مزيدة ومنقحة) – دار تهامة – جدة – السعودية – ١٩٨٣ .

٣ – رسالة في امراض الأطفال والعناية بهم للرازي – ترجمة عن الأنكليزية – بغداد (طبع بالرونيو) ١٩٧٩ .

٤ – تحقيق كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم – لأحمد بن محمد البلدي .

الطبعة الأولى – وزارة الثقافة والأعلام العراقية – بغداد ١٩٨٠ .

الطبعة الثانية – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٧ .

٥ – كتاب امراض الطفل المعدية وتلقيحاته – مطبعة جامعة الموصل – نشر مكتبة بسام – الموصل – ١٩٨٥ .

٦ – الطب عند العرب والمسلمين ... تاريخ ومساهمات – نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٧ – كتاب الاورام والسرطان في الطب العربي الأسلامي – من اصدارات جمعية مكافحة السرطان العراقية – فرع الموصل – مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٧ .

٨ – كتاب الطب الوقائي النبوي / مطبعة جامعة الموصل – نشر مكتبة بسام / الموصل / ١٩٨٨ .

٩ – كتب اكثر من ستين بحثاً في تاريخ الطب عند العرب والمسلمين – القى البعض منها في مؤتمرات عربية وعالمية / نشرت في مجلات عربية وعراقية مختلفة .

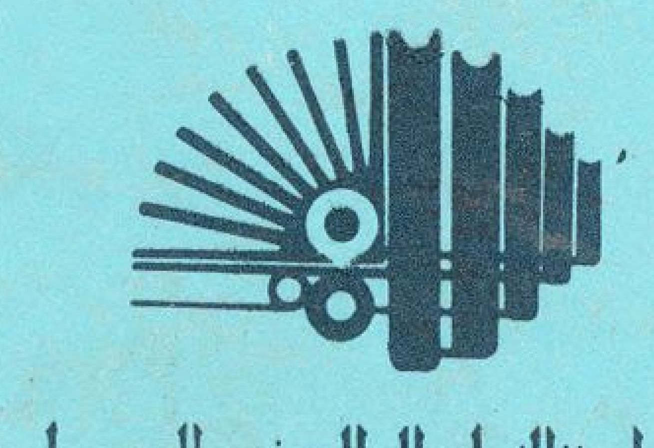
ثانياً : تحت الطبع :ـ

١٠ ـ الطب في الموصل منذ الفتح الأسلامي وحتى نهاية الحكم العثماني) جزء من موسوعة الموصل الحضارية) .

١١ ـ تحقيق كتاب من لايحضره الطبيب لابي بكر محمد بن زكريا الرازي .

الفهرس

رقم الايداع ٧٧٩ لسنة ١٩٨٩



مطبعة التعليم العالي في الموصل